

حَضْرَمَوْتُ الثَّقَافِيَّةِ

ذو الحجة ١٤٤٥ هـ - June 2024 - Hadhramaout AL-Thaqafiah

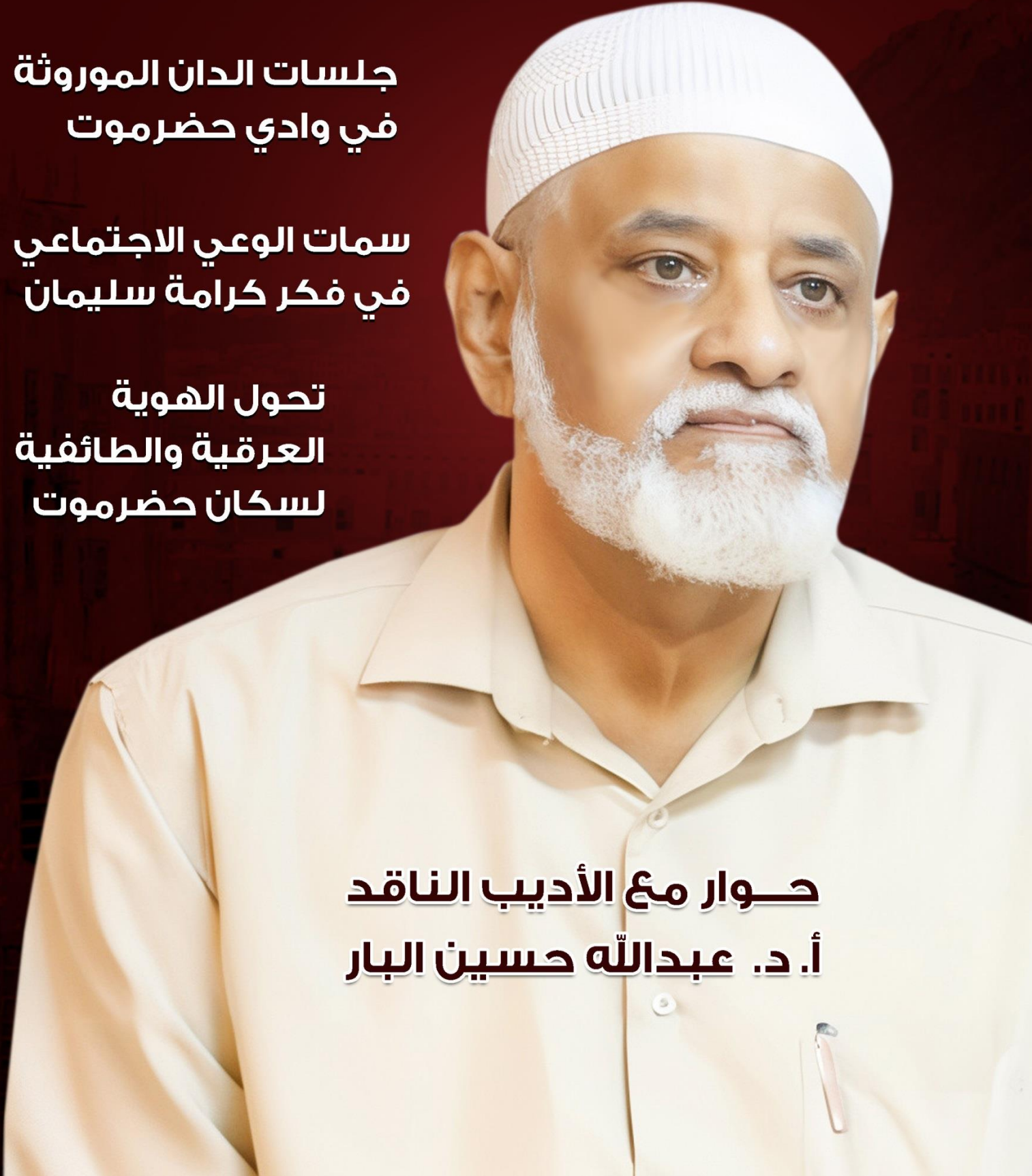
مجلة فصلية - السنة الثامنة - العدد (32)

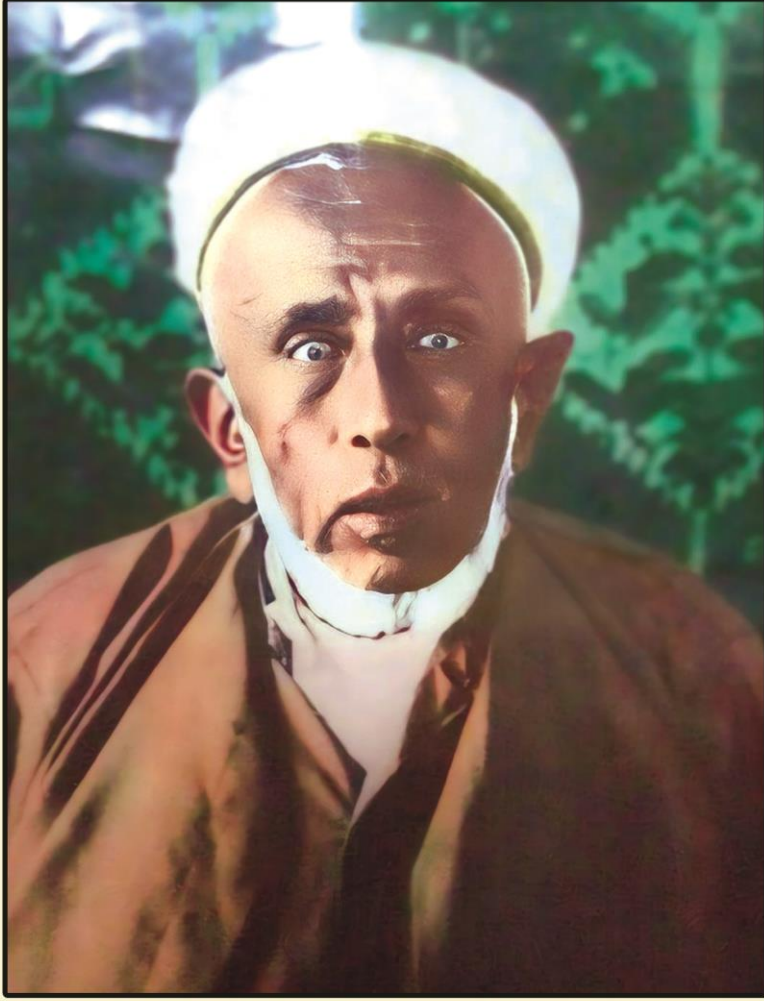
جلسات الدان الموروثة
في وادي حضرموت

سمات الوعي الاجتماعي
في فكر كرامة سليمان

تحول الهوية
العرقية والطائفية
لسكان حضرموت

حوار مع الأديب الناقد
أ.د. عبدالله حسين البار





محمد عمن بازرعة

(1853 – 1930م)

- ولد في دوعن - حضرموت عام 1853م.
- شخصية تجارية وتربوية مشهورة.
- أسس مدرسة بازرة الخيرية بعدن عام 1912م.
- أقام أول فرقة موسيقية نحاسية بقيادة الفنان يحيى مكى.
- توفي سنة 1930م.

إِلَّا إِيَّاي



3

العدد (32)

إبريل
يونيو
2024م



د. عبدالقادر علي باعيسى
رئيس التحرير

ولا أرتاح لذلك) لنجد أنفسنا في النهاية خاضعين لرؤية هذه الجماعة أو تلك، هؤلاء الأفراد أو أولئك، والبحث يتنافى مع هذا المبدأ (مبدأ التقييد والحذف) بينما نترك الحديث حراً طليقاً تجاه آخرين لم ينهض ليدافع عنهم أحد.

والمشكلة ليست في إشكالية الحذف فقط، وإنما في الذي يرغب في أن يستمر الحديث في شأن قيل فيه كثيراً، وأعيد القول فيه عشرات المرات، يريد تثبيته كما لو كان حقيقة مطلقة.

ثم كيف نستطيع أن نرى ما نستطيع من التاريخ ونحن نظهر بعضه ونخفي بعضه الآخر، ونتائج البحوث والدراسات العلمية متنوعة، ومتداخل بعضها في بعضها الآخر، بينما يتم النظر من قبل أولئك من زاوية واحدة نفسية أو اجتماعية، لا علاقة لها بالناحية العلمية لا من قريب ولا من بعيد. هو شكل من أشكال الأثرة التي ما زالت تعيقنا في جوانب مختلفة حين يوحد المنتقد بين ذاته والحادثة التي حدثت منذ عشرات أو مئات السنين، ولا علاقة له بها، بل بأناس آخرين في مكان وزمان آخر، ووقائع وظروف معيشية وحياتية مختلفة.

فإلى متى نظل نرحل من دلالات التاريخ؟ وإذا حدث هذا من أجيال سابقة علينا لأسباب معينة، فكيف يحدث منا ونحن نشهد بالبحث عن النموذج العلمي؟ والنتيجة معروفة: إذا اضطربت معايير التاريخ انبهم الواقع، وكل يدير ذاته بالطريقة التي تحلو له حينئذ، فثمة مواقف عامة يمتزج فيها السلبي والإيجابي عند كل أحد يجدر الإقرار بها، أما البحث عن النزاهة المطلقة في واقع إنساني معيشي وصراعي شهده التاريخ، فهذا هو محض خرافة ونريد أن نطلق عليها مجازفة اسم التاريخ.

ترد إلينا أحياناً ملاحظات عما ينشر في مجلة (حضر موت الثقافية) أو برنامج (حوارات ثقافية) الذي يشرف عليه المركز ويقدم في قناة حضر موت الفضائية تتعلق برغبة بعض المتابعين في إبعاد بعض المعلومات التي لا تروق لهم، والإبقاء على بعضها الآخر، وهو الأكثر، وهم على مشارب مختلفة، وهؤلاء - مع تقديرنا الشخصي لهم - سلبيون تجاه ثقافة مجتمعهم، إيجابيون تجاه ذواتهم فقط، وقد كانت حضر موت وما زالت تعاني من توجيه التاريخ في قضايا مختلفة.

إن إبراز وقائع التاريخ لا يعني قهر أحد أو إذلاله أو التعالي عليه بقدر ما يعني قوة حضور المعرفة، وأنا بدأنا نمسك بزمامها بعيداً عن أي ذاتيات مع أو ضد، وإلى متى نكبح ما نريد أن نكبحه لنجد أنفسنا نقوم بما يقوم به الآخرون الذين نتقدمهم، وهو التدخل في صناعة التاريخ ووقائع الماضي التي هي جزء منا بسلبياتها وإيجابياتها يدخل في تشكيل رؤانا وثقافتنا شيئاً أو أبنينا.

والمنطلق الذي يصدر عنه أصحاب تلك الفكرة منطلق ميكانيكي (أرضى عن هذا ولا أرضى عن ذاك) (أرتاح لهذا

محتويات العدد

أضواء

معالم من جغرافية حضرموت



وادي بدش

أ.د. رزق سعد الله بخيت الجابري

ص 20

رحلة على ضفاف الأودية



من الساحل إلى داخل حضرموت

د. عبدالخالق عفيف

ص 24

جلسات الدان الموروثة في مدن وادي حضرموت



شهرزاد قاسم حسن

ص 27

حضر موت الثقافي

مجلة فصلية

السنة الثامنة العدد (32)

إبريل - يونيو 2024م

تصدر عن مركز حضرموت

للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ محمد سالم بن علي جابر

المشرف العام

أ. د. عبدالله سعيد بن جَسَّار الجعدي

رئيس التحرير

د. عبدالقادر علي باعيسى

السكرتير الفني

حسن أحمد بلجعد

التدقيق اللغوي

د. جمال رمضان حديجان

الهيئة الاستشارية

أ.د. عبدالله حسين البار

أ. د. عبدالله صالح بابعير

أ. د. ناجي جعفر الكثيري

أ. د. مسعود سعيد عمشوش

أ.د. خالد يسلم بلخشر

أ.د. صادق عمر مكنون

د. حسن صالح الغلام العمودي

د. طه حسين الحضرمي

د. أحمد سعيد عبيدون

- المواضيع المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

- ترتيب المواد جاء وفق ضوابط فنية إخراجية.

- المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تسلمها للنشر، سواء نُشرت أم لم تُنشر. ولا تتلزم بنشر المقالات المرسلة إليها بخط اليد.

مراسلات المجلة

hc.magazine16@gmail.com

hadcenter1@gmail.com

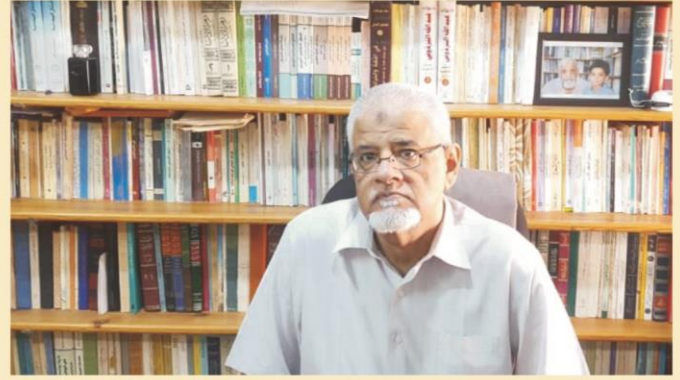
موقعنا على الشبكة الإلكترونية

www.hadramout.center

للعنوان: المكلا - حي الشهيد - (مهد باشريف سابقاً) - ت. ٣٥١٢٥

حوار

حوار مع الأديب الناقد أ.د. عبدالله حسين البار



حاور / د. عبدالقادر باعيسى

ص 32

ترجمة

السلام في حضرموت دبلو، أتش، إنجرامز، أو، بي. إي



ص 43

ترجمة: نجيب سعيد باوزير - نورة نجيب باوزير

دراسات

سمات الوعي الاجتماعي
في فكر كرامة سليمان

قراءة في "بسقة الخريف"

ص 76 أ.د. أحمد سعيد عبيدون

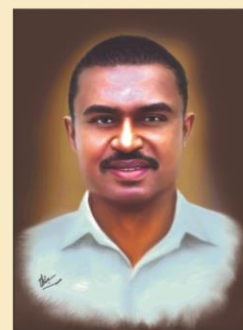


ثنائي الشاعر بن عمران والفنان محيور

رشفات
من أغنية
شلك السيل

أحمد كرامة
باحمالة

ص 96



كتابات

أوراق مكلّوية
المتحف الحي

عوض سالم ربيع

ص 104



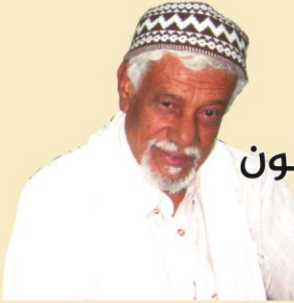
شخصيات

في رحاب الإبداع

الفقيه عمر مرزوق حسنون

حسين عبدالله بامطرف

ص 71



حديث البداية

• إلا إياي..... د. عبدالقادر علي باعيسى - رئيس التحرر..... 3

أضواء

• الواقف في عينات كالواقف في عرفات!!

• (العلاقات بين يافع وعينات في ضوء وثيقة تاريخية)..... أ.د. علي صالح الخلاقي... 9

ترجمة

• تحول الهوية العرقية والطائفية لسكان حضرموت

• في القرنين العشرين والحادي والعشرين..... د. مراد محمد باعلوي..... 52

شخصيات

• المقدم سعيد بانهم وأثره في الصراع القبطي القبلي بحضرموت (ج ٢)..... 63

د. محمد سالم باحمدان

• حضارة استثنائيون.. عمر حسين البار (ج ٢).... شكري نصر مرسال... 72

دراسات

• الكتابة التاريخية عند مؤرخي حضرموت المعاصرين

• عبدالله بن حسن بلفقيه - أنموذجاً -..... أ.د. محمد يسلم عبدالنور... 81

• تعليم البنات بتارية (ج ٢)..... عوض سالم غريبان..... 91

كتابات

• انهيارات حضرمية.. كلمات مضطربة..... سالم العبد الحمومي..... 106

• إطلالة على فعاليات الموروث الثقافي الشعبي المصاحبة لندوة شبام

• في عهد ازدهارها التجاري أحمد زين باحميد 107

• ندوة شبام.. إعادة ذاكرة سليمان مطران 110

إبداع

• أبي حضرموت (قصيدة) عمر علوي بن شهاب..... 112

• شبام (قصيدة) أ.د. عبدالعزيز سعيد الصيغ..... 113

توقيع قلم

• "من ما حضر عند شاته جابت تيس"..... أ.د. عبدالله سعيد بن جسر الجعدي..... 114



اللجنة العلمية بمركز حضرموت تعقد اجتماعها الدوري



إعلام المركز / خاص:

اجتمعت اللجنة العلمية بمركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر في دورتها لشهر إبريل لمناقشة بنود خطة العام الحالي ٢٠٢٤م فيما يتعلق بالشؤون العلمية، للوصول إلى الأهداف المرسومة وفق الاستراتيجية التي حددها مجلس الإدارة.

والندوات النوعية، واعتاد إصدار عشرة كتب من قبل المركز، ودور منتدى عميد الوفاء.

وخرج اجتماع أعضاء اللجنة العلمية بالأهداف الآتية: تنفيذ المؤتمر العلمي السادس، وتنظيم عدد من المحاضرات

بحضور مدير عام مكتب الثقافة منتدى عميد الوفاء الثقافي يواصل فعالياته ويقيم فعاليته الثانية (خصائص الهوية الثقافية الحضرمية)



إعلام المركز / خاص:

أقام منتدى عميد الوفاء الثقافي التابع لمركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر فعاليته الثانية (خصائص الهوية الثقافية الحضرمية) حاضر فيها: أ.د. صادق عمر مكنون وأدارها أ.د. سالم عبدالله بصريح بحضور مدير عام الثقافة أ.عبير محمد الحضرمي وعدد من الأساتذة والمثقفين والشباب، وبثت المحاضرة مباشرة على الشبكة العنكبوتية "ZOOM" و"youtube".

الثقافي باحترام كامل وهذه من الصفات الأساسية للهوية الحضرمية وهي التفاعلية.

وتحورت في الحديث عن الهوية الثقافية بشكل عام مشيراً إلى تعايش الحضارة مع المجتمع الخارجي رغم الاختلاف

وفي ختام الفعالية أتيحت الفرصة للحضور للتعبير عن آرائهم وطرح تساؤلاتهم، وتعد هذه الفعالية الثانية للمنتدى الذي ستستمر فعالياته كل نصف شهر.



منتدى عميد الوفاء الثقافي ينفذ فعالية

(الخريطة الزراعية في حضرموت الماضي والحاضر والمستقبل)



إعلام المركز / خاص:

نفذ منتدى عميد الوفاء الثقافي التابع لمركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر فعالية (الخريطة الزراعية في حضرموت الماضي والحاضر والمستقبل) ألقاها أ.د. رزق سعد الله الجابري أستاذ الجغرافيا السكانية وأدارها د. محمد أبوبكر مقييل.

وفي الفعالية تحدث أ.د. رزق الجابري عن تاريخ حضرموت الزراعي وتطور المنظومة الزراعية خلال مدد زمنية محددة ووصولها في مرات أخرى إلى الجفاف الواضح الذي تعاني منه خريطة حضرموت الزراعية بسبب

عدم الاهتمام بالأراضي الزراعية موجهة عدة أسباب في ذلك. وقال أيضاً نحتاج إلى دراسات وبيانات دقيقة حول الزراعة بشكل عام وأنواع المنتجات والمساحات الصالحة للزراعة ونسبة الأمطار والاحتياج السكاني للحبوب والخضروات والفواكه لمساندة المزارعين. وخلال الفعالية تداخل عدد من الحضور في القاعة وعلى برنامج الزوم لإثراء عنوان الفعالية.



القاضي طه الهدار يزور مركز حضرموت للدراسات التاريخية



إعلام المركز / خاص:

زار القاضي طه الهدار رئيس الشعبة التجارية الاستئنافية بساحل حضرموت يوم الأربعاء ٣٠ / أبريل / ٢٠٢٤م مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر للتعرف على آخر المستجدات لأعمال المركز وانشطته، مقدماً بعض الاقتراحات بشأن الحفاظ على وثائق المحاكم القديمة وأرشفتها من قبل

الدولة بمساندة المراكز المختصة.



فعالية "محاولات للكشف عن مواقع الإنسان البدائي (الأول) في حضرموت" صفاته وتنقلاته وإنجازاته خلال عصور ما قبل التاريخ



نفذ منتدى عميد الوفاء التابع لمركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر مساء السبت ٢٥ / ٥ / ٢٠٢٤م وفي إطار فعالياته النصف شهرية محاضرة بعنوان (محاولات للكشف عن مواقع الإنسان البدائي الأول في حضرموت - صفاته وتنقلاته وإنجازاته خلال عصور ما قبل التاريخ) للدكتور حسين أبو بكر العيدروس تطرق فيها إلى جوانب من حياة الإنسان البدائي الأول الذي عاش في حضرموت واليمن عموماً قبل مليون وخمسمائة ألف سنة نزولاً إلى ما قبل ستمائة ألف سنة مغطياً بذلك مراحل العصر الحجري، والعصر الحجري الحديث،

والعصر النحاسي، والعصر البرونزي، لافتاً إلى عدد من الموضوعات المتعلقة بالإنسان البدائي في حضرموت من صناعة الأدوات الحجرية، وبناء القبور والأبنية، وبعض الطقوس البدائية؛ واحتمالية الأماكن التي جاء منها؛ مشيراً إلى أنه لم يكن يختلف في حجمه عن حجم الإنسان المعاصر بدليل الأدوات الحجرية التي كان يصنعها ويستخدمها.

تلا ذلك بعض النقاشات من قبل الأساتذة الحاضرين وعلى شبكة الانترنت. هذا وقد أدار الفعالية د. محمد سالم باحمدان.



منتدى عميد الوفاء ينفذ فعالية الفجوة الغذائية في حضرموت: التحديات والمعالجات الممكنة



نفذ منتدى عميد الوفاء الثقافي فعالية (الفجوة الغذائية في حضرموت: التحديات والمعالجات الممكنة) تحدث فيها أ.د. سالم عبدالله باصريح وأدارها د. علي عبدالعزيز باعشن.

وفي الندوة التي حضرها عدد من المثقفين في قاعة المنتدى وعلى الشبكة العنكبوتية عبر الزوم واليوتيوب

تحدث أ.د. باصريح عن الغذاء في حضرموت، وأهمية الاكتفاء الذاتي، وكيفية الوصول إلى هذه النتيجة، وقال إن هناك عجزاً واضحاً في محاصيل الحبوب والخضروات والفواكه نتيجة لعدد من العوامل التي أدت إلى ذلك، ومنها التغير المناخي، والزحف

العمري، وجرف السيول للتربة، والزحف الرمي.

وعن الأمطار المعززة للنمو الغذائي ذكر الأستاذ المحاضر بأن حضرموت لا تستفيد سوى ٢٠٪ من مياه الأمطار، ونسبة ٥٥٪ من المناطق الزراعية هي المستغلة وتستفيد من مياه الأمطار ٣١٪ تعتمد على المياه الجوفية و ١٥٪ على مياه العيون والغيول.

وفي التوصيات حث الأستاذ الباحث على التدريب والتأهيل للمزارعين والاهتمام بالبحث العلمي للوصول إلى معلومات جديدة تهم الأمن الغذائي.



الواقف في عينات كالواقف في عرفات!!

(العلاقات بين يافع وعينات في ضوء وثيقة تاريخية)

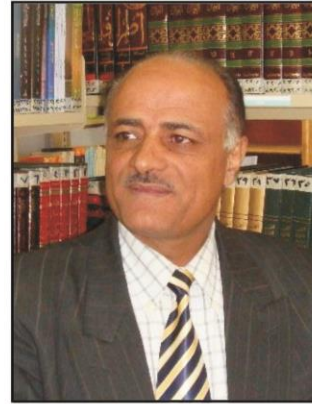
"أما علمتم أن جلسة ساعة بين يدي ولي كمثل عبادة سبعين سنة"

[منصب عينات أحمد بن علي بن أحمد آل الشيخ أبي بكر بن سالم (١١٤٢ - ١١٧٧ هجرية)]



برز التأثير الروحي الكبير لسادة حضر موت، ولمناصب عينات خاصة، في مناطق يافع والجنوب منذ عهد الشيخ أبي بكر بن سالم بن عبدالله بن عبدالرحمن السقاف العلوي (٩١٩ - ٩٩٢ هـ)، الذي نَصَّب - قبل أن تدركه الوفاة - الشيخ العلامة علي بن أحمد هريرة مصلحاً ومرشداً دينياً في يافع العليا، وكان رجل دين مشهور، ذا علم وحلم، وهو مؤسس الأسرة الهريرية، ثم السلطنة التي سُميت باسمهم فيما بعد، واتخذت من حوطة (المحجة) عاصمة لها في يافع بني مالك.

في سنة ١٠٢٧ هـ وصل الحسين بن الشيخ أبي بكر إلى يافع، في طريق عودته من الحرمين الشريفين، مرشداً وداعياً إلى الله، فأحبته قبائل يافع محبة عظيمة، واتخذوه مرجعاً لكثير من مشاكلهم، وقد أسس مسجداً في قرية (عنتر)، واشترى من ماله الخاص كثيراً من الأراضي المتنازع عليها، فأوقفها على كثير من أوجه البر وفضل الخصومات^(١).



أ.د. علي صالح الخلاقي*

ومنذ ذلك الحين حظي الشيخ أبو بكر بن سالم، ثم نجله الحسين بمكانة خاصة من التجلّة والتعظيم في يافع، واعتبر وهما من أولياء الله الصالحين، وزاد من الترويج لتلك المكانة وصول أعداد من أقاربهما السادة من بني هاشم، ممن انتشروا في مناطق يافع بناءً على طلب من قبائلها، ليعلموا أهلها، ويصلحوا ذات بينهم عند نشوب النزاعات والفتن القبليّة، ويتولوا القيام بالأعمال الشرعية، وجمع العشور والنذور والصدقات المخصصة لهما ولذريتهما من الأوقاف، والتي تصل إلى عينات دون انقطاع كواجب ديني ملزم^(٢).

ظل تأثير الشيخ أبو بكر بن سالم وذريته من بعده، مناصب عينات، مُعظماً في مدى ثلاثة قرون، ومثلوا المرجعية الدينية التي يلجأ إليها اليافعيون، لا في شؤون دينهم فحسب، بل وفي أمور دنياهم، حيث تنصاع لهم القبائل عند نشوب خلافات أو نزاعات، بل تلجأ إليهم حينما تتعرض للخطر، والأمثلة على ذلك كثيرة. ولا ننسى دور عينات في حشد قبائل يافع وتعبئتها لمواجهة ودحر غزوات الجيوش الزيدية ودحرها، لا في يافع فقط، وإنما في لحج وعدن وحضر موت، إذ كانت يافع رأس حربة في تلك المواجهات.

ورغم دورهم الإيجابي كمرجعية دينية، لكنهم نسجوا هالة من التقديس على أنفسهم وقدراتهم الإلهية، وصلت حد الغلو في إضفاء القداسة والكرامات، التي أوهموا بها الناس، حتى أننا نجد الاعتقاد ببركتهم وتأثيرهم الروحي وقدراتهم الخارقة ملحوظاً في الذاكرة الجمعيّة وفي الموروث الشعبي وفي الكثير من الأشعار اليافعية التي تطلب الغوث والنجدة من عينات، وتحديدًا من الشيخ أبي بكر بن سالم. ومن ذلك -على سبيل المثال- قول الشاعر محمد محسن بن طهيف اليزيدي^(٣):

يافع مُدْرَبٌ^(٤) بالصّحاح لوّلات

والشيخ "بُوبك"^(٥) ذي وسط "عينات" وهو في هذا البيت الشعري لا يلخص بكثافة علاقة يافع

بمناصب عينات فحسب، بل بتبعية الروحية وانقيادها لهم في الاعتقاد الذي رسّخوه في أذهان الناس عن بركتهم، والشاعر يصرّح بما كان تعتقده الغالبية في أن يافع محمي (مُدْرَب) بسياج من العهود القديمة (الصّحاح لوّلات)، وبركة ودعوات الشيخ أبي بكر بن سالم في عينات.

وبالمثل يذهب الشاعر الشيخ ناصر عمر بن عاطف جابر^(٦) إلى أن جبل يافع محروس ومحروز، أي محفوظ ومصان بالشيخ أبي بكر بن سالم، الذي أكد (تحرّزه)، أي حفظه وصونه من كل سوء أو شر، يقول:

أما جبل يافع المحروس فيه أحرز

والشيخ أبو بكر ذي أكّد تحرّزه وقد ظلت عينات حتى عقود قريبة مضت، قبلة يتجه إليها اليافعيون في مناسبات كثيرة، سواء لغرض الزيارة والتبرك، أو طلب نجدة أو غوث أو حل مشاكل قائمة، وكانوا يحملون إليها العشير والنذور من الحبوب والبُن والنقود، ويطلقون على مناصب عينات كلمة "الحبيب"، بل يسمّون "عبدالحبيب" وقد انتشر هذا الاسم مع موجة المدّ الصوفي، الذي نشره مناصب عينات في يافع.

وتزخر خزائن الوثائق الأسرية اليافعية بالكثير من رسائل مناصب عينات الموجهة إلى سلاطين يافع ومشايخها وأعيانها، ويغلب عليها الحض على أداء الفرائض والواجبات الدينية، وعلى إيصال العشور والنذور، التي كانت تخصصها القبائل اليافعية لهم، وتتوعد بالويل والثبور وعواقب الأمور لمن يقصر فيها.

وخير شاهد على تلك التبعية الدينية والروحية هذه الوثيقة التاريخية التي حصلت عليها من صديقي سليل سلاطين آل هرهرة، الأخ الفاضل علي بن فضل هرهرة، المقيم في بريطانيا. تقع الوثيقة في صفحة مستطيلة مع تكملة لها في قلبها، وحالتها سليمة لولا التلف الذي أصاب أجزاء بسيطة منها، لكنه غير مؤثر على فهم الوثيقة.

تعالوا في البدء نتعرف على نص الوثيقة:

نص الوثيقة:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا من كلام مولانا وبركتنا وعمدتنا الحبيب أحمد بن علي،
نفعنا الله به آمين

لما دخلنا عليه للزيارة قال له بعض المحبين: خاطرك يا حبيب
جينا إليك بأعمال ثقيلة نظر حها بين يديك. فقال الحبيب:
يحصل لكم ذلك وأهونها مغفرة الذنوب، لأن من وصل هنا،
وأقبل إلى هنا، أقبل على الله. قلنا: حبيب لنا ولوالدنا ولمن
أوصانا وكبيرنا وصغيرنا، ذكرنا وأثنانا. فقال الحبيب: لكم
ولهم يحصل ذلك. فقال له بعض المحبين: خاطرك يا حبيب
مع السلاطين [.... طان] وآكل هرهرة وآكل امرصاص، لأن آل
عفيف الذي قاموا بهذا العمل والمساعدين له آل هرهرة وآكل

امرصاص، هم القفل والباب، إذا صلح القفل والباب صلح
البيت، وإذا بطل الباب والبيت دخل السارق واللصوص.

فقال الحبيب: إن هذه الإقامة ما هي إلا بأهل هذا البيت
لمعوضة، فلما مات معوضة قام الإمام يريد أنه يدخل عليهم

وعـ [..... قطع بالورقة] لقوله: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً
وهو خير لكم﴾ لأنها وقعت شدة بموت معوضة، فلما مات

معوضة كان الخير في قدوم قحطان [..... الكلمة التي هي إليه،
وقد أخذنا المحبين باللطف والبصر، حتى دخلوا في الطاعة،

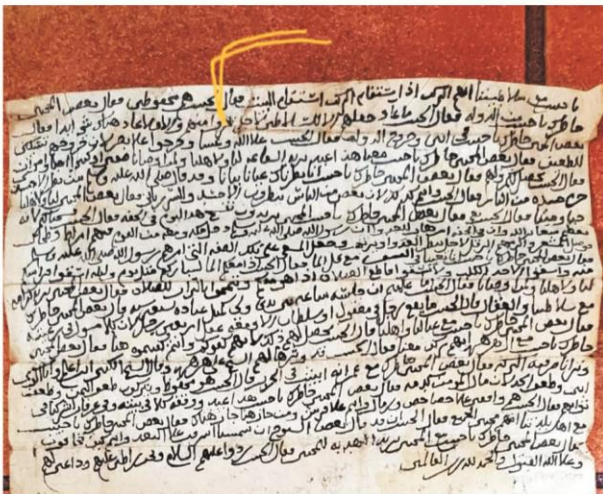
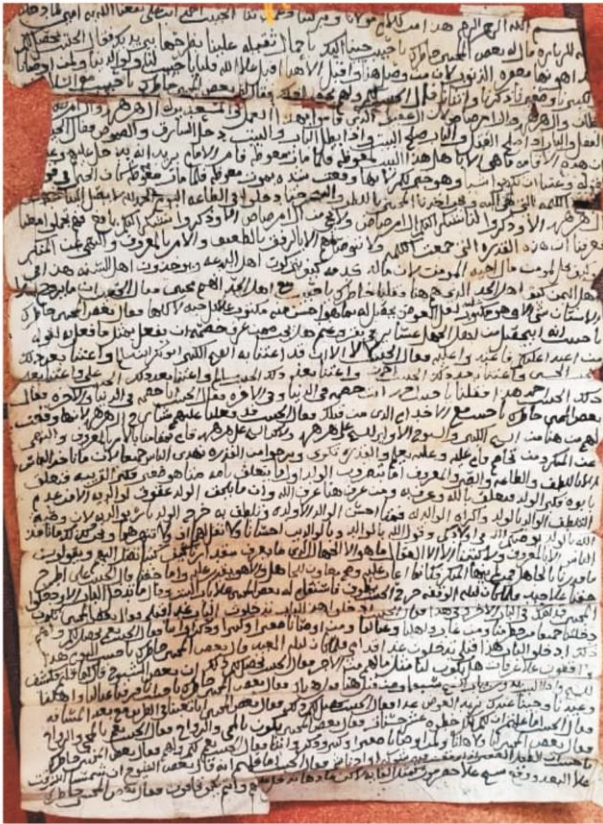
اليوم الحمد لله لا يقبل إلينا.... آل هرهرة إلا وذكرنا ونانشكر
إليكم آل امرصاص، ولا يحيي من آل امرصاص إلا وذكرنا

نشكر إليكم يافع فهم تجملوا معنا، فعرفنا أن هذه القدرة التي
جمعت الكلمة، ولا توصيهم إلا بالرفق بالضعيف، والأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر، وكيف يحل مال مؤمن مال أخيه
المؤمن لأن ماله كدمه، كيف يتركون أهل البدعة ويؤخذون

أهل السنة هذا في أهل اليمن كيف أهل الحد الذي هم هنا.

وقلنا: خاطرك يا حبيب مع أهل الحد لأنهم محبين. فقال



الحبيب: إن ما يروح على الإنسان شيء إلا وهو مكتوب عليه،
لعل العوض يحصل له بما هو أحسن منه، مكتوب على كل
حبة لآكلها. فقال بعض المحبين: خاطرك يا حبيب أنه
بيحصل من أهل الجهل عقاير في بقر وغنم، هل يجب ممن
عرف خصمه أن يفعل بمثل ما فعل به لقوله: ﴿من اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه﴾. فقال الحبيب: لا لا، لأن قد اعتنى به
الشيخ الكبير أبو بكر ابن سالم، واعتنى بعد ذلك الحبيب



الحسين، واعتنى بعد ذلك الحبيب أحمد، واعتنى بعد ذلك الحبيب سالم، واعتنى بعد ذلك الحبيب علي، واعتنى بعد ذلك الحبيب أحمد، هذا فقلنا: يا حبيب أحمد أنت خصمه في الدنيا والآخرة. فقال الحبيب أحمد: أنا خصمه في الدنيا والآخرة. فقال بعض المحبين: خاطرك يا حبيب مع الأخدام الذي من قبلك. فقال الحبيب: قد فعلنا عليهم شارح آل هريرة لأنها وقعت لهم من هنا، من الشيخ الكبير والشيخ الأولين للشيخ علي هريرة، ولكن الشيخ علي هريرة قام بمقامنا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن تخاصم قام عليه، وعليه يعلم والقدرة تكوي، ونرجو من القدرة تهدي الناس جميعاً، لأن ما نأخذ العاشر إلا باللطف والطاعة والصبر والمعروف، ألا تبصرون الولد أول ما يتعلق بأمه فكبر التريبة، فتعلق بأبوه، فكبر الولد فتعلق بالله وعرف به، ومن عرفنا هنا عرف الله، وأن ما يلحق الولد عقوق لو لديه إلا من عدم التلطيف الوالد بالولد وإكرام الوالد له، فمتى أحسن الوالد إلى ولده وتلطّف به خرج الولد باراً بوالديه؛ لأن وصية الله بالولد ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾، وقول الله بالوالد وبالوالدين: ﴿ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما﴾. ونحن كذلك ما نأخذ الناس إلا بالمعروف، ولا كتبنا إلا إلى العقل، ما هو إلى الجهال، الذي ما يعرف مقدارنا، كيف كتبنا تصل إليهم ويقولون ما قدرنا بالجاهل، فمن لم ينهي المنكر فكأنها عار عليه وهو معاون للجاهل وإلا هو يقدر عليه، وأما حقنا قال الحبيب علي: اطرَح حقنا على جنب. فلما كان ليلة الوقفة خرج الحبيب يطوف، فاستقام له بعض المحبين على باب البيت وقال: ما تدخل الباب إلا ودخلوا المحبين قُدَّامك في الباب الآخر وفي هذا. فقال الحبيب: ادخلوا هذا الباب تدخلون الباب غداً قبلي. فقال بعض المحبين: تكون دخلتنا جميعاً من حضر منا ومن غاب وأهلنا وعيالنا ومن أوصانا صغيراً وكبيراً وذكرنا وأثنى. فقال الحبيب: نعم يحصل لكم ولهم ذلك، ادخلوا الباب هذا قبلي تدخلون غداً قدامي. فلما كان ليلة العيد قال بعض المحبين: خاطرك يا حبيب، اليوم

هذا واقفون على عرفات، هل يكون لنا مثل ما لهم من الأجر. فقال الحبيب: يحصل لكم ذلك، إن بعض الشيوخ قال كما قلتم، فكشف للشيخ وإذا البيت يدور بباب الشيخ سبعة، ومن مثل هنا مثل هناك. فقال بعض المحبين: خاطرك يا حبيب، إنا فرقنا عيالنا وأهلنا وعيدنا وجينا عندك، نريد العوض غداً. فقال الحبيب: يحصل لكم ذلك. فقال بعض المحبين: إنا تعبنا في الطريق مع بُعد المسافة. فقال الحبيب: أما علمتم إن لكم بكل خطوة عشر حسنات. فقال بعض المحبين: يكون بالمجيء والروح. فقال الحبيب: نعم بالمجيء والروح. فقال بعض المحبين: لنا ولأهلنا ولمن أوصانا صغيراً وكبيراً وذكرنا وأثنى. فقال الحبيب: نعم لكم ولهم. فقال بعض المحبين: خاطرك يا حبيب، إن الطفل الصغير إذا وقعت فيه شوكة أو أدنى شيء. فقال الحبيب: أما علمتم أنه قال بعض الشيوخ إن شمسنا أشرقت على البعد، ووقع شح على حضر موت كمثل الفاية، لكن عادها تدخل عليهم وأنتم كيف تخافون. فقال بعض المحبين: خاطرك يا حبيب مع سلاطيننا، إنهم الركن، إذا استقام الركن استقام البيت. فقال الحبيب: هم محفوظين. فقال بعض المحبين: خاطرك يا حبيب من الدولة. فقال الحبيب: ما عاد جعلهم إلا للسلاطين لأجل يخرجوا منهم، وإلا ولا عاد هناك شيء أبداً. فقال بعض المحبين: خاطرك يا حبيب في أبيين وخروج الدولة. فقال الحبيب: على الله عسى وخروجوا على بصر؛ لأن خروجهم تسكين للضعيف. فقال بعض المحبين: خاطرك يا حبيب معنا هذا عيد نريد الشفاعة لنا ولأهلنا ولمن أوصانا صغيراً وكبيراً وذكرنا وأثنى. فقال الحبيب: يحصل لكم ولهم. فقال بعض المحبين: خاطرك يا حبيب، إنا نظرنك عياناً بياناً، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (من نظر إلى جسدي خرج جسده من النار). فقال الحبيب: وأنتم كذلك، لأن بعض الناس ينظرون إلى جسد والسر رباني. فقال بعض المحبين: لنا ولأهلنا، حياً وميتاً. فقال الحبيب: نعم. فقال بعض المحبين: خاطرك يا حبيب، المحبين يريدون تفسح هذا اليوم في الحفة.



شرح الوثيقة والتعليق عليها

تعود هذه الوثيقة التاريخية إلى عهد منصب عينات أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن سالم بن أحمد بن الحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم، (خلف أباه وتولى المنصب بين سنة ١١٤٢ - ١١٧٧ هجرية)، ويكون قد مكث في منصب عينات ٣٥ عاماً، وكان كما يصفه ابن عبيد الله - مضيافاً، يذبح كل يوم ستاً من الأغنام، سوى ما يذبحه للواردين، وله ولوع شديد بالكنص، وكان كريماً شفيقاً^(٧).

لم يدون في الوثيقة تاريخ كتابتها، لكنها كتبت بين سنتي (١١٤٢ - ١١٧٧ م)، في عهد المنصب أحمد بن علي بن أحمد بن علي، الذي قصده للزيارة المحبون له، القادمون من يافع، وكان ميقات تلك الزيارة متزامناً مع قدوم عيد الأضحى المبارك، وهو ما يتضح من مضمون الحوار، لكننا لا نعرف في أي عام كانت هذه الزيارة على وجه التحديد. كما لا نعلم من هو كاتب الوثيقة؛ لعدم ذكر اسمه، والأرجح أنه أحد فقهاء يافع، ممن كان برفقة زوار عينات، وقد حرص أن يدون في هذه الوثيقة أهم ما دار من حوار بين الوفد الزائر ومنصب عينات، وفيما يأتي نعرض أهم ما ورد فيها مع التعليق:

- يلاحظ منذ البدء أن مخاطبة الوفد الزائر للمنصب بالقول: "خاطرك يا حبيب"، وقد تكررت ٢٢ مرة، وهي صيغة توقيير واحترام له، وحلت عوضاً عن الأسئلة عند التوجه إليه لمعرفة ما في خاطره وقلبه عما تم طرحه عليه من قبلهم؛ لقناعاتهم المسبقة المترسخة في أذهانهم بقدراته في معرفة خفايا الأمور والأحداث. ويبدو أن الطرح لم يأت على لسان شخص واحد، بل جاء على لسان أكثر من شخص من الزوار، بدليل أنه لم يحدد اسم شخص محدد، بل يكرر في كل مرة "قال بعض المحبين" التي وردت ٢٨ مرة، عند طرح المسائل على (الحبيب) أثناء اللقاء، ووصفهم بالمحبين، تدل على حبهم وطاعتهم له دون تردد أو اعتراض أو عصيان.

فقال الحبيب: فسحنا لكم؛ لأنه يعظم شعائر الله، وأن في الحفة إرهاب للعدو، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة ومعه من القوم منهم أمراض وصحاح، فوصل المشعر وألزمهم الرمل لأجل ينظر العدو ويرتهب، وجعل المسعى على تلك الصفة التي أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال بعض المحبين: خاطرك يا حبيب، إنا تعبنا في السفر مع قل الماء. فقال الحبيب: إذا معكم الماء لسباركم اسقوا قراشكم منه، واسقوا إلى حد الكلب، ولا تسقوا قاطع الصلاة إذا هو معكم، وتيمموا بالتراب للصلاة. فقال بعض المحبين: نريد كرامة لنا ولأهلنا ولمن أوصانا. فقال الحبيب: أما علمتم أن جلسة ساعة بين يدي ولي كمثال عبادة سبعين سنة. قال بعض المحبين: خاطرك مع سلاطينا والعقال. قال الحبيب: ما يقع رجل في معقول أو سلطان إلا ومعه عقل أربعين رجل؛ لأن كلاً مسئول في رعيته. فقال بعض المحبين: خاطرك يا حبيب مع عيالنا وأهلنا. فقال الحبيب: يحصل لهم ذلك؛ لأنهم كفوكم وأنتم كفيتموهم هنا. فقال بعض المحبين: خاطرك يا حبيب مع آل هرهرة إنهم ركن معنا. فقال الحبيب: قد وثّرنا لهم الشيخ علي هرهرة، وقال الشيخ الكبير أنت أعلم وأنا أكوي، وترا ناصر فيه البركة. فقال بعض المحبين: خاطرك مع عمر أنه أبشب بالحرب. فقال الحبيب: هو محفوظ ويتركون ظعف اليمن وظعف أبين وظعف الحد لأن مال المؤمن كدمه. فقال بعض المحبين: خاطرك يا حبيب هذا عيد ووقفه وكلاً في بيته وفي عرفات أشركنا في ثوابهم. فقال الحبيب: هم واقفين على حصاحص ورمال وأنتم على فرش، ومن جاز هنا جاز هناك. فقال بعض المحبين: خاطرك يا حبيب مع أهل بلدتنا أنهم محبين الجميع. فقال الحبيب: إن قد قال بعض الشيوخ إن شمسنا أشرق على البعد، وأنتم كيف تخافون. فقال بعض المحبين: خاطرك يا حبيب نريد الهدية للمحبين. فقال الحبيب: ردوا عليهم السلام، ونحن راضين عليهم وأدعي لهم، وعلى الله القبول والحمد لله رب العالمين.



”لعل في تشبيه آل هريرة وآل الرصاص بالقفل والباب، تذكيراً بموقعهم المتقدم في مركز المواجهة الأممية، أي: على خطوط التماس مع جيوش الزيدية. ويبدو من طرْحهم هذا أن هناك -ربما- غيرة من مكانة سلاطين آل عفيف في القارة، الذين سطع نجمهم في مقاومة الزيدية في عهد سلطانهم معوضة، ورفع من مكانتهم لدى عينات،“

حملة أخرى في شوال من العام نفسه لطرد الحسين بن حسن ومن معه من الجنود من حصن "الحلقة"، آخر معاقل الدولة القاسمية في يافع، وبعد تلك الانتصارات التي حققها معوضة بن محمد بن العفيف استقلت يافع بعد أكثر من عشرين عاماً من سيطرة الدولة القاسمية، فأصبح معوضة منذ تلك السنة (١٠٩٢هـ) أول سلطان للسلطنة العفيفية في يافع، وخاض عدة مواجهات لاحقة مع الدولة القاسمية حتى وافاه الأجل في ١٣ رمضان سنة ١١٠٤هـ / ١٧ مايو ١٦٩٣م^(٨).

- وذكرهم (الحبيب) بأن وفاة السلطان معوضة أثارت مطامع الدولة القاسمية؛ للسيطرة على يافع مجدداً، وأنه لمآ مات معوضة قام الإمام يريد أن يدخل عليهم، ووقعت لموت معوضة (شدة)، وبعد موته كان الخير في قحطان، وكانت الكلمة إليه، وهو الذي خاض مواجهات كثيرة ضد جيش الدولة القاسمية في العر وأبين ولحج وعدن. ويبدو من حديث الحبيب أن السلطان قحطان قد واجه إشكالية عندما تقلد زمام السلطنة خلفاً لوالده^(٩)، حتى تدخلت عينات وأخذت المحيين باللفظ والبصر، بدليل قول (الحبيب): "وقد أخذنا المحيين باللفظ والبصر، حتى دخلوا في الطاعة"... وأبدى

- استهل الزوار عند دخولهم على (الحبيب) الإفصاح عن أحلامهم الثقيلة، ويقصدون بذلك الذنوب، بغرض التطهر منها بين يديه، فبارك وصوهم، ومنّاهم بمغفرة الذنوب لهم ولوالديهم ومن أوصاهم، كبيرهم وصغيرهم، ذكوراً وإناثاً. وفي ذلك ادعاء الخصائص الإلهية، بمقدرته على مغفرة ذنوبهم، والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾، بل أكد لهم أن من وصل وأقبل إلى عينات أقبل على الله. إذ قال: "من وصل هنا، وأقبل إلى هنا، أقبل على الله". فأوهمهم أن من أقبل إلى عينات فكأنما أقبل على الله!!.

- وحول ما يخطر ببال (الحبيب) عن السلاطين، آل هريرة (سلاطين يافع) وآل الرصاص (سلاطين البيضاء)، ذكروا له أنهم مساعدون لآل العفيف في العمل الذي قام به، لقولهم: "لأن آل عفيف الذي قاموا بهذا العمل والمساعدين له آل هريرة وآل امرصاص، هم القفل والباب، إذا صلح القفل والباب صلح البيت، وإذا بطل الباب والبيت دخل السارق واللصوص"، لكن الوثيقة لم تذكر طبيعة هذا العمل المشار إليه في حديثهم، ولعل في تشبيه آل هريرة وآل الرصاص بالقفل والباب، تذكيراً بموقعهم المتقدم في مركز المواجهة الأممية، أي: على خطوط التماس مع جيوش الزيدية. ويبدو من طرْحهم هذا أن هناك -ربما- غيرة من مكانة سلاطين آل عفيف في القارة، الذين سطع نجمهم في مقاومة الزيدية في عهد سلطانهم معوضة، ورفع من مكانتهم لدى عينات.

- لكن المنصب أشاد بمكانة آل العفيف ومواقفهم في كسر شوكة الزيدية، قائلاً للمحبين من الزوار: "إن الإقامة ما هي إلا بأهل هذا البيت لمعوضة". ويقصد بذلك معوضة بن محمد بن معوضة بن عفيف، الذي قام بالثورة ضد الدولة القاسمية الزيدية، وطردها عن بلادها صلاح بن مسمار الأهنوم في نهاية شعبان ١٠٩٢هـ / سبتمبر ١٦٨١م، بعد أن هاجم مراكزها في "القارة" و"مسجد النور" فاستولى على ما فيها من أموال وعتاد، ثم جهز



ذَكَرَهُم (الحبيب) بأن وفاة السلطان معوضة أثارت مطامع الدولة القاسمية؛ للسيطرة على يافع مجدداً، وأنه لما مات معوضة قام الإمام يريد أن يدخل عليهم، ووقعت لموت معوضة (شدة)، وبعد موته كان الخير في قحطان، وكانت الكلمة إليه، وهو الذي خاض مواجهات كثيرة ضد جيش الدولة القاسمية في العر وأبين ولحج وعدن،،

ستلحق العقاب (تكوي)، ثم يرجو من (القدرة) أن تهدي الناس جميعاً لدفع الكأس العاشر، قائلاً: "لأن ما نأخذ العاشر إلا باللطف والطاعة والصبر والمعروف". وفي قوله هذا حث وتأكيد على وجوب تسليم الكأس العاشر من كل منتوج من الحبوب أو البُن. وهذه المسألة شغلت من حديثه الكثير مقارنة بغيرها، بل وذهب إلى تشبيه العلاقة بين يافع وعينات بعلاقة الولد بوالديه، لقوله: "ألا تبصرون الولد أول ما يتعلق بأُمّه فكبر التربية، فتعلق بأبوه، فكبر الولد فتعلق بالله وعرف به، ومن عرفنا هنا عرف الله"، والفقرة الأخيرة هي (بيت القصيد) الذي يريد أن يقنعهم به، فمن عرف مناصب عينات عرف الله، فساوى بذلك بين معرفتهم ومعرفته الله. ثم أشار إلى أن ما يلحق الولد من عقوق لوالديه لم يكن إلا بسبب عدم تلطف الوالد بالولد وإكراه الوالد له، فمتى أحسن الوالد إلى ولده وتلطف به خرج الولد باراً بوالديه؛ لأن وصية الله بالولد ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾، وقول الله بالوالد وبالوالدين: ﴿ولا تقل لهما أفٌ ولا تنههما﴾. ثم يقول: "ونحن كذلك ما نأخذ الناس إلا بالمعروف"، وكأنه يوصيهم بأن يعاملوا مناصب عينات بمرتبة الوالدين، ولا يجب أن يُقال لهم: (أف)، وأن مخالفة ذلك مُنكرٌ، يصدر من جاهل، لا يعرف قدرهم ومكانتهم، وينبغي النهي

(الحبيب) ارتياحه لجمع الكلمة، وإقبال الجميع إليه شاكرين بعضهم لبعض، إذ قال: "اليوم الحمد لله لا يقبل إلينا آل هرهرة إلا وذكرنا لنا نشكر إليكم آل امرصاص، ولا يجي من آل امرصاص إلا وذكرنا نشكر إليكم يافع؛ فهم تجملوا معنا، فعرفنا أن هذه القدرة التي جمعت الكلمة". وأوصاهم بالرفق بالضعيف، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتجنب مال المؤمن لأن ماله كدَمه... إلخ.

- سألوه عن (أهل الحد)، وهم حد يافع المواجه لمناطق سيطرة الإمام الزيدي. فقال الحبيب: "إن ما يروح على الإنسان شيء إلا وهو مكتوب عليه، لعل العوض يحصل له بما هو أحسن منه، مكتوب على كُلِّ حَبَّةٍ لَأَكَلْهَا"، ومن إجابته نستنتج أن أهل الحد تعرضوا للضرر ما، فطمأنهم بحصول العوض لهم عن ذلك الضرر، الذي لا نعرف كنهه.

- سألوه عما يحصل في أثناء النزاعات أو الفتن ممن أطلقوا عليهم (أهل الجهل)، الذين يلجأون إلى عَقْر بقر خصومهم وغنمهم، بقطع قوائمها، وهل يجب على من عرف خصمه أن يرد بمثل فعله بعقر ماشيته لقوله تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه﴾. فرد عليهم بأن لا يفعلوا ذلك، مُدَكِّراً إياهم بأن أسلافه قد اعتنوا بهذا الأمر بدءاً من الشيخ الكبير أبي بكر بن سالم، وصولاً إلى جده لأبيه الحبيب أحمد^(١٠). ولكي تطمئن قلوبهم قالوا له: "يا حبيب أحمد أنت خصمه في الدنيا والآخرة". فرد بالإيجاب.

- طرخوا على (الحبيب) موضوع الأخدام، والمقصود بذلك الأشخاص المكلفين بخدمة عينات في جمع العشور في مناطق يافع، وهي الكأس العاشر من محاصيلهم، ويبدو أنه حصل من بعضهم تقصير أو تلاعب في مهمتهم. فرد عليهم بأنه قد وضع عليهم مراقباً من آل هرهرة (شارح آل هرهرة)، يُشرف على أدائهم، منذ عهد الشيخ الكبير أبي بكر بن سالم والشيوخ الأولين للشيخ علي هرهرة، وأن الشيخ علي بن أحمد هرهرة قد قام بمقام عينات بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن تخاصم قام عليه، وعليه أن يحدد معالم المشكلة (يَعْلَم) والقدرة



عن ذلك المنكر، ومن لم يستطع نفيه فإنه عار عليه، ويكون عوناً للجاهل. ويؤكد على وضع حقهم المستحق من (العشور) جانباً، وكأنه هنا يستعيد ما قاله والده: "وأما حقنا، قال الحبيب علي: اطرح حقنا على جنب"، وهذا الحق لا يشمل فقط الكأس العاشر من جميع أنواع المحاصيل الزراعية، بما فيها البُن، بل يشمل أيضاً النذور والهبات النقدية ونحوها.

- ولما كانت ليلة الوقوف في عرفات خرج الحبيب يطوف حول بيته، وكأنها يؤدي مراسيم الطواف بمكة وليس حول بيته، فاستقام له بعض المحبين على باب البيت وقال لهم إنهم سيدخلون الباب غداً قبله جميعاً، مَنْ حضر منهم ومن غاب وأهلهم وعيالهم ومن أوصاهم صغيراً وكبيراً وذكرأً وأنثى. والمقصود هنا بالطبع (باب الجنة).

- وفي ليلة عيد الأضحى، وحجاج بيت الله واقفون على عرفات، كان الزُّوَّار واقفين بباب بيته في عينات، راجين أجراً كأجر الواقفين بعرفات، فضمن لهم (الحبيب) أجر الواقفين بعرفات، وساوى بين الوقوف بباب بيته والوقوف بعرفات، بل جزم أن (البيت يدور بباب الشيخ سبعاً)، وكأنها سعى بين الصفاء والمروة، وفي ذلك مغالاة وادعاء قدرات خارقة، ومثل هذا الاعتقاد نجد له نظيراً لدى بعض (الأولياء) في يافع ممن ينسبون لهم كرامات مماثلة، كأن يسافر قاطعاً الطريق إلى الهند أو خرأسان ويعود في اليوم نفسه (١١).

- وضمن لهم (الحبيب) حصول العوض عن فراق أهلهم وأولادهم وعيدهم، رداً على سؤالهم: "إننا فرقنا عيالتنا وأهلنا وعيديننا وجينا عندك، نريد العوض غداً".

- كما ضمن لهم أجر تعب الطريق ومشقته في الوصول إليه باحتسابه لكل خطوة خطوها بعشر حسنات في المجيء وفي الرواح، لهم ولأهلهم ولمن أوصاهم صغيراً أو كبيراً، ذكرأً وأنثى.

- وحينما سألوه عن الطفل الصغير إذا وقعت فيه شوكة أو أدنى شيء. رد بإجابة غامضة يعلمهم أن شمس عينات تشرق على البعد وتفيء على حضر موت، فكيف يخافون!!

- وعن ما بخاطر (الحبيب) مع سلاطين يافع، شبههم بالركن، فإذا استقام الركن استقام البيت. وقال: هم محفوظون!!

- أما عن خاطر (الحبيب) من الدولة، فقال: "ما عاد جعلهم إلا للسلطين لأجل يخرجوا منهم، وإلا ولا عاد هناك شيء أبداً". ومن غير الواضح ماذا يقصد بالدولة... لكن الأرجح أنه يقصد الدولة القاسمية، التي لم يعد لها نفوذ بعد طردها من قبل سلاطين يافع وآل الرصاص والفضلي واستقلالهم عنها. وقد تمنى خروج الدولة في أبيين بقوله: (على الله عسى وخرجوا على بصر؛ لأن خروجهم تسكين للضعيف).

- طلبوا من (الحبيب) الشفاعة في عيد الأضحى لهم ولأهلهم ولمن أوصاهم صغيراً وكبيراً وذكرأً وأنثى، فضمن لهم ذلك بقوله: "يحصل لكم ولهم".

- جاء في قول (المحبين) أنهم قد نظروا (الحبيب) عياناً بياناً، فهل سيكونون بذلك كمن نظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم؟، واستشهدوا بقول الرسول ولم أجده سنداً: (من نظر إلى جسدي خرج جسده من النار). فقال الحبيب: "وأنتم كذلك؛ لأن بعض الناس ينظرون إلى جسد والسر ربان". وفي قوله هذا يساوي (الحبيب) بين من نظر إلى الرسول ومن نظر إليه، وإقرار منه بحديث لا صحة له، ربما كانت عينات مصدره لترسيخ اعتقاد المحبين لهم بكرامتهم.

- طلب منه محبوه أن يفسح لهم في ذلك اليوم في أداء (الحفّة) تعبيراً عن سرورهم بوجودهم في حضرته. والحفّة رقصة البرع اليافعي الشهيرة، ومكان أدائها يسمى (المحفّ). فسمح لهم ورأى فيها تعظيماً لشعائر الله، وإرهاباً للعدو، وشبهها بدخول الرسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ومن معه من القوم "أمراض وصحاح"، (حتى يراهم العدو ويرتهب).

- أما تعبهم في السفر مع قلّ الماء. فقال لهم (الحبيب): إذا معكم الماء لسباركم (١٢) اسقوا قراشكم (١٣) منه واسقوا إلى حد الكلب، ولا تسقوا قاطع الصلاة إذا هو معكم، وتيمّموا بالتراب للصلاة.



”وعن آل هرهرة، أكد (الحبيب) على أن مكانتهم قد وضع أساسها (وثرها) لهم الشيخ علي هرهرة، منذ أن أرسله الشيخ الكبير (أبوبكر بن سالم) مرشداً دينياً، وقال له: "أنت أعلم وأنا أكوي"، أي أن عليه أن يحدد مكان الألم أو المشكلة ومهمة الشيخ أبي بكر وضع الميسم (المكوى)، والمقصود أن يضع الحل لكل مشكلة،

وعاد إلى يافع عام ١١١٩ هـ. وفي العام التالي ١١٢٠ هـ هاجم بقوات قوامها ٢٠ ألف مقاتل من يافع وحلفائهم من المناطق المجاورة مدينة (إب)، وألحق هزيمة نكراء بقوات الإمام المهدي، صاحب المواهب، وقضى على القوة التي أرسلها لتعزيز جيشه وعاد منتصراً إلى يافع^(١٤). وقال (الحبيب): إن السلطان عمر بن صالح: (محفوظ)، وطلب أن يتركوا ضعف اليمن وضعف آيين وضعف الحد لأن مال المؤمن كدمه، ولم نعرف ما قصده بذلك.

– كما أشرك (الحبيب) المحبين في ثواب الواقفين في عرفات، وزادهم تطميناً أن الواقفين هناك في عرفات، يقفون على حصي، فيما يقفون في عينات على فُرش، وكأن في ذلك أفضلية لهم مع مساواتهم في الثواب مع من يفرش الأرض في عرفات، وقال: "ومن جاز هنا جاز^(١٥) هناك"، أي إن الواقف في (عينات) كالواقف في (عرفات).

– كما طمأنهم أن لا خوف على أهل بلدتهم (المحيين)، طالما أن شمس عينات أشرقت على البُعد... فكيف يخافون!!.

– واختتموا حوارهم بطلب الهدية للمحيين. فطمأنهم برضاه عليهم ودعائه لهم قائلاً: رُدُّوا عليهم السلام، ونحن راضين عليهم وأدعي لهم، وعلى الله القبول والحمد لله رب العالمين.

– وعند طلبهم كرامةً لهم ولأهلهم ولمن أوصاهم. قال (الحبيب) لهم: "أما علمتُم أن جلسة ساعة بين يدي ولي كمثّل عبادة سبعين سنة". وفي قوله هذا غلو وتضليل لهم؛ لزيادة تعلقهم به وبالجلوس بين يديه طمعاً بزيادة الأجر، فكيف بمن جلس بين يديه ساعات وأياماً وأشهرًا، كم سيكسب من الأجر؟!.

– وحول ما بخاطره مع (السلطين والعُقَال)، قال إنه لن يكون عاقل أو سلطان إلا ومعه عقل أربعين رجلاً؛ لأن كلاً مسؤول في رعيته. وفي ذلك تأكيد منه على أن يتحلّى أولو الأمر من السلطين والمشايخ (العُقَال) بالعقل والحكمة تجاه رعيته.

– وطمأنهم أن لا خوف على أهلهم وعبائهم بسبب بعدهم بقوله: يحصل لهم الأجر؛ لأنهم كفوكم وأنتم كفيتموهم هنا.

– وعن آل هرهرة، أكد (الحبيب) على أن مكانتهم قد وضع أساسها (وثرها) لهم الشيخ علي هرهرة، منذ أن أرسله الشيخ الكبير (أبوبكر بن سالم) مرشداً دينياً، وقال له: "أنت أعلم وأنا أكوي"، أي أن عليه أن يحدد مكان الألم أو المشكلة ومهمة الشيخ أبي بكر وضع الميسم (المكوى)، والمقصود أن يضع الحل لكل مشكلة. ورأى (الحبيب) في (ناصر) البركة، ويعني بذلك السلطان الصالح ناصر بن صالح هرهرة، الذي خلف والده بعد وفاته سنة ١١١٦ هـ، ولأنه كان ورعاً وزاهداً في الحكم، فقد تنازل لأخيه السلطان عمر بن صالح بن هرهرة. وهذا الأخير هو ما قصده الزُّوَّار (المحبُّون) بقولهم للحبيب: خاطرك مع عمر، أنه يثب بالحرب، أي إنه شجاعٌ، ومقدام، وصال وجال، ووثب وكر في المعارك، وقد كان كذلك؛ فهو الذي اتجه عام ١١١٦ هـ على رأس قوات مؤلفة من ستة آلاف مقاتل من يافع إلى حضر موت استجابة لاستغاثة منصب (عينات) للقضاء على نفوذ الإمام المهدي، ومحاربة السلطان عمر بن جعفر الكثيري، الذي خضع لسلطان الإمامة واستعان بجنودها في حكم حضر موت، وقد استولى السلطان عمر بن صالح هرهرة على جميع حضر موت، وطردها منها قوات الإمام،



الخلاصة:

- تعود هذه الوثيقة إلى عهد منصب عينات أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن سالم بن أحمد بن الحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم (١١٤٢-١١٧٧ هـ)، وهي وثيقة صادقة، لا يرقى إليها الشك؛ لأن خبرها امتزج بمشاعر الحب من محبين يجُلُّون ويؤثرون مناصب عينات، بل ويتزَّهُونهم. وربما كان باعث تدوين ما دار من حوار بين (المحبين) و(الحبيب) حرصهم على حفظ محتواها وإيصاله إلى محيط أوسع في يافع، ممن ينتظرون عودتهم بشوق، للاطلاع والأخذ بتعاليم (الحبيب) ونصائحه والابتعاد عن ما نهى عنه، وتبشير الأهل والأصحاب ممن أوصاهم صغيراً أو كبيراً، ذكراً أو أنثى، بما أغدق به عليهم من رصيد الأجر والثواب ومغفرة الذنوب!!

- تعكس الوثيقة في مضمونها بصورة جلية طبيعة العلاقة بين يافع وعينات، التي يصحُّ وصفها بـ(علاقة التابع والمتبوع)؛ إذ تكشف لنا تعلق اليافعيين -في تلك الفترة- دينياً وروحياً بمناصب عينات، والعودة إليهم كمرجعية دينية في شؤون دينهم ودنياهم، واتباع ما يصدر عنهم من تعليقات وأوامر دون اعتراض، والسعي لكسب رضاهم، وكأنهم بذلك يرضون الله ورسوله، وقد صوّرت بتلقائية علاقة التبعية الروحية من محبين يعتقدون ببركة عينات ومناصبها، لذلك كان وجهتهم في عيد الأضحى؛ لاعتقادهم بأنها أفضل الأيام للتطهر من الذنوب، وطمعاً بزيادة البركة، والفوز بالأجر ومغفرة الذنوب، والتزوّد بما يغدق عليهم الحبيب من بركاته وتوجيهاته، ولا شك في أنهم غادروا عينات بنفوس راضية، لشعورهم أنهم تطهروا من الذنوب الثقيلة، وعادوا منها محمّلين بالחסنات التي احتسبها لهم (الحبيب)، ولم تغادر أسماءهم أقواله: من عرفنا هنا عرف الله... أما علمتم أن لكم بكل خطوة عشر حسنات... أما علمتم أن جلسة ساعة بين يدي ولي كمثال عبادة سبعين سنة... ومن جازَ هنا جازَ هناك... إلخ.

”تعود هذه الوثيقة إلى عهد منصب عينات أحمد بن علي بن أحمد بن الحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم (١١٤٢-١١٧٧ هـ)، وهي وثيقة صادقة، لا يرقى إليها الشك“

- تبين لنا الوثيقة أيضاً كيف استغل مناصب عينات مكانتهم وتأثيرهم الروحي في أتباعهم، المحبين لهم في يافع؛ لترسيخ أوهام كثيرة عن كراماتهم وقدراتهم الخارقة، التي تزيد من تعلقهم بهم، وتقربهم إليهم بالسمع والطاعة، والإيفاء بإيصال النذور والهبات، وتهديد من يُقصرُ بأدائها بالويل والثبور... إلخ. ومثل هذا التوجه لمناصب عينات نجده كثيراً في مراسلاتهم إلى يافع، التي ترفع من قدسية سلفهم الشيخ أبي بكر بن سالم ونجله الحسين، وأن من كان معهم كان الله معه، ومن أخلص معهم شكر الله سعيه، وأجزل خيره، وكثر الله ماله وأولاده، ومن خالف كلامهم فيا ويله منهم، ويخسر ويندم، ولا يبلغ لا مطلوباً ولا مقصوداً؛ لأن كلامهم -كما يزعمون- ما يخرج من لسانهم إلا وقد أخرجته قدرة الله ربنا، ويا ويل من خالف القدرة. وقد وجدت مثل هذه التعبئة أرضية لها في يافع، وترسّخت في اعتقادات كثيرين^(١٦).

- وبقدر حرص مناصب عينات على تعزيز نفوذهم الروحي ورفع مكانتهم في نفوس أتباعهم، فقد كانوا حريصين أيضاً على توجيههم في أمور دنياهم، وتوحيد كلمتهم، وحل أية خلافات قد تنشأ بإصلاح ذات البين؛ لأن استقرار مناطق يافع وأحوال أهلها من شأنه أن يعود على عينات بالمنافع، وتدقّق النذور والهبات إلى خزائنها، وكذلك تجنيد المقاتلين إذا لزم الأمر؛ لنجدة عينات أو حضر موت إذا لزم الأمر، وحملة السلطان عمر بن صالح لطرده الزيدية من حضر موت خير مثال.



كل من: الفقيه عبد الحبيب بن أحمد حيدر والشيخ عبدالله بن عوض دينيش وكافة المحبين بني بكر والمحبة محمد صالح، ومما جاء فيها لتعظيم مكانة عينات ورفع شأنها ومكانتها قوله: "صدرت الأحرف من محروس عينات، بندر صالح الدعوات، بصلاح الحالات، وإنزال البركات، وإسبال الرحات، وحفظ الثمرات، وكفاية البليات، ويصرف الله عن الجهة منحسي الأذيات، ويكثر الله الخيرات، ويصلح النيات، ومعتنين بكم غاية الاعتناء، ومعكم ظاهراً وباطناً، ولا نغيب عنكم طرفه عين، لأنكم الخلاصة لنا، والعلاقة بنا، الأول بالأول، والتالي بالتالي، ومن كان معنا كان الله معه، ومن أخلص معنا شكر الله سعيه، وأجزل خيره وكثر الله ماله وأولاده، فأوصيكم بإخلاص النية وإقواء العقيدة والتمسك بالإنذار بحميكم الله آناء الليل وأطراف النهار، وعليكم بالبركة والود للمسانح المبارك يخلف عليكم بجميع المطالب والمقاصد وصلاح الأحوال باطن وظاهر، وكتابكم العزيز وصل وبه الأنس الوافر النعيم حصل، وحمدنا الله على عافيتكم وصحة ذاتكم، وانتظام صنعائكم، ورخاء أسعائكم وفهمنا ما شرحتموا الجميع وتذكر أن ربنا من بالرخاء وأبذل الفضل والماء، فنسأل الله الكريم أن يفضل عليكم بخيره العميم وضاه الجسم وتدموا في خير وسرور وأنس وجور وما أرسلتوها اثنتي عشرة القرش بيد المحبة الخلاصة حيدر عبدالله وصلت تقبل الله منكم وأخلفها عليكم بحال الحال وصالح الذرية والعيال وكثرة الأموال والزيادة في جميع الأحوال والله الله عرفوا المحبين بالإخلاص والود الإخلاص الإخلاص يا محبين الدرك على الله ثم عليكم..."

ثم يواصل الترغيب والترهيب بقوله: "وتذكرون أن عرضنا على المحبين الجميع وطربوا بها في الأسواق فهذا حسب الظن فيهم وعرضنا عليهم كالجبال الرواسي، فمن قبلها سعد وظفر ونال كل مطلوب ومقصود، ومن خالف كلامنا فيا ويله منا ويخسر ويندم ولا يبلغ لا مطلوب ولا مقصود، وكلامنا ما يخرج من لساننا إلا وقد أخرجه قدرة الله ربنا، وبإل من خالف القدرة، فالله الله عرفوا المحبين في الإخلاص لنا، والاعتماد على كلامنا تنالوا جبرنا ورضانا ودعانا، جملكم الله دنيا وآخرة آمين".

ويختتم بالدعاء التالي: "والدعاء لكم مبذول عند الصلوات والحضرات والزيارات، عند ضريح فخر الوجود، ومهد كل موجود، غوث الملا، ومدمر المخالفين الأعداء، الذي أعطاه الله النصر حياً وميتاً، الشيخ الأكبر، والكبريت الأحمر، والكنز المدخر، ذي النور الساطع، والفخر الجامع، والسيف القاطع، والرمح القامع، صاحب الكرامات الخارقات، والأنوار الساطعات، والشموس الشارقات، والبوارق اللامعات، الشيخ أبو بكر بن الشيخ سالم والحبيب الحسين وأولادهم أهل الكتيب الأحمر والثريب الأخضر في عينات، حيث الأرض منها النور فاض، وبحرها ليس يختاض، خلوا الاعتراض، يا أصحابنا كونوا أنفاس، سيروا بانتهاض، زوروا بلاد المحاييب، يا مولى الكتيب، ترابها طب لجراح، منه المسك فاح، من شم هاتيك الأرياح، يغتم واستراح، مرَّع بها الخديا صاح، إن رمت النجاح، وزر قبيها بترتيب، يا مولى الكتيب، بالعافية الضافية، والنعمة الدائمة، والكلمة العالية، والرتبة السامية، والحفظ والحماية والذرية الكثيرة القوية الصالحة والجمالة دنيا وآخرة وإنزال الخيرات والبركات وعموم الرحام وصلاح الحالات حاكم الله خالق السموات والأرض". [انظر صورة ونص الوثيقة كاملاً في كتابنا: دولة بن مقبص في حضر موت، ط ١، ٢٠٢٣م، ص ٨٨].

الهوامش:

- (١) هداية الأخيار في سيرة الداعي إلى الله محمد الهدار، حسين بن محمد الهدار ص ٤٣٩، وكذا صحيفة (الأيام) ١٣ نوفمبر ٢٠٠٣م، العدد (٤٠٢٤).
- (٢) انظر: الموسوعة الياقينية، نادر سعد عبادي بن حلوب العمري، م/١، ج ١: ص ٨٢-٨٣.
- (٣) أعلام الشعر الشعبي في يافع، أ.د. علي صالح الخلاقي، ط ١/ ٢٠٠٩م/ ص ٤١٨.
- (٤) مُلَرَّب: مُحَاط، أو حُمي، والدَّرَب في لهجة يافع هو السور المحاط بالبيت ونحوه.
- (٥) يقصده به الشيخ أبو بكر بن سالم، ففي لهجة يافع يُستغنى عن الهمزة في بداية اسم "أبو بكر" وعن الراء في نهايته ويُنطق "بُوبَك"، ومن ذلك قولهم "بُوبَك للعدود". كما تُسمى مدينة بني بكر، كبرى مدن يافع "بُنيك".
- (٦) أعلام الشعر الشعبي في يافع، أ.د. علي صالح الخلاقي، ط ١/ ٢٠٠٩م/ ص ٤٤٣.
- (٧) انظر مؤلفه "إدام القوت في ذكر بلدان حضر موت"، دار المنهاج، ٢٠٠٥م، ص ٩٨٢.
- (٨) انظر: صلاح البكري: في شرق اليمن يافع، ص. د. محمود علي محسن السالمي: السلطنة العفيفية، دار الوفاق - عدن، ط ١، ٢٠١٤م، ص ١٣٧. فيما يرجع أحمد فضل بن علي محسن العبدلي وفاة السلطان معوضة إلى سنة ١١١٤هـ (انظر: هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، دار العودة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ص ١٠٧).
- (٩) يذكر العبدلي أنه في ٢ شوال من سنة ١١١٤هـ اجتمع السلطان قحطان والسلطان صالح بن هريرة والسلطان أحمد بن علي الرصاص والسلطان منصر بن صالح العولقي في العر وحسموا الخلاف الحاصل بين السلطان قحطان والسلطان أحمد بن علي بخصوص أطراف آيين (هدية الزمن، ص ١٠٧).
- (١٠) الحبيب أحمد بن علي بن سالم بن أحمد بن الحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم (خلف أباه وتولى المنصب بين سنة ١٠٦٩ - ١١١١ هجرية).
- (١١) على سبيل المثال، الولي عبدالله عاطف الخلاقي، كان الناس يتبركون بضرجه في مسقط رأسي.. وجاء في قصيدة للشاعر صالح سند توجه بها إلى الشيخ عبدالله في حياته معترفاً بكراماته قائلاً: [انظر: د. علي صالح الخلاقي: صالح سند... خير من نشد، ٢٠٠٦م، ص ٤٨-٤٩]
- وبعد يامر سلمي شد السفر عاني وشل ذا الخط من ذي شرف اقواله
- قرية خلّاقه وخُصّ الشيخ بالغالي بن عاطف الجيد ما حد مائل امثاله
- لا سار لا الهند والألا خريسانني خذ بالطرق يوم للسيرة ترحاله
- ويوم ثاني رجع واثه بلوطاني ولا يخابر تقول الناس ما قاله
- (١٢) سباركم، من السَّبار: الاحتياج اليومي من للاستهلاك سواء من الماء أو الطعام.
- (١٣) القُرَّاش: الحيوانات الأليفة.
- (١٤) محمد علي دبي الشهاري: اليمن في ظل حكم الإمام المهدي المعروف بـ (صاحب المواهب)، صنعاء، ط ١، ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩م، ص ١٨٦-١٨٧.
- (١٥) جازَ الموضوع / جازَ بالموضع: سلّكه وتركه خلفه، سار فيه وقطعه (معجم اللغة العربية الماصرة).
- (١٦) تأكيداً لذلك، لعله من المفيد أن نورد -على سبيل المثال بعض ما جاء في رسالة منصب عينات أبي بكر بن أحمد بن سالم بن الشيخ أبي بكر بن سالم (١٢٤٢هـ / ١٢٦١هـ) التي بعث بها من عينات إلى بني بكر سنة ١٢٤٤هـ، إلى

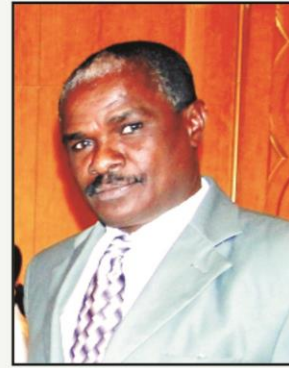
معالم من جغرافية حضرموت

وادي بدش



صلبة متماسكة وأحجار صغيرة، إلى رمال متحركة ذات كثران رملية، بعضها هلالى الشكل، والبعض الآخر كتلى وشبه دائري. وتوجد أيضاً الترب، منها الطينية والفيضية والرملية، وكذلك العيون والينابيع، وقد تفاعل معها الإنسان الحضرمي في كل حلقات السلسلة التاريخية، منذ أن استقر على هذه الأرض إلى يومنا هذا، فأتى شكلاً آخر من المعالم الجغرافية في هيئة مظاهر حضارية متعددة ومتنوعة.

ستكون أولى حلقات سلسلة المعالم الجغرافية لحضرموت المتعددة من الأودية التي شكلت موطن الحماية للإنسان في مرحلة مبكرة من تاريخهم، وأوجدت موارد للإعاشة. أودية حضرموت كثر، بعضها أخذ حيزاً واسعاً من النشر في المجالات العلمية والثقافية، ولكن بعضها الآخر لم يزل مجهولاً رغم تفرده ببعض الظواهر الطبيعية والحضارية عن غيره من أودية حضرموت، ولعل وادي بدش يدخل ضمن الأودية الفريدة المجهولة جغرافياً.



أ.د. رزق سعد الله بخيت الجابري*

الناظر إلى خريطة حضرموت يشاهد عدداً من المعالم الجغرافية، فهناك المعالم الطبيعية التي تتنوع بين السهول الساحلية والسهول الداخلية والجبال الشاهقة والهضاب التي تكثر فوق سطحها التلال أو القور كما يسميها البعض، وبين تلك المرتفعات تكثر الأودية التي تتباين في أطوالها واتساعها، وهناك الصحارى التي تختلف طبيعتها من أرض



خريطة وادي بدش

فمع كل سيل تنجرف التربة، وتقلص المساحات الزراعية. يستكر الحضارم كعادتهم - في صراعهم مع الطبيعة الحلول، فكما لجأ الأقدمون في مواجهة الجفاف والابتعاد التدريجي عن الزراعة البعلية (زراعة الأمطار) من خلال حفر الآبار الجوفية، وابتكار السناوة للزراعة، وتعويض الأرض الزراعية التي اقتطعت بسبب الجفاف. فقد ابتكر أهالي بدش بناء المدرجات الزراعية؛ لتعويض المساحة التي تجرفها السيول.

تنتشر الزراعة وخاصة في الجزء الأعلى من وادي بدش على ضفتيه في شكل مدرجات، وهذه هي الميزة التي ينفرد بها وادي بدش عن بقية أودية حضرموت؛ فزراعة المدرجات هي النمط السائد للزراعة في وادي بدش؛ إذ استطاع الحضارم في هذه البقعة الجغرافية المعرضة للفيضانات مع كل سيل أن يتغلبوا على هذا الأشكال من خلال بناء مدرجات زراعية، إذ كانت الأحجار أساساً لبناء هذه المدرجات وتُنقل من بطن الوادي، وأما التربة فيتم جلبها إلى المدرجات الزراعية من مسافات بعيدة بواسطة وسائل نقل بدائية كالحمير والجمال.

هناك قنوات الري قد بُنيت على نظام هندسي دقيق للاستفادة من العيون التي تنتشر بشكل كثيف في الوادي، فقد

يقع وادي بدش في مديرية الريدة وقصير، في أقصى شرق ساحل حضرموت، وينحدر من منطقة التجمع المائي للسلسلة الجبلية الساحلية لحضرموت، حيث تلتقي به في مجراه الأعلى ثلاثة أودية، وتشكل بعض الشعاب الصغيرة روافد له. يبلغ طوله بالتجمع البشري الذي على حافته على بعد ٢٨ كيلومتر من مدينة الريدة عاصمة المديرية. يتميز الوادي بالضيق وانحداره الشديد في المجرى الأعلى، ولكنه يأخذ في الاتساع والانحدار التدريجي باتجاه المصب، إلى أن يندمج مع السهل الساحلي مشكلاً دلتا صغيرة. هذه الطبيعة الجغرافية للوادي انعكست على نمط الاستيطان والأنشطة الاقتصادية للسكان.

يظهر الاستيطان البشري على شكل قرى صغيرة على ضفتي الوادي، يتموضع بعضها في أعلى السلسلة الجبلية للوادي على ارتفاع شاهق كما في قرية الخيف، وبعضها بالقرب من بطن الوادي كقرية الردة والجحا، وبعضها الآخر في انحدار متوسط مثل قرية صرصر وقرية العرض وقرية الرزمة.

تشكل الزراعة والرعي النشاط الاقتصادي الرئيس للتجمعات البشرية في الوادي الذي يقع على هامش التنمية، وأهم المحاصيل الزراعية، هي: النخيل والمانجو، ومنها الذرة والموز والبطاطا والبرسيم الحجازي. غير أن مساحة الوادي الزراعية تتعرض للانكماش بسبب السيول الجارفة، فمع كل سيل يُقَطَّع جزءٌ من المساحة الزراعية، لذلك فإن مشكلة جرف التربة تأتي في مقدمة المشكلات الزراعية.

لقد كانت بداية صراع الحضارم مع الطبيعة - كما تدونه المصادر التاريخية - في الألف الأول قبل الميلاد؛ بسبب الجفاف، عندما أخل بعلاقة التوازن بين الإنسان والموارد، ولا سيما إنتاج اللبان، بعد موت أعداد كبيرة من أشجاره بسبب هجرة الحضارم، فان هذا الصراع ما يزال في وادي بدش، ولكنه صراع مع الفيضانات الذي تحول إلى صراع مستديم،



صورة مدرجات زراعية

التي يتعرض لها وادي بدش، كما تنتهي بعض القنوات في أحواض لتجميع المياه، ثم إعادة تصريفها للزراعة وقت الحاجة. إذا كان الري يُعدُّ من أهم المنشآت الحضارية المعروفة في أودية حضرموت، فإن المدرجات الزراعية في وادي بدش

شُقَّت هذه القنوات من منابع العيون، وهي متباينة في أطوالها، فبعضها شقٌّ لمسافة قصيرة، والبعض الآخر شقٌّ ليمتد لمسافات طويلة، لري المساحات الزراعية في المجرى الأوسط للوادي، وقد استطاعت تلك السواقي أن تقاوم السيول الجافة،



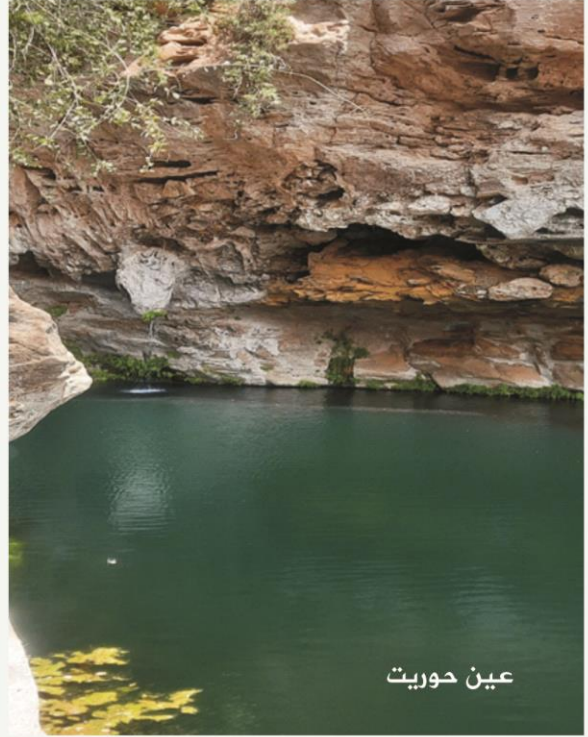
صورة قناة ري طويلة من المجرى الأعلى إلى الأوسط تمتد عدة كيلو مترات



الارتفاع إلى بطن الوادي. العين عبارة عن حفرة عميقة، في شكل كهف دائرية الشكل واسعة، مأوها مستديم صافٍ، من سقفها تنزل المياه في شكل قطرات، عند مدخلها توجد مصطبة يمكن للزائر الجلوس فيها حيث الظل المستدام. ولكن زمن السياحة بحسب المعطيات الجغرافية يكون في فصل الصيف مع موسم الخريف، حيث تنتشر أشجار النخيل، ويمكن الزائر أن يستمتع بمظهر النخيل المثمر، إلى جانب أشجار المانجو والموز، التي تشكل مع السلسلة الجبلية مظهرًا طبيعيًا جميلًا خلّابًا.

أما النمط العمراني فمغاير للأنماط العمرانية في حضرموت، فقري وادي بدش تأخذ النمو الكتلي؛ إذ يستغل السكان مناطق الفراغات الجبلية للبناء، أو حتى على بعض السفوح الجبلية. إذا كانت المظاهر الطبيعية والحضارية تمثل الشق الأول لوادي بدش فإن الإنسان الذي أسهم في صناعة بعضها يعد العنصر الأهم، أما الشق الثاني من المنظومة الجغرافية للوادي فهو العنصر البشري، المتمثل في التماسك الاجتماعي، والحفاظ على منظومة القيم الاجتماعية، رغم التحضر التدريجي، الذي أخذت مظاهره تبرز في الوادي.

* أستاذ جامعي باحث في السكان والتنمية.



لهي من المعالم الحضارية المجهولة التي لم يتناولها الإعلاميون أو الكتّاب، ولم يذكرها واضعو مناهج التاريخ والجغرافيا في حضرموت وإدراجها كشواهد تاريخية وجغرافية شاهدة على حضارة حضرموت وابتكار الإنسان في هذه الأرض في صراعه مع الطبيعة.

هناك مظاهر طبيعية تجعل من وادي بدش واجهة للسياحة، منها النباتات الطبيعية، غير أن عين حوريت تأتي في مقدمة تلك المعالم؛ فالعين تتموضع في بطن الوادي، ومن جمال الوصول إليها الهبوط من منتصف السلسلة الجبلية الشاهقة



صورة للنمط العمراني

رحلة على ضفاف الأودية من الساحل إلى داخل حضرموت*



تحمل عدداً من رجال جيش البادية الحضرمي، وضابطاً سياسياً هو المستر جون جوبل (John Goebel) قاصدين العاصمة الكثيرة سيئون! فسلكت السيارة الطريق القبلية، أي طريق دوعن (طريق السيارات المؤدية إلى حضرموت الداخل اثنتان: القبلية هذه، وأخرى شرقية تعرف بطريق الكاف نسبة إلى آل الكاف الذين أصلحوا الطريق). ومرت السيارة بالديس والمعاص ولم تقف إلا قليلاً بجانب النويمة التي تبعد عن المكلا خمسة عشر ميلاً. ثم شقت السيارة طريقها مارّة بقرى صغيرة بعيدة عن الطريق الرئيس للسيارات. يصف مراسل الجزيرة إعجابه بما رآه: "كنت أشاهد بعض التلال الدكناء منحوتة بشكل طبيعي، كأنها آثار فنية بديعة، خلّفتها وراءها تلك الأمم الغابرة التي سكنت حضرموت وعمرتها. ومنظر الرعاة البدو وأغنماهم وأنعامهم الكثيرة كان جذاباً، يلفت الأنظار خصوصاً، وقد بدأت الغزالة ترسل أشعّتها الملتهبة على تلك البقاع الخضراء، التي تكتنفها جبال دكناء جرداء، وكأنها أفريقية عارية، تقدّم بدنها لحرارة الشمس الدافئة".



د. عبد الخالق عفيف

عند اشتعال شرارة الحرب العالمية الثانية قابلها الحضارم بالخوف والذعر من استعمار نارها إلى الشرق الأقصى، ولكن سرعان ما زال ذلك الخوف وعاد الناس إلى حالتهم الطبيعية؛ لأن مجرى حياتهم لم يتغير بشكل محسوس فيما توجس منه بعض الحضارم خوفاً من المستقبل ومن خطر يمكن أن يهدد حضرموت فينذر بالمجاعة وحالة من الفوضى والاضطراب يعم فيه السلب والنهب. وفي ظل تلك الأوضاع التي سادت حضرموت انطلقت رحلة محمد أحمد بركات (مراسل صحيفة فتاة الجزيرة) في الصباح يوم الثلاثاء ٩ سبتمبر ١٩٤١م على متن سيارة تابعة للجيش،



قطعت مسافة عشرة أميال، حلّ المساء، ولم تظهر المشهد، واستاء الضابط السياسي المستر جون جوبل (John Goebel) كثيراً، وصبّ غضبه على الشخص الذي غرّر بهم وقدر المسافة خطأ، وقرّر الجميع قضاء الليلة في الخلاء، تحت تلّ صغير تقع عليه قرية الهجرين، فأنزل المتاع من السيارة، وتناول الجميع طعام العشاء وقليلًا من الشاي، ثم ناموا بعد رحلة يوم شاق.

وفي الصباح الباكر تحرّكت السيارة إلى المشهد، وكان في استقبالهم السيد أحمد بن حسن مَرَحَبًا بهم وأخذهم إلى داره من أجل الراحة وشرب الماء. وقَدَّم لهم الفطور من العسل والسمن والبيض وأرغفة من الدُّخن المحلي، فوصف المستر جوبل الفطور: "بالمنّ والسُّلوى". وبعد بضع دقائق وصلت سيارة "جيش المكلا النظامي" حسب الاتفاق، فيقول بركات: "إذ كنا في الواقع منتظرينها على أحرّ من الجمر"، ونزل منها عدد من الجنود بقيادة الضابط الهندي، فأكلوا وشربوا واستراحوا. وطلب الضابط السياسي الإنجليزي من السيد أحمد السماح باستئناف الرحلة، من أجل الوصول إلى سيئون قبل الغروب حسب ما خُطّط له في الرحلة، فأذن لهم السيد أحمد بن حسن بعد ممانعة؛ لأنه كان يريد استضافتهم لتناول وجبة الغداء، وهكذا استؤنفت الرحلة إلى سيئون.

ويصف سير السيارة على الطريق الجبلية بأنها شاقّة، فكانت تارةً تصعد تلالاً، وتارةً أخرى تنحدر إلى الطريق المستقيم. لا تكلُّ ولا تملُّ لولا أن عطباً أصاب محرّكها فأعاقها عن سيرها بضع ساعات. وبعد إصلاح الخلل استؤنفت الرحلة حتى وصلت إلى قَمّة وادي ليسر بدو عن الساعة الخامسة مساءً. ثمّ انحدرت إلى اليمين نحو عقبة الجحي، فكان السير فيها مُجَازِفَةً بسبب أنّ الطريق ملتوية وذات تعرّجات مخيفة، إذ يقول: "كان الناظر إلى أسفل يُخيّل له أنّ الساعة آتية لاريب فيها... ولولا ما لخضرة الوادي ومنظره الطبيعي الساحر من تأثير على النفس والمشاعر، ينسى النازل من ذلك الارتفاع الهائل خوف السقوط ولقضى المرء نحبّه من الخوف فقط!". ومع غروب الشمس وصلت السيارة إلى وسط قرية الجحي، فأخذ الجميع قسطاً من الراحة، ومن شدة التعب لم يشعر بالجوع أحد. وفضّل الجميع قضاء الليلة في الجحي، وتكلّم أحد رفاق الرحلة بالمشورة إلى الضابط الإنجليزي بالنوم في قرية المشهد التي يقيم فيها المنصب السيد أحمد بن حسن، وقَدَّر لهم المسافة بين المشهد والجحي بعشرة أميال فقط، واتضح لهم فيما بعد انها تقدر بحوالي ٢٥ ميلاً. يبدو أنّ الضابط الإنجليزي يقوم بالرحلة لأول مرة، فعندما غادرت السيارة الجحي المخضرة نحو المشهد، وبعد أن





يصف مراسل صحيفة فتاة الجزيرة الطريق من المشهد إلى سيئون: "لم تكن الطريق هذه المرة بأحسن من الأولى، إلا أنها تختلف عنها بكونها رملية". وكثيراً ما تتوقف السيارات لساعات لتنفيس الهواء من العجلات من وقت لآخر؛ حتى تمر بسهولة في الكثيب.

وصلت السيارات أول حد من حدود القطن التي سيطر عليها بعض من قبائل يافع ويصف المراسل القطن قائلاً: "ليست بلداً كبيرة واسعة المساحة، ولكنها خصبة، وبها من النخيل الشيء الكثير". ولم تتوقف السيارات فيها إلا خمس دقائق لتعبئة الخزانات بالماء. ثم استأنفت السيارات رحلتها بين أشجار النخيل باتجاه مدينة شبام، الواقعة في الشمال الشرقي من القطن دون توقف لوجبة الغداء؛ إذ وصلنا إليها في الساعة الخامسة مساءً. ويصف مراسل فتاة الجزيرة شبام بأنها "مدينة مربعة الشكل، محاطة، يظنّها الرائي من بعيد داراً واحدة! ويقال إن عدد بيوتهم لا تزيد على ٥٠٠ بيت، وهي مركز تجاري مهم بالنسبة إلى داخل حضر موت". ولم تتوقف السيارات فيها؛ إذ واصلنا الرحلة بين القرى الصغيرة ولم نستطيع وصفها لشدة الظلام فيها مروراً بالطرق الواقعة في الجهة الغربية لغرفة ابن عبدات دون المرور وسطها. ويصف الغرفة قائلاً: "هي عبارة عن مدينة صغيرة - إن سموها مدينة -، واقعة تحت هضبة تطل عليها من جهة، ويحيط بها سور مرتفع". ويرجع سبب عدم مرور

السيارتين بالغرفة يعود إلى حالة العداء القائمة بين ابن عبدات والسلطات الحاكمة.

وتواصل الرحلة السير في المساء، وماهي إلا مسافة قصيرة حتى ظهرت مدينة سيئون بأضواء السيارات بعد يومين من السفر. خلاصة الرحلة المضنية ليومين من السفر من الساحل إلى الداخل أي أنها تعطيني صورة جميلة عن طبيعة حضر موت الخلابة، بتضاريسها الرائعة، وحالة الهدوء والسلام والاستقرار الاقتصادي، الذي لم يدم طويلاً حتى حلت المجاعة في حضر موت عام ١٩٤٣م.

*بموجب تجديد المكاتب القعيطية - الكثيرة لسنة ١٩١٨م في مارس ١٩٣٩م التي وضعت السلطنتين تحت تكوين إقليم واحد يعرف بحضر موت؛

Records Of Yemen.VL9/1933-1945.pp243-245



جلسات الدان الموروثة في مدن وادي حضرموت



للتعريف بحضارة حضرموت الموسيقية التي طبعت من قبل اليونسكو في قرص مضغوط عام ١٩٩٨م^(١).
في تلك الفترة كنت أعمل على التعرف على التقاليد الموسيقية في أنحاء مختلفة من الجزيرة العربية، كقطر والبحرين والإمارات وعمان، ثم سوريا والعراق في الشرق الأوسط. وعند زيارتي الأولى للوادي عام ١٩٨٥م أثارت جلسات الدان التي تعتمد الارتجال الشعري الجماعي الذي يؤدي غناء - انتباهي؛ لأنني لم أجد لها شبيهاً في المناطق العربية التي زرتها، وشعرت وكأنني عثرت على كنز، يمثل امتداداً لأداء الشعر المغنى الذي عرفت به الجزيرة العربية منذ العصور السابقة للإسلام، وليس ذلك مستبعداً بحكم الموقع الجغرافي للوادي، الذي يسهل عملية تناقل تقليد جذوره ممتدة بعيداً.

ثم إن ما لفت انتباهي هو الاهتمام الفائق الذي يكنه الحضارة رجالاً ونساءً بكل أعمارهم وانتماءاتهم الاجتماعية لهذا النمط الشعري الغنائي، حفظهم لأشعاره وغناؤهم له،



شهرزاد قاسم حسن

ترجع تجربتي الميدانية في التعرف على الحضارة الموسيقية للقسم الجنوبي من اليمن إلى الفترة الممتدة من أواسط الثمانينيات إلى تسعينيات القرن الماضي؛ إذ قمتُ بزيارات إلى حضرموت الداخل والساحل إضافة إلى مدينة عدن. في هذه الزيارات تعرفت على أنواع مختلفة من الغناء التقليدي للمنطقة الأمر الذي ساعدني في اختيار نماذج مختلفة منه



أضف إلى معرفتهم بأسماء شعرائه، ومغنييه وملحنيه، الأمر الذي لم أجده مثيلاً بهذه الكثافة والدقة في منطقة أخرى من العالم العربي. فقد وجدت في بيوت مختلفة لرجال ونساء من طبقات اجتماعية متباينة، احتفاظهم بدفاتر يدونون بها أشعار الدان القديمة والحديثة.. وفي الواقع أن التمسك بتقليد مثل هذا ليعبر عن الاعتزاز بمكانته عند كل الذين التقيت بهم في

مدن الوادي من سائقي التاكسي إلى البائعين في الأسواق، وإلى كبار وجهاء القوم وساداتهم، كما انعكس في تكريم رؤاد الجلسات ومغنيي هذا الشعر في صور كبيرة الحجم كانت قد علقت في ساحات مدينة سيئون.

لا بد أن أضيف هنا أن حضر موت في الفترة التي عرفتُها، شأنها شأن عدن، كانت تهتم بدراسة كبيرة بالثقافة المحلية؛ إذ اعتمدت طباعة الكتب المؤلفة والمترجمة ما عدا وجود نشرة خاصة بالدان تسمى "حولية الدان" التي تُعنى بمساجلات أشعار الدان، والتي كانت تصدر عن إدارة الثقافة في سيئون؛ لتوثق كل ما ينبثق من شعر في الجلسات المختلفة كما تشير إلى مؤيديه - خاصة الشعراء منهم وإلى تاريخهم.

ومما يثير اهتمام الباحث الذي يعمل في مجال الثقافات الشفهية هو أنه في اليوم التالي للجلسة يُطبع كل ما ارتجل من شعر بالآلة الطابعة؛ ليدخل في سجل تراث الدان، ولينتشر بسرعة عجيبة في أرجاء الوادي، ويصل إلى الساحل، ذلك أن هذه الجلسات تعد منجماً للإبداع الشعري الذي يستخدم فيما بعد في غناء الأنواع الأخرى من الدان، كدان الجمالة الذي يؤدي بصورة منفردة، أو دان النساء الذي يؤدي في الأفراس والأعراس مع مصاحبة آلات الإيقاع، ودان الطرب الذي يؤدي أمام الأصدقاء في الأماسي. والفارق بينهما هو أن جلسات الدان هي التي تخضع أساساً لقاعدة الارتجال الشعري.

إن ظاهرة هذا التوثيق الشعبي المستمر، لم أجدها مثيلاً بهذه الدقة والاستمرارية في أي منطقة أخرى من مناطق العالم العربي التي عرفتُها لأي نمط صوتي أدائي.

تمثل جلسات الدان التي تعتمد المساجلات (٢) طقساً خاصاً بوادي حضر موت، يتركب كما عرفتُه (٣) من أجزاء تجري وفق أصول، يعرفها حاملوها من المؤدّين، وتفرض عليهم سلوكاً معيناً من الاحترام. وتتميز باشتراك عدد من المغنين والشعراء، الذين يقومون بتبادل مستمر أو حوار على درجة عالية من الوجدانية أمام جمهور، يتكوّن عادةً من العارفين أو المختصين.

ثم إن جلسات الدان تمثل المكان الوحيد الذي وجدته في الموسيقى العربية الذي يمكن للمستمع أن يكون فيه شاهداً فيه لعملية الخلق الآني من قبل مجموعة من الشعراء لمادة شعرية، تتحوّل حالاً إلى غناء، وهي بذلك تختلف عن ارتجال الزجل المعروفة في لبنان مثلاً التي لا يدخل فيها عنصر الغناء المباشر.

إن المادتين الأساسيتين المتداولتين في جلسات الدان هما، أولاً الغناء، ومن ثم الشعر المرتجل؛ وهاتان المادتان تكونان حجر الأساس لطقس الجلسة المكوّن عادة من عدة فصول، يتداولها فاعلون ثلاثة، وهم حسب تسلسل أدوارهم: المغني أو المغنون، الشاعر أو الشعراء، ثم الملقّن. ويمكن



أصبح متداولاً. ونجد الكثير من الشعراء يُثبتون على الورق كل ما يخرج من قريحتهم، كما أن الملقّن كثيراً ما يستخدم القلم لتثبيت البيت الشعري الذي شهد ولادته، الأمر الذي يساعد في طباعته في اليوم التالي.

وأخيراً إن الجمهور، كما كان الأمر في كثير من أنواع الموسيقى التقليدية، يكون عادة جمهوراً مُلمّاً بالمادة و بسيرة الطقّس، كما يمكن أن يكون عارفاً بأسرار الأوزان ودرجة صعوبتها أو سهولتها، متذوّقاً للغة العربية المحلية، وللمعاني التي يتغنّى بها الشعراء، والجمهور التقليدي هذا جمهور فاعلٌ ومساهم بطريقتهم مباشرة؛ فهو يعبر عن تجاربه مع ما يخرج من أبيات شعرية، مُؤيِّداً لها بحركاته أو بإشاراته أو بكلمات تشجيع تبدر منه، ووجود هذا الجمهور في الأجواء التقليدية ضروري لسير الارتجال؛ إذ لا ينجح الارتجال كواقع وكمبدأ بدون جمهور يشد ويدفع.

مجالس الدان طقس يعتمد على مراحل منظمة في توزيع الأدوار:

وإذا كانت غالب الكتابات تؤكد على أوليّة الجانب الشعري فإن الباحث الموسيقي يجد عند مراقبة الجلسات والاستماع إلى التسجيلات بأن الأوليّة تعود إلى دور المغنّي، الذي يمثل الأساس في تنظيم مسار الجلسات.

فالمغنّي هو الذي يبدأ الجلسة أو الحلقة وكل فصل من فصولها. وهو يمتلك بيده ناصية إدارتها، ويتحكم إلى درجة كبيرة بتوجيهها؛ إذ يبدأ بأداء نموذج، يحمل إشارة مزدوجة، الأولى تعني بأن الفصل سيغنّي على اللحن الذي يقدمه، ومن ثم فإن اللحن المغنّي يحمل نموذج الوزن الذي يطلب من الشعراء الارتجال عليه. فهو بالتالي مسؤول عن وضع الأساس العملي لمقاليده الجلسة.

إضافة الجمهور؛ لأنه العنصر المتلقي والفاعل غير المباشر، الذي قد يساعد في دفع عملية الارتجال خصوصاً إذا كان ذا معرفة بالجلسات.

١ - تعتمد جلسات الدان حسب حجمها على مغنٍّ أو أكثر، وهؤلاء المغنون يحفظون ألحان الدان وكثيراً من الأشعار، حتى إن بعضهم يمكن أن يكون شاعراً كما يمكن أن يكونوا ملحنين. وهم على أيّة حال يتذوقون الشعر ويحتفظون به بعد مرحلته الشفهية بدفاتر خاصة عندهم.

٢ - الشعراء: هناك جلسات يمكن أن تكتفي بمغنٍّ والجلسة التي تقوم على وجود شاعر واحد غير مستحسنه؛ إذ كلما كثر عدد الشعراء عظمت أهمية المساجلات. والواقع أن كثرة عدد الشعراء لا يعني اعتمادهم على مبدأ المنافسة بقدر ما يكون دافعاً لكل مرتجل ليكمل ما بدأ به من ارتجال، سواء كان بيتاً، أو مجموعة أبيات شعرية، تبنى على الوزن الشعري المفروض عليه.

٣ - يؤدي الملقّن دوراً أساسياً في الجلسة؛ إذ يكون وسيطاً ناقلاً ومكرراً للكلام الشاعر إلى المغنّي الذي قد لا يستطيع وحده الإمساك بالبيت كله دفعة واحدة ومن المرة الأولى، والملقّن يكون عادة شاعراً أو من الملمّين بتقاليد جلسات الدان، ومن ذوي القابلية في حفظ الشعر وفهمه.

ورغم أن جلسات الدان تتميز أساساً بالشفاهية لكن استخدام الكتابة عند الشعراء بعد خروج الكلمات ارتجالاً





ولكن في الواقع أن ما يقوم به المغني أكثر تعقيداً من ذلك؛ لأنه يمر بمراحل قبل غنائه النموذج كاملاً، الذي تعد ألحانه وأوزانها أساساً للفصل كله فهو:

عندما يبدأ بأداء اللحن يصفر اللحن، ثم يؤدّيه بصوت منخفض جداً، أو برأس منحني. تسمى هذه المرحلة النسبسة - يقال "نسب يابو فلان"، والغرض من هذه المرحلة الأولى التمكن الكامل من السيطرة على اللحن؛ لكي يتمكن من استخدامه طوال الفصل،

مادام هناك إبداع واستمرار للارتجال الشعري.

ثم يغني اللحن نفسه باستخدام كلمة الدان ومشتقاتها مثلاً على الوزن الشعري الذي اختاره، ثم يتبعه الغناء بنص شعري معروف. وفي هذه المرحلة يغيّر المغني من جلسته؛ إذ يرفع رأسه واضعاً يديه على أذنه؛ لكي يركّز على سماع نفسه، أي إن رأسه يتخذ موقع الصندوق الصوتي، الأمر الذي يساعده على التركيز والانقطاع عما يحيط به، أو كما يقول أهل حضر موت: "يرن بينه وبين نفسه"؛ لأن العكس يعني أنه لن يتمكن جيداً من الذي سيغني، وبأنه ليس غارقاً فيه يقال: "ما طلع غوا".



كل هذه المراحل تساعد على تكرار النموذج الوزني من جانب الشعراء الموجودين؛ لكي تتشرب دواخلهم بالقالب الوزني. وهنا نفهم حقيقة دور المغني في إدارته للجلسة.

ذلك أن أوزان الدان كثيرة تتدرج من السهل إلى الصعب. كما أن الوحدة الشعرية للدان يمكن أن تتألف من بيتين أو

تتدرج إلى ثمانية أبيات. زيادة على ذلك من خصائص الدان هو أن أبياته ليست بالضرورة متساوية الوزن، بل إن أطوالها قد تكون مختلفة الأمر الذي يعقد الأمر.

يميل غالب الباحثين المحليين إلى الاعتقاد أن لغة الدان عربية محلية، قد تكون قريبة أحياناً من الفصحى، وإن كانت مليئة بالإشارات والرموز المحلية. ويعد بعضهم أن شعر الدان من أشعار الحميني، غير القابلة للإعراب، التي تستخدم اللغة المحلية، وهؤلاء يعدّون أوزان الدان من أوزان الشعر الحميني، ويعتقد آخرون أن أوزان الدان لا تدخل ضمن الحميني، وأن بحور الدان مستقلة.

بعد أن ينتهي المغني من أداء النموذج كاملاً لحنًا ونصًا، مع إعطاء الوزن الشعري، تبدأ مرحلة سکون بانتظار ظهور أول بيت شعري من أي الشعراء الحاضرين الذين يُعرفون بشعراء البديهة، ويقصد بها الشعراء الذين يرتجلون على سليقتهم.

وهنا تكشف هذه المرحلة المهمة عن ميكانيكية الإبداع الحي، الذي يشهد له الحضور كافة، والذي يصبح به التأليف الآني والأداء فعلاً واحداً.

فالبيت الشعري - كما تعرفون كلكم لا يخرج كله بالضرورة دفعة واحدة، فالجمهور الحاضر يشهد ولادة كلمات أو مجموعة كلمات تُدعم بتشجيعه، وقد تمر ولادة البيت أو



مجموع الأبيات التي تكون الوحدة الشعرية بكثير من مقاطع السكوت، حتى يبدو السكوت أحياناً ثقيلاً.. وقد يطول الانتظار عندئذ يتدخل المغني لدفع الحرج، وذلك بإعادة غناء البيت الذي سبق أن قام بغنائه، مانحاً بذلك وقتاً أكثر للشاعر.

إن التلاحم المتين الذي يمكن مراقبته بين المؤيدين والجمهور المحلي من المستمعين

بعيدة وعميقة، تظهر بلغة نبيلة، وبهذا تغلق الجلسة لتنتشر ما جاء فيها في الأماكن البعيدة كما جاء.

جلسات الدان طقس يمسك بإنسان الوادي ليحرره من أعباء الحياة، ولينقي روحه، وكما يقول الحضارمة: "إذا كانت هناك ليلة يتأسف فيها الأموات لكونهم أمواتاً فهي الليلة التي تعقد بها جلسات الدان".

متينة، يرجع إلى انتمائهم إلى ثقافة محلية واحدة، مما يسمح بفهم النص ورموزه ومعانيه التي قد يستعصي فهمها على غيرهم؛ ذلك أن مواضيع الجلسات ذات طبيعة تقليدية، مستمدة من الثقافة المحلية: من رموزها وهمومها، والتي تلجأ إلى استخدام الصيغ اللغوية الجاهزة المعروفة في اللغة المحلية.

بعد أن يبدأ الدان عادةً بذكر الله، وللشاعر الحرية في اختيار موضوعه الذي يمكن أن يتغير عبر الفصل الواحد. وغالب مواضيع الدان منبثقة من الواقع الاجتماعي الأخلاقي والقبلي وهي كثيرة، لا يمكن حصرها كلها. فهناك القيم الأخلاقية للصدق والمودة والأخوة والشرف والحماسة، ثم مواضيع الحب والإشادة بالفضائل والجمال، إضافة إلى الارتباط الوثيق بالعالم العربي والإسلامي. ومن المواضيع الأساسية هو التطرق إلى الطبيعة وظواهرها، كالجفاف والأمطار والفيضانات وغيرها.

وخلاصة الأمر أن مجالس الدان التي تؤدي في الأماشي هي طقوس تأخذ مكانتها الفعلية في سياقها الاجتماعي الأصيل في الوادي، إذ يحصل فيها اقتراب حميمي بين رجال يشتركون في عشق مشترك، يربط بينهم، ويزيل الحواجز الاجتماعية والطبقية التي بني عليها المجتمع؛ ليسمح للجميع بالوصول إلى حالة من الوجد النبيل، من خلال هذه الممارسة الاجتماعية. والنتيجة هو خليط من البساطة والحكمة، هي خلاصة تجربة

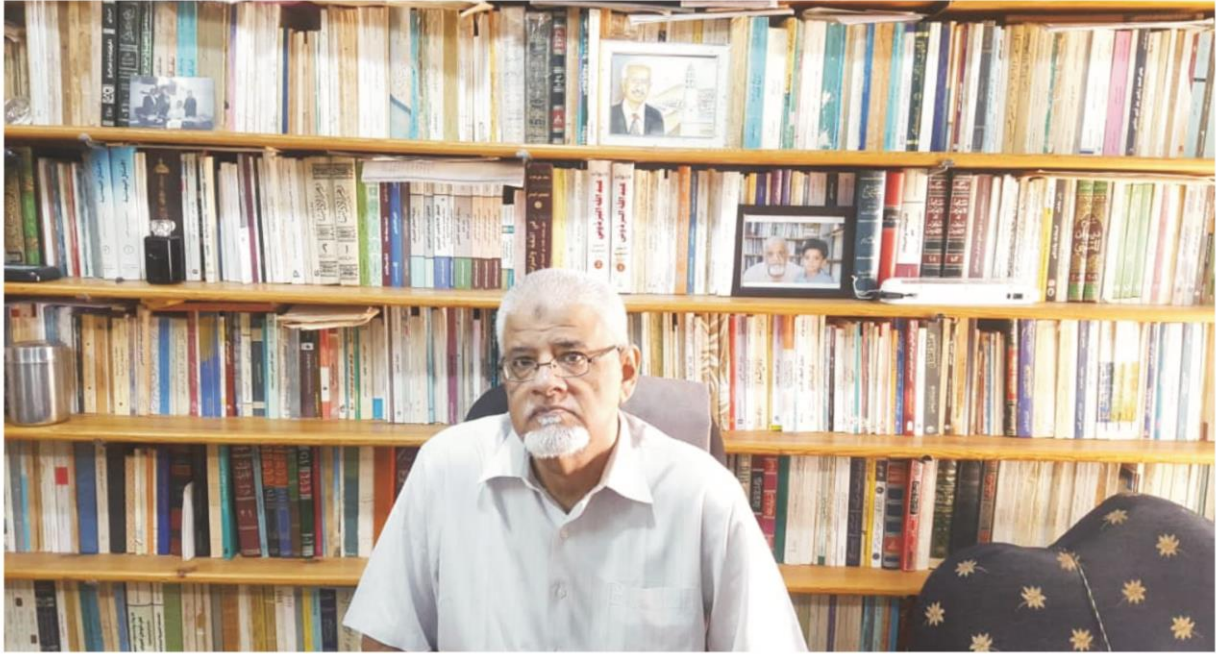
* بحث أُلقي في تموز ٢٠١٩م بمناسبة انعقاد الندوة الدولية عن "فن الدان الحضرمي" التي نظمتها وزارة الثقافة اليمنية في القاهرة.

الهوامش:

- (١) تحوي الاسطوانة على عشرة نماذج من الغناء الحضرمي هي دان الجمالة، دان الطرب، جلسات الدان، الخيالي العوادي، غناء بني مغرة وترحيب.
- (٢) يعتمد كل ما جاء في هذه المداخلة على مراقبتي الميدانية لعدد من جلسات الدان في الوادي وحتى في فرنسا، إضافة إلى لقاءات متعددة مع المختصين بالدان وبتقاليد الوادي.. إني مدينة إلى الشعراء ناصر يسلم بن ناصر وحسين عبدالله با حارثة وجعفر محمد السقاف وعبد العزيز الحدادي وحسين محمد البار، والمغنيين يسلم هادي قهمان وسعيد عيضة باحشوان ومحمد بن شامخ وحسين عبدالقادر الكاف والكاتب وعلي عبيد باسيف وغيرهم. وأعتذر إذا ما كانت بعض الأسماء من الذين أسدوا إلي المساعدة لفهم تقاليد المنطقة قد سهوت عن ذكرها إني مدينة لهم كلهم حتى أولئك الذين انتقلوا إلى رحمة الله.
- (٣) في اللقاء الأخير الذي عقد في القاهرة في تموز ٢٠١٩م فهمت من بحث الأستاذ جيلاني الكاف أن هذا النوع من الدان يسم بالدان الحدري الاسم الذي لم اسمع به في زيارتي لحضر موت.

(حَضْرَةُ الثَّقَافِيَّةِ) تحاور الأديب الناقد

الأستاذ الدكتور عبد الله حسين البار



نحن سعداء بأن نجري هذا اللقاء مع الأستاذ الدكتور عبد الله حسين البار أستاذ الأدب والنقد بجامعة صنعاء وحضرموت، وأردنا له أن يكون لقاءً يفتح فيه الأستاذ على سجيته المعرفية وتأملاته الخاصة بصورة تلقائية ومباشرة..

حاوره/ د. عبدالقادر علي باعيسى

• فنبداً من الآن، ما الذي يشغلك من قضايا أدبية وفكرية راهناً؟

- أولاً شكراً جزيلاً على هذه الفرصة التي أتاحتموها لي في مجلتكم الغراء مجلة (حضرموت الثقافية) وحقيقةً أنا أشعر بأن هذه المجلة تمثل فتحاً في الإنتاج الثقافي بداخل حضرموت في السنوات السابقة واللاحقة إن شاء الله، وهي على مستواها الفني ومستواها العلمي وطرحها الثقافي ارتقت بالفعل إلى مستوى مجلات نراها في البلدان العربية، وشكر لكم على هذه الفرصة.

وما يشغلني هذه الأيام، ليس هناك مشروع محدد، ولكن القراءات المتعددة هي التي تفرز مثل هذه الإنتاجات الضيقة البسيطة التي أخرجها بعد ذلك في هيئة مقالات أو ما أشبه هذه المقالات، والسبب هو أنني وصلت إلى قناعة هي أن تأثير المقروء في الصحف والكتب صار ضعيفاً، المرئي هو الذي يجذب إليه الآخرين ويتيح لهم فرصة التفاعل مع الذي يقوله هذا الكاتب أو ذاك، أما المكتوب الذي يحتاج إلى قراءة فهذا تراجع دوره كثيراً في المجتمعات الحديثة، صارت الصورة هي الطاغية وصار المسموع هو الطاغية



عن ميشيل فوكو، عندما قرأ له كتابه (الكلمات والأشياء)، قال إن أحسن الظن بهذا الرجل فهو ليس فيلسوفاً لكنه أديبٌ يمتلك ثقافة واسعة، وهذا حديث عن ميشيل فوكو الذي يعتبره أصحاب التفكيكية من أعلامهم البارزين، الآن الأمر نفسه ينطبق على بعض الاتجاهات الكتابية التي يتجه إليها الشباب ويقرؤونها، اليوم الشباب لا يقرؤون ولا يتعمقون كثيراً في أبواب الفلسفة، اليوم الشباب لا يتعمقون كثيراً في دراسة الاتجاهات النقدية التي تخصب قراءة الأعمال الأدبية، اليوم الشباب لا يقرؤون الأعمال الأدبية التي يسميها بعضهم بالكلاسيكية وليست بكلاسيكية، ولكنها متون للاتجاهات الأدبية، اليوم من يقرأ السياب شاعراً؟، ومن يقرأ صلاح عبدالصبور شاعراً؟ ومن يقرأ عبدالمعطي حجازي شاعراً؟ قلة قليلة من الناس، أما الشرائح العامة فيقرؤون أحمد مطر أو من يشبهه أو من جاء بعده وسار على منواله، أما الشعراء الكبار أو الروائيون الكبار وكتاب القصة القصيرة مثل يوسف إدريس وغيره، فهؤلاء صارت هناك قطعة بينهم وبين القراء، وهؤلاء هم الذين صنعوا لنا كياننا الأدبي، وتعمقنا في قراءاتهم، واستفدنا مما قيل عنهم، وما كتب في آدابهم من نقد، هذا كله نحن كنا على اطلاع به، اليوم لن نجد من الشباب من يعرف من هو إحسان عباس؟ ومن هو حسين مروة؟ ومن هو محمد مندور؟ ولكنهم قد يعرفون بعض الأسماء العابرة وهؤلاء

وللأسف الشديد أنا أعد هذه ظاهرة خطيرة ستفرض ثقافة أدنى بكثير من الثقافة التي ينتجها الكتاب أو تنتجها المجلة، أو ما أشبه هذا من الوسائل المكتوبة المقروءة، الكتاب هو أكثر خلوداً وأكثر ثباتاً وأكثر قدرة على التفاعل بين القارئ وما يقرؤه، ويحدث نوعاً من التواصل ولو كان عن بعد، ولذلك صداقة الكتاب أمتن من الصداقة المباشرة ولو حتى مع المؤلف نفسه، لأن الكتاب هو الذي يظل بجوارك وحولك وأنت تستفيد منه وتذهب إليه وتعود إليه مرات ومرات أما الصورة فانت تشاهدها وقد يشغلك ما في إطارها من مشاهد ومرءٍ عن المضمون الذي يتحدث به هذا الشخص أو ذاك، ومن هنا تخفت هذه الوسيلة في أن تقوم بدور فاعل كبير مثل ما فعل الكتاب على مستوى الحضارات جميعاً.

• نعم د. عبدالله ولكن القراء ما زالوا موجودين على الأقل في الأوساط الأكاديمية، وفي شريحة من الشباب ما زالوا يقرؤون ويعاشرون الكتاب - لأنه من وجهة نظري - لا يمكن أن يُستغنى عن الكتاب، هناك شريحة بطبعها تبحث عن العميق والواسع والمؤصل، وتتجه تلقائياً للكتاب، وحتى ما قبل الصورة ما كانت كل الشرائح المثقفة تهتم بالكتاب، هناك من كان يهتم بالمناشير الصحفية، وهذه الفئة المثقفة ما زالت موجودة، وربما إعلامياً ما صارت تظهر لأن الإعلام يهتم بالمشورات السريعة والمستعجلة، لاسيما وسائل التواصل الاجتماعي.

- هذا ما أتمناه، ولكن للأسف الشديد ربما يكون الخلل عندي أنا، لأنني لم ألتقَ بمثل هذه الفئات في المجتمع، إنما الذي أراه والذي وصل إلى علمي هو أن الإقبال على الكتاب الجاد قلّ وقلت العناية به، قد يكون هناك من له اهتمام في اتجاه معين في الثقافة العامة ولكن الثقافة التي أنتجت السنوات المتأخرة ثقافة متدنية وحتى لو جاءت من بلدان عربية أو بلدان أجنبية، فأنت تشعر أنها تحتوي على شيء من الضحالة مثل ما كان الدكتور زكي نجيب محمود يتحدث



د. عبدالقادر باعيسى، مع أ. د. عبدالله البار، في أثناء محاضرتهم بعنوان: (الهوية الثقافية في حضرموت في مفترق طرق) التي قدمها في منتدى عميد الوفاء في يوم تدشينه

هم الذين صنعوا ثقافتهم، قد يكون هذا له أثره الطيب في الواقع الثقافي الحاضر لكن ما أطمح إليه أن يكون هذا الواقع أكثر شمولاً وأكثر اتساعاً.

• أشرت أنه لا شيء يشغلك هذه الأيام فكرياً ولكن محاضرتك التي قدمتها في منتدى عميد الوفاء في يوم تدشينه، أثارت جدلاً ونقاشاً ودلت على حيوية فكرية مباشرة تعيش الواقع وأزماته الثقافية، فعنوان المحاضرة في حد ذاته (الهوية الثقافية في حضرموت في مفترق طرق) عنوان لا يدل على أنك لست معاشراً للواقع ولا تعيش الآمة الثقافية بعمق.

النقد الثقافي. النقد الثقافي من أين جئته تستطيع أن تصل إلى الغايات التي تقصد إليها، والذين مارسوا هذه الدراسات الثقافية، وضعوا أصولاً عامة لهذا المنهج بعد ذلك أوتيت لك الحرية في الحركة، يعني مثلاً الموقف من الآخر، الموقف من المرأة، الصراع بين الذكورة والأنوثة وغيرها من هذه القضايا التي تشغل أهل الغرب بدرجة أساسية، لكنها عندما انتقلت إلينا حاولنا أن نكيفها مع الواقع الاجتماعي الذي نعيش فيه ومن هنا وجدنا أنفسنا في إطار التفكير خاصة أن الثقافة أوسع بكثير من الاختصاص المنهجي في النقد الأدبي. أنت في الأسلوبية محصور في اللغة التي تقرأها وتلمس شعريتها وتلمس ملامحها الإبداعية، وتقدمها بعد ذلك للقراء، وأنت في البنيوية تلمس هذه العلاقات التي تنشأ بين العناصر التي تكون هذه البنية، أما في الثقافة فيختلف الحال، هناك تعريف عند علماء العرب القدامى، عندما كانوا يتحدثون عن الأدب، يقولون إن الأدب هو الأخذ من كل شيء بطرف، الأخذ من كل شيء بطرف هو هذا العمل الثقافي الذي نعيشه اليوم فليكن اختصاص المرء في النقد الأدبي، لكن هذا النقد الأدبي يسير باتجاه رأسي، ينطلق من نقطة في الأعلى ويظل يحفر فيها حتى يصل إلى قاعها، ولكن لا قيمة لهذا النقد الذي ينزل رأساً دون أن يكون له انتشار أفقي، هذا الانتشار الأفقي

- ربما لأنني في السنوات الأخيرة، ربما بعد عام ٢٠١٠م، بدأت أراجع نفسي في كثير من المسائل المنهجية التي كنت أسير عليها في مجال النقد الأدبي، إن كان في الأسلوبية أو البنيوية، لأن الأسلوبية والبنيوية تبخثان إما عن شكل التعبير وإبرازه للقارئ أو الحديث عن العلاقات التي تنشأ بين العناصر المكونة للبنية، فوجدت أن هذا في الأخير يظل في إطار شكلانية النقد، ولا يمكن أن يكون هذا مآل النص الأدبي الذي بين أيدينا، فلا بد من إعادة النظر في هذه المناهج، ومن خلال القراءة تبين لي أن منهجاً مثل منهج التلقي قد لا يوافقني أو لا يلائمني في أن أشتغل عليه، فبحثت عن شيء آخر، فوجدت على ما يسمى بالنقد الثقافي والدراسات الثقافية، فلما بدأت أتلصص الطريق في القراءة عن هذا المنهج الثقافي وما حوله، وجدت أن بُغيتي ها هنا وهذا الذي جذبني إلى هذا الأمر، أنت ممكن تقرأ النص الشعري قراءة ثقافية أو ممكن تقرأ النص الروائي قراءة ثقافية وغيرها من هذه الأمور، طبعاً المنهج الثقافي لا يلتزم بشيء محدد مثل البنيوية أو الأسلوبية أو غيره من المناهج، هو يحتضن كل هذه المناهج، فأنت تجد الأسلوبية في المنهج الثقافي وتجد البنيوية وتجد النقد الماركسي وتجد الفلسفة وتجد الأنثروبولوجيا في



” (قع جويّد) تحولت من مثل بسيط إلى نسق ثقافي يشمل طوائف متعددة في المجتمع، من أين أتى هذا؟ من التصوف، قع جويّد هذه إلى أين ستفضي بنا؟ نحن بعد ذلك متجهون إلى خمول وكسل وإلى جمود ومن ثم لن يتحرك المجتمع ولن يتجدد، لا يتجدد المجتمع إلا بعقول متحركة أما قع جويّد فهذا لا يفرز مجتمعاً حياً وناشطاً، تظل الأمور ساكنة على ما هي عليه، إذاً التصوف في هذه الحالة أنتج ثقافة ليست إيجابية، مع أنه في ذاته وفي أصوله الأولى شيء إيجابي، لا ننكره “

– ما زال هذا الموضوع حياً في نفسي، وأشعر أن هناك أشياء ممكن أن تقال ولم تقال في المحاضرة، خذ مثلاً العلاقة بين الأمثال الحضرمية و موضوع التصوف في حضرموت، هم يقولون إن حضرموت صنيعة التصوف الإسلامي، كما ساد في داخل حضرموت سواء كان عن طريق الإمام الغزالي أو عن طريق أبو مدّين الذي أرسل رسوله إلى حضرموت وهو آت من المغرب ولم يستطع الوصول إليها، وتلقفه الفقيه المقدم إلى آخر المعلومات التي يعرفها الكل، هذا التصوف

لا تحققه لك إلا الثقافة، ومن هنا يصبح هذا النقد متعدد الروافد، ويزداد خصوبة ويزداد عمقاً، ولذلك الانشغال بالمنهج الثقافي والدراسات الثقافية يجر القارئ إلى أشياء في النص الذي يقرؤه أياً كان هذا النص، نصاً دينياً أو أدبياً أو قديماً أو حديثاً، يستطيع المرء أن يخلص من خلاله إلى أشياء كثيرة، خذ مثلاً الخطابة في العصر الأموي، فأنت عندما تقرأ النصوص التي أوردها صاحب العقد الفريد من خطباء العصر الأموي، تكتشف أن هناك بنية ثقافية فرضت وجودها على المجتمع العربي، كرسها هؤلاء الخطباء، إن هؤلاء الخطباء ينبغي أن تكون كلمتهم مسموعة وعلى الجميع أن يخضع لهذه الكلمة، فعندما تقرأ الخطبة التي قالها زياد ابن أبيه تكتشف هذه النزعة الديكتاتورية والقوة الباطشة بالآخرين من خلال هذه الكلمات التي يتدفق بها فمه، وإذا فالمنهج الثقافي يتيح لك الحركة الواسعة مع النص الأدبي الذي بين يديك، وهذا الذي قادنا بعد ذلك إلى مثل هذه الدراسات لأننا لا نكتفي بالنصوص التي تأتي من التراث العربي أو من الإبداع العربي الحديث، لكن ننظر في الواقع الاجتماعي المحلي، وما دامت هناك ثقافة إذاً لا بد أن ننطلق أولاً من المحلية، من الثقافة الخاصة بنا نحن، بصفتنا حضارم نعيش في بقعة اسمها حضرموت ولها صورتها الثقافية أو لها إنتاجها الثقافي الذي يمثل صورتها أمام العالم، إذاً لا بد أن ننطلق من هذا الأمر، ومن هنا جاء هذا الانشغال بهذا الموضوع.

• كان انشغلاً جميلاً وموفقاً، ودلت محاضرتك في متدى عميد الوفاء عن (الهوية الثقافية في حضرموت في مفترق طرق) على أنك كشفت عن النسق الخفي لما يُشاع من أن حضرموت وطن المعرفة والعلم، وكشفت أن هذه المعرفة تعيش حالة من الاستاتيكية والجمود، ومن ثم هي بمعنى آخر غير متحركة وغير مناسبة لكل مكان وزمان، ولكن هل لك أيضاً رؤى ثقافية في موضوعات أخرى في الثقافة الحضرمية تفكر فيها أو تكتب فيها هذه الأيام؟

”الحضرمي لا ينفتح على الحضرمي بصورة واسعة وسريعة إلا في حالات نادرة، فيظل الآخر المحلي شيئاً يحتاج إلى حواجز لا بد أن تبقى وعلى مسافة لا تقطع كاملة بحيث يتبقى منها جزء بينه وبين هذا الآخر، وعلى مستويات واسعة منها المستوى الديني والمستوى الأدبي والثقافي والشعري وغيرها، فإذاً هذا التباعد بين الأنا والآخر في حضرموت ظل قائماً وما زال قائماً“

نفس الأمر بالنسبة لموضوع الأمثال هناك أمثال للأسف الشديد تورث نوعاً من سوء التربية يقول لك قع ذرة تأكل سكر، كيف أقع ذرة وأكل سكر، أنا سأكل سكرأ بقوتي بإرادتي بجبروت روعي، لأنها أرادت هذا الشيء لا بد أن تحصل عليه وليس بهذه الانتهازية التي يربون النشء الصغار عليها، لا بد من الانتباه لهذه الأمثال التي نرددها، أو يأتيك مثال آخر في مسألة التجارة ومغامراتها الواسعة جداً، عالم التجارة عالم وسيع ومع ذلك يقول لك (البائع قحبة المشتري) هذه نظرة للأسف الشديد فيها شيء من الدونية سواء كان بالنسبة للمرأة أو بالنسبة للبائع نفسه، البائع هذا إنسان له كرامته وله تفكيره، وله رغبته في أن يكسب وأن يوسع من دائرة تجارته، لكن لا يتحول إلى هذا المعنى المزدول الذي يرفضه المجتمع، فإذاً هذه الأشياء كلها تبين أن حياتنا الثقافية بكل منتجاتها من أمثال وتصوف وفقه، تحتاج إلى إعادة نظر، إعادة النظر هذه تحتاج إلى عقل متحرك، عقل يشوبه شيء من النظر الفلسفي، لأن الفلسفة في حذاتها هي إعادة الاعتبار للسؤال، السؤال الذي طرح على مجتمع ما أو طوائف من مجتمع ما، لا بد أن يعاد النظر فيه مرة أخرى، وطرحة مرة أخرى،

صنع له أمثالا تداولها الحضارم ومازالوا يتداولونها، يعني مثلاً يقول الشيخ الصوفي للمريد الذي يأتي إليه (قع جويّد) هذا صار مثلاً في حضرموت، فابنك إن اشتط في العمل أو القول أو الإزعاج والفوضى وغيرها يقال له (قع جويّد)، وإذا أراد أحد الشباب أن يقول شيئاً مغايراً لما هو موجود يقال له (قع جويّد)، حتى في السياسة إذا اشتط أحد السياسة عن المألوف يقولون له (قع جويّد)، فقّع جويّد تحولت من مثل بسيط إلى نسق ثقافي يشمل طوائف متعددة في المجتمع، من أين أتى هذا؟ من التصوف، قع جويّد هذه إلى أين ستفضي بنا؟ نحن بعد ذلك متجهون إلى خمول وكسل وإلى جمود ومن ثم لن يتحرك المجتمع ولن يتجدد، لا يتجدد المجتمع إلا بعقول متحركة أما قع جويّد فهذا لا يفرز مجتمعاً حياً وناصباً، تظل الأمور ساكنة على ماهي عليه، إذاً التصوف في هذه الحالة أنتج ثقافة ليست إيجابية، مع أنه في ذاته وفي أصوله الأولى شيء إيجابي، لا ننكره، بالعكس نحن ندعو إلى التصوف الذي يخرج الإنسان من هذه الماديات المتشبهة به والمتعلقة بروحه إلى فضاء العالم الروحي الواسع بل إلى فضاء التسامح مع الآخرين وقبول الآخر مهما كان حاله، إذاً في هذه الحالة نحن ندعو إلى هذا التصوف الإيجابي، أما هذه السلبية فلا ندعو إليها ولا ينبغي أن يتمسك بها المجتمع، وهذا أمر كان من المفترض أن يدركه الذين صنعوا مثل هذه الحالة الثقافية المتمثلة في التصوف بحيث إنهم يتجاوزون هذه السلبيات إلى إيجابيات كبرى.



أ. د. عبدالله البار في أثناء محاضرة يتحدث عن تجربته في البحث الأدبي ومناهجه



أ.د. البار في أثناء ورشة العمل الخاصة بتقنيات كتابة القصة القصيرة التي أقامها اتحاد الأدباء والكتاب بالمكلا - حضرموت

أو طرح سؤال مقابل له جديد يختلف عنه ويضاده ومن ثم يبدأ من خلال هذا الاحتكاك وهذا الصراع الفكري إنتاج الثقافة الحديثة والجديدة.

• إذا هذا المثل (قع جويد) ظاهره من حيث منهج النقد الثقافي إيجابي ولكنه يعتمر في باطنه معنى سلبياً، والأستاذ محمد عبد القادر بامطرف رحمه الله في

مقابله له أجراها معه المرحوم عزيز الثعالبي طلب منه أن ينشرها بعد وفاته، عندما سأله ما فلسفتك في الحياة؟ قال له (قع جويد)، يعني هذا أن بامطرف لم يعكس في كل ما كتبه ما اعتمربه صدره وما رآه وما أراد أن يعبر عنه فأخفى كثير أمما عنده.

- إلى حد ما ومن خلال المعرفة القريبة بالأستاذ بامطرف ندرك أن فيه شيئاً من هذا الذي ذكرته، هناك أشياء لا يحب أن يتحدث عنها حتى لا يقع في المحذور لذلك صارت فلسفته (قع جويد).

• إذا ربما نتظر منك أو من أحد الأساتذة قراءة مؤلفات بامطرف قراءة ثقافية.

- هو أصلاً الأستاذ بامطرف حالة ثقافية، يعني الذين يضعونه في دائرة التاريخ ليسوا على صواب دقيق، والذين يضعونه في دائرة الأدب والنقد ليسوا على صواب دقيق، الأستاذ بامطرف من القراء والكتاب الموسوعيين أمثال العقاد وطه حسين وميخائيل نعيمة الذين قرؤوا كثيراً، وهضموا ما قرؤوه، واستفادوا منه، وبعد ذلك كتبوا في كل ما يعرض لهم، فعندما تقرأ كتابه في سبيل الحكم، أنت لا تقرأ تاريخاً تقرأ أدباً ولكن التاريخ مهيمن عليه، وعندما تقرأ كتاب (المعلم عبد الحق) لا تقرأ ترجمة عادية مثل التي نعرفها في كتب التراجم سواء كان من الناحية النفسية أو الاجتماعية أو غيرهما ولكنها خليط

من هذا كله، التاريخ موجود فيها، والفلسفة موجودة فيها، النقد الشعري موجود فيها، إذاً هذا كله نتاج هذه الثقافة الواسعة التي امتلكها هذا الرجل، حتى كتابه الأخير الذي نشر بعد موته يحمل هذا الأمر، بل كتابه (الأمثال والمصطلحات الشعبية) إنما هو ناتج عن هذا الاهتمام الثقافي بالأدب الشعبي الذي ظهر في كثير من كتاباته، فالأستاذ بامطرف حالة ثقافية مشرقة بل هو إذا أردنا أن نقول صورة أولى لما يعرف بالنقد الثقافي اليوم، لأن النقد الثقافي ليس بالمعنى الذي ألفناه في كلمة النقد البحث عن التأويل والتعليل وتحري الخصائص التي تكون العمل الأدبي، النقد الثقافي شيء شامل من هذا كله، وكتابات الأستاذ بامطرف كلها تدخل في إطار هذه الدراسات الثقافية.

• د. عبدالله، لا شك أنك حكمت بحوثاً اتخذت منهج النقد الثقافي لبعض الأساتذة في جامعة حضرموت وغيرها من الجامعات المحلية أو ناقشت وأشرفت على رسائل اتخذت المنهج الثقافي، وقرأت كتابات ومؤلفات خارج الإطار الأكاديمي اتخذت منهج النقد الثقافي، فهل ترى مجموع هذه الكتابات بدأت بتحريك الواقع الثقافي بصورة مختلفة أو أنها ما زالت تقف عند مستوى معين؟

- للأسف الشديد التفاعل بين الثقافة العامة في المجتمع والدراسات الأكاديمية والدراسات الأدبية والنقدية الراقية لا زال ضعيفاً، ناقشت رسالة ماجستير مثلاً عن روايات



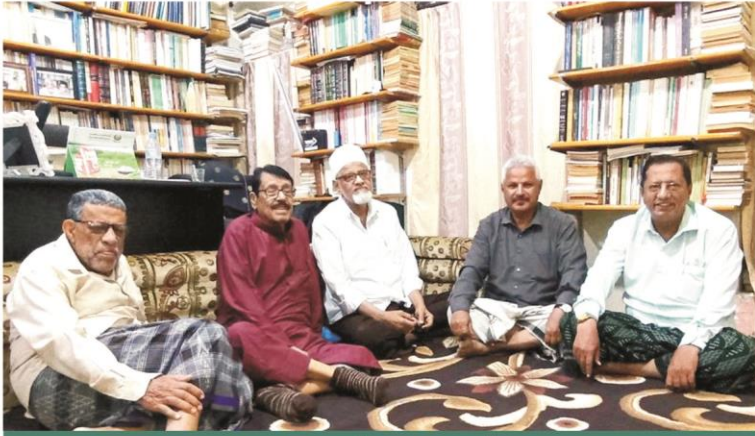
أ. د. عبدالله البار في أثناء إشرافه على إحدى المناقشات العلمية ومشاركة د. طه حسين الحضرمي، ود. أحمد سعيد عبيدون، رسالة الطالب عبدالله رجب باصديق (التشكيل الاستعاري في القرآن الكريم)

الأستاذ صالح باعامر في جامعة حضرموت من وجهة نظر المنهج الثقافي ظلت في إطار الجانب الأكاديمي، أو في إطار بعدها الأكاديمي ولم تتجاوز ذلك إلى القراء الذين يتعرفون عليها وعلى ما جاء في هذه الرسالة، الأمر نفسه بالنسبة للكتابات، هناك كتب كثيرة كتبت عن النقد الثقافي سواء كانت هذه الكتب متخصصة أو خاضت في المنهج الثقافي من وجهة نظر هذا الكاتب أو ذاك أو هي نتاج مؤتمر عام عن المنهج

الثقافي ووضعت فيه دراسات متعددة ودرست هذه الظواهر الاجتماعية دراسة ثقافية، وأذكر أن الأستاذ الدكتور عبدالله الفيافي وهو من السعودية، ومن الدارسين المتميزين، له دراسة

”العجيب في الأمر هو أن الحضرمي عندما يلتقي بالأجنبي الآخر يفتح عليه، ومن ثم يقبله ولو كان على غير ملته ولو على عدم انتمائه إلى ثقافته إلى آخر هذه الأشياء، الأعجب من هذا كله هو أن العلاقة بين الأنا والآخر أو بين الكينونة والكينونة لم تكن على المستوى الفردي، يعني ليست فقط على مستوى الأفراد لكن أيضاً على مستوى المدن، فأنت عندما تنظر إلى (تريم) على أنها كينونة (والقطن) على أنها كينونة لا تشعر أنهما يمثلان كينونة واحدة رغم أنهما في بلد واحد، هذه مدينة وهذه مدينة، وهذه لها ثقافتها وهذه لها ثقافتها، ومن هنا يحدث شيء من التقابل بين هاتين الكينونتين وتصبح القطن آخر لتريم وتصبح تريم آخر بالنسبة للقطن“

ممتازة جداً عن منظومة القيم في المجتمع العربي درسها من المنظور الثقافي، ونشرها في مؤتمر النقد الأدبي الذي انعقد في مصر أيام الدكتور عز الدين إسماعيل، كانت من الدراسات المتميزة لكنها لم تصل إلى الواقع الثقافي العام فيفيد منها، وظلت محصورة في ذوي الاختصاص ولا غير، وهذه طبعا تمثل حالة من حالات الانفصام بين المجتمع وهذه الدوائر الأكاديمية، كان في الستينيات الأستاذ الدكتور محمد مندور مع آخرين من الأساتذة الكبار الذين قادوا العمل الثقافي والأدبي والنقدي في مصر وفي غيرها من البلاد العربية، كان عندما يناقش رسالة علمية في أي موضوع من الموضوعات، يكتب ملخصاً عنها وينشره في الصحف، يشير إلى الطالب الذي كتب هذه الرسالة وإلى اللجنة التي ناقشت الطالب، ثم إلى موضوع هذه الرسالة، ثم بعد ذلك يستعرض هذه المحاولات التي حاولها الطالب في الكتابة عن هذا الموضوع وأخرج بها هذه الأطروحة، وينشر هذا الكلام الذي كتبه في بيته على الناس، فالتاس تطلع أن هناك رسالة علمية نوقش فيها كذا وكذا، وهذه صورة من صور التثقيف أو المثاقفة الداخلية في داخل المجتمع نفسه وتخرج من الدائرة الأكاديمية إلى الدائرة العامة، فيطلع عليها الناس، للأسف الشديد لا في جامعة حضرموت ولا في جامعة صنعاء ولا عدن ولا في أي جامعة يمنية، هناك من يلجأ إلى هذا الأمر فيجهل الناس ماذا في هذه الرسائل.



في بيت البروفيسور الأديب عبدالله حسين البار، في حضرة رموز الثقافة والأدب في حضرموت، البروفيسور عبدالله سعيد الجعدي، والأديب الدكتور عبدالقادر علي باعيسى، والروائي صالح سعيد باعامر، والشاعر سالم عبدالله بن سلمان

الرسالة التي كتبت عن الأستاذ صالح باعامر في رواياته من الناحية الثقافية، رسالة متماسكة وفيها أطروحات ممتازة، لو أننا عندنا هذا الحس الذي كان عند الأستاذ مندور في تعريف القراء بمثل هذه الأطروحات لتعرف الناس عما قيل عن روايات باعامر من وجهة نظر الدراسات الثقافية ومن ثم يبدأ التعرف قليلاً على مثل هذه المناهج والاستفادة منها.

• إذا تهدينا هذه الفكرة إلى أن نخصص في

مجلة (حضر موت الثقافية) أحداً أو مجموعة

من الشباب يتابعون حلقات النقاش العلمي في جامعة

حضر موت، ويقومون بتسجيل أبرز النقاط ونشرها في المجلة.

- هذا كلام ممتاز، وسيعرف القارئ أولاً بالرسائل العلمية التي تسجل وأسماء الطلبة الذين كتبوا في هذا الاتجاه، والأساتذة الذين أشرفوا على رسائلهم، ومن ثم يعودون بشيء من المعرفة العامة للناس كلهم، لأن هذه المجلة تصدر ورقياً، وتصدر أيضاً إلكترونياً، والإلكتروني هذا فضاء واسع يطلع عليه الذي في المغرب العربي والذي في عُمان وإذا استطيعون أن يصلوا إلى هذه الموضوعات، ويخفف عليهم بحث وعناء التواصل، هل كتب في هذا الموضوع شيء أو لم يكتب شيء، ويمكن للمجلة أن تستفيد من الملخصات التي يقدمها الطالب يوم المناقشة لأن فيها تعريفاً مركزاً بالرسالة أو الأطروحة وهذا أمر كان معمولاً به في مجلة فصول ففي آخرها يأتي باب عن الرسائل الجامعية، والطالب نفسه يلخص رسالته كما قدمه في يوم المناقشة، يقدمه للمجلة والمجلة تعيد طباعته وتنشره للناس.

• من الثنائيات التي اشتغل عليها النقد الثقافي وفعلها ثنائية

الأنا والآخر، فهل ترى هذه الثنائية بناء على ما قدمته من حديث،

تشتغل في واقع حضر موت الاجتماعي والثقافي.

- أولاً مقولة الأنا والآخر، هذه بدأت عند الفلاسفة الوجوديين بدرجة أساسية وهم يعنون أن كل ذات فردية تعيش في فضاء واسع، ولكنها تملك هذا الفضاء طالما كانت هي وحدها فيه، فإذا جاء الآخر وسكن معها في هذا الفضاء وزاحمها عليه تتحول هذه الذات من رائية أو ناظرة إلى منظورة وتتقيد حركتها، فبدل أن تمارس الحياة بحرية مطلقة صارت حريتها محدودة بوجود هذا الآخر، وأذكر أن سارتر الفيلسوف الفرنسي والأديب المسرحي أيضاً كتب مسرحية اسمها الجحيم، هذه المسرحية مسرحية الجحيم يتحدث فيها عن أن شاباً توفي وذهبت روحه للجحيم، في الجحيم كان موجوداً في غرفة صهرجية وحده، وكان يمارس ما يشاء من الحركات ومن الأفعال، ثم فجأة جيء له بشابة قريبة منه بالسن، فوجد أن حريته في الحركة صارت تتقاصر لأن العيون التي دخلت في الغرفة صارت ترصده وصار يتخوف منها، وهو أيضاً بالمقابل كان يرصد حركة تلك الفتاة، ثم بعد ذلك تطورت العلاقة بينهم وهم في هذا الصهرج أو هذا الجحيم، وتحولت إلى شيء من المودة والاستلطاف، وبينما هما على هذا الاستلطاف جيء لهما بفتاة ثانية، ف شعر هذا الشاب أن هذه الثالثة لا منحتة القدرة على أن يتواصل بالأولى ولا أن يفتح على الثانية بحكم وجود الفتاة الأولى بينهما، فلذلك صرخ

” التشكيل القبلي دائماً يلجأ إلى هذه الصراعات لأن القوة هي التي تحكم الوجود القبلي، ومن هنا فالمجتمع المدني يذيب مثل هذه الخلافات، هذا القبلي الذي ينتمي للقبيلة (س) ويقابله الآخر الذي هو من القبيلة (ص) يتخاصمان ويتنازعان ويتصارعان وإذا حلاً في مجتمع مدني صارا متآلفين وقريباً بعضهم من بعض “

• هل يمكن التمثيل على ذلك؟

- لا نريد أن ندخل في تفاصيلها، لكن العجيب في الأمر هو أن الحضرمي عندما يلتقي بالأجنبي الآخر يفتح عليه، ومن ثم يقبله ولو كان على غير ملته ولو على عدم انتمائه إلى ثقافته إلى آخر هذه الأشياء، الأعجب من هذا كله هو أن العلاقة بين الأنا والآخر أو بين الكينونة والكينونة لم تكن على المستوى الفردي، يعني ليست فقط على مستوى الأفراد لكن أيضاً على مستوى المدن، فأت عندما تنظر إلى (تريم) على أنها كينونة (والقطن) على أنها كينونة لا تشعر أنهما يمثلان كينونة واحدة رغم أنهما في بلد واحد، هذه مدينة وهذه مدينة، وهذه لها ثقافتها وهذه لها ثقافتها، ومن هنا يحدث شيء من التقابل بين هاتين الكينونتين وتصبح القطن آخر لتريم وتصبح تريم آخر بالنسبة للقطن، وقل مثل ذلك لسيئون وشبام، وفي الوادي كله بصاعده وحادره والساحل كله، وهذه من أعجب الحالات الثقافية التي يمكن أن يذكرها الإنسان في مثل هذا الموضوع.

• وقد قرأت لأحد الرحالة الغربيين إلى حضرموت، أنه فوجئ بمستوى التطور والتحضر في حضرموت، يقابله مستوى من التخلف إلى حد الوحشية بحد تعبيره، وأشار إلى أن هذه حالة غريبة على مستوى العالم، ترى مثلاً في تريم وسيئون وشبام أسراً ذات حضارة وانفتاح وترى في البادية أو القرى شيئاً آخر مختلفاً.

في آخر المسرحية الجحيم ليس في الآخرة ولكن الآخرين هم الجحيم وصارت هذه مقولة ثابتة عند الفلاسفة وفلسفوها خاصة هيدجر وغيره من الفلاسفة المتممقين في الفلسفة الوجودية، وجاء أصحاب النقد الثقافي ولهم علاقة بحياة المجتمع وحركته ونظروا في هذه المسألة فوجدوا أن هذه الذات تتحول إلى كينونة خاصة، ولكن هذا الكينونة لها علامات تمتلكها وتتضمن أيضاً دلالات متعددة تنعكس على الموقف من الآخر، لأن الآخر أيضاً هو كينونة وله علاماتها ولها دلالاتها ومن ثم يحدث نوع من التقابل الضدي بين الذاتين أو الكينونتين الموجودتين في هذا المجتمع أو ذاك، مثلما حدث في بريطانيا عندما خرجت من الهند، جاء الهنود إلى بريطانيا وفتحوا مطاعم شعبية، مثلما كان موجوداً في الهند خاصة مع الأزمة الاقتصادية التي مرت بها بريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية، فبدأ أصحاب المطاعم الكبرى وأصحاب الطبقات البرجوازية في داخل بريطانيا، يتعجبون من انتشار هذه المطاعم الشعبية التي تستخدم البالدي لتنظيف الأيدي بعد الأكل، هنا يأكلون في الشارع، فتحوّلت هذه إلى ظاهرة ثقافية ودخلوا في صراعات مع هذه الظاهرة، وانتشرت بعد ذلك في بريطانيا، نتيجة هذا الصراع بين الأنا والآخر أو تمثيلات الآخر كما يقول أصحاب النقد الثقافي، عندنا نحن في حضرموت هذه المقولة صالحة للنظر فيها لأنه من خلالها نستطيع أن نقوم علاقة الحضرمي بالحضرمي وعلاقة الحضرمي بغير الحضرمي، فعندما ننظر فيها نجد أن الحضرمي لا يفتح على الحضرمي بصورة واسعة وسلسلة وسريعة إلا في حالات نادرة، فيظل الآخر المحلي شيئاً يحتاج إلى حواجز لا بد أن تبقى وعلى مسافة لا تقطع كاملة بحيث يتبقى منها جزء بينه وبين هذا الآخر، وعلى مستويات واسعة منها المستوى الديني والمستوى الأدبي والثقافي والشعري وغيرها، فإذاً هذا التباعد بين الأنا والآخر في حضرموت ظل قائماً وما زال قائماً.



”التعليم وسيلة والدين والدعوات الدينية أساس أيضاً، ونشر الثقافة أساس، لأن هذه الوسائل كلها تهذب الروح وتخفف من هذه الحدة القبلية الموجودة عند الآخرين، وتحول هذا الجهل المركب عند هذه القبائل وأصحابها إلى نوع من المعرفة الواسعة التي تتيح التشارك في الحياة بكل صورها“

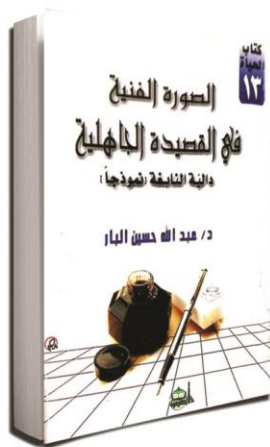
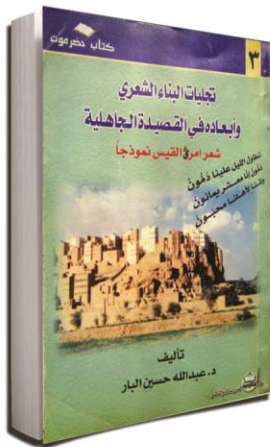
• هل توجد ثنائية الأنا والآخر ليس بين مدينة ومدينة بل داخل المدينة نفسها؟

- توجد، بسبب التمايزات الطبقيّة التي كانت سائدة في يوم من الأيام، ثم تطورت إلى التمايز العقدي في الاتجاهات الدينية، وهذه من الأشياء الضارة بالمجتمع التي ننقدها ونرفضها، لأن الوطن للجميع ومن ثم تتعايش فيه كل الاتجاهات ولذلك لا يقبل الحضرمي من اتجاه ما، والآخر الحضرمي من اتجاه آخر ولو عاشا في مدينة واحدة.

• لكن هذا يمكن أن ينطبق على أي أشخاص في أي مكان وزمان.

- هذا صحيح، هذه الإشكالية بالنسبة للآخر موجودة على المستوى البشري مئة بالمئة، وليست فقط محصورة على

- وهذا نلاحظه جميعاً عندما ننظر في تريم وسيئون ودوعن، نجد أن السلوك اليومي يمثل حالة من حالات الرقي الثقافي سواء كان بسبب الاحتكاك بالمهاجر أو بسبب الاتساع المعرفي في بعض الأسر التي كانت سائدة في تلك الفترة أو بأي سبب آخر، وهو بالمجمل تعامل يختلف تماماً عما تجده مثلاً عند البداة الذين يعيشون في البوادي بعيداً عن هذا التميز المدني الذي هو سمة هذه المدن، وحتى في كتاب معجم البلدان عندما ذكر تريم وشبام قال تريم وشبام مدينتا حضرموت، يعني أن الروح المدنية في هاتين المنطقتين أبرز مما في سواهما من البلدان في حضرموت، لكن للأسف الشديد هؤلاء الرحالة والمستشرقون الذين يأتون إلى حضرموت يهتمون كثيراً بهذه الحالات البدوية عن تمثيل هذه الحالات المدنية، لأنهم يرون في الحال البدوي الطزاجة البشرية في أول عهدها بالوجود، وهذا أضر بنا نحن، أنت عندما تقرأ كتاب (مشاهد من حضرموت) للمستشرقة البريطانية فرياستارك، وعندما تنظر في كتابها تشعر أنها مركزة تركيزاً كبيراً على هذه الصور التي تمثل هذه البداوة والتدني الحضاري في حين أن هناك نماذج أعلى وأرقى، كان ينبغي أن تضيفها حتى تبين للعالم أن في حضرموت هذا النمو الحضاري، ولكن للأسف الشديد كأنما يريد المستعمر أن يقول إن هذه البلد التي جئناها نحن صنعنا فيها ما صنعنا، وغيرنا فيها ما غيرنا وهذه نظرة ضارة، لأنها تقدّم حالة من الدونية عند الحضارم وهم ليسوا كذلك.



أهل حضر موت وحدهم، ولأنها كما قلت لك مسألة وجودية، الآخر قد يكون جحيماً لك وقد يكون نعيماً لغيرك، وأيضاً الآخر الذي رأيته أنت جحيماً قد يكون نعيماً للآخر، لأنه متآلف معه وأنت غير متآلف معه، وهكذا فهي داخلية ضمن هذا الإطار، الحضرمي عندما نزل إلى المهاجر التي عاش فيها، استقبل استقبالاً طيباً في المهاجر وصار هو لصاحب الأرض الآخر لكن هذا الآخر، صار يألفه ويتعاش مع وصار نعيماً له، لأنه أسس وجوده في المهجر أكثر مما أسسه في الداخل المحلي، والعكس صحيح، كما ينتقل الآخر إلى داخل حضر موت يجد له مكاناً يعيش فيه بأمان.

• لكن ثنائية الأنا والآخر هذه، ربما تحتاج لدراسة خاصة في حضر موت لأنك تلاحظ عدم تقبل قبيلة حضرمية لقبيلة أخرى، ولا تتراح قبيلة أن يبرز أحد من قبيلة أخرى، بل تحاول هي أن تظهر زعيماً من عندها.

- ولذلك النسيج الاجتماعي القبلي الحضرمي لم يكن متآلفاً ولا منسجماً، ظلت كل قبيلة تحتفظ بقوتها وبقدرتها، والقبيلة التي تستضعف تتحول إلى مرتبة اجتماعية متدنية في التاريخ، بسبب هذا الموقف من الآخر.

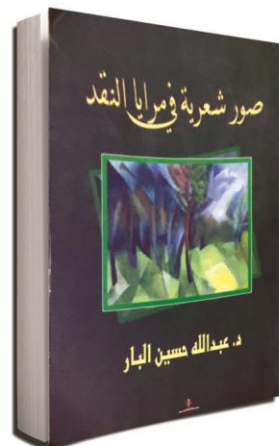
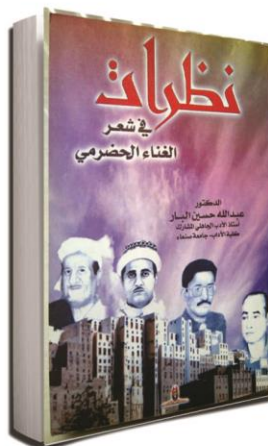
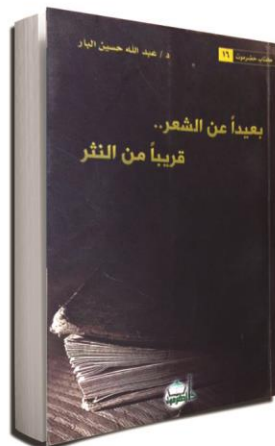
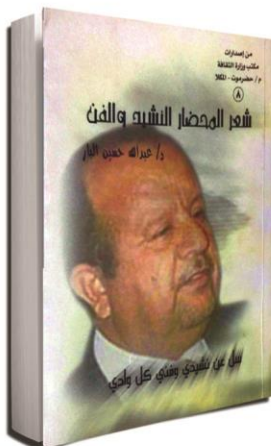
• هل يعود هذا للنزاعات التي كانت سائدة بينهم قبل صلح انجرامز، أو لأن حضر موت ظلت وطناً يهاجر إليه الجميع، ويتنازعون عليه، فترسب هذا لديهم في اللاوعي؟

- المنزعة القبلي، دائماً يقوم على هذه الصراعات سواء كان المجتمع الجاهلي أو المجتمع الإسلامي أو غيرهما، حتى في الإسلام بعد وفاة الرسول صل الله عليه وسلم أثرت بعض النزاعات القبلية، ومن ثم حدث نوع من الصدام بين هذه القبائل وتحول إلى صراع خطير جداً، ونفس الأمر بالنسبة للمجتمع الحضرمي، فالتشكيل القبلي دائماً يلجأ إلى هذه الصراعات لأن القوة هي التي تحكم الوجود القبلي، ومن هنا فالمجتمع المدني يذوب مثل هذه الخلافات، هذا القبلي الذي ينتمي للقبيلة (س) ويقابله الآخر الذي هو من القبيلة (ص) يتخاصمان ويتنازعان ويتصارعان وإذا حلّا في مجتمع مدني صاروا متآلفين وقريباً بعضهم من بعض.

• ولذا يمكن أن يكون التعليم هو المخرج الأساسي للبعد عن مثل هذه التدافعات.

- التعليم وسيلة والدين والدعوات الدينية أساس أيضاً، ونشر الثقافة أساس، لأن هذه الوسائل كلها تهذب الروح وتخفف من هذه الحدة القبلية الموجودة عند الآخرين، وتحول هذا الجهل المركب عند هذه القبائل وأصحابها إلى نوع من المعرفة الواسعة التي تتيح التشارك في الحياة بكل صورها.

• شكر أجزيلاًد. عبدالله البار أستاذ الأدب والنقد بجامعة صنعاء وحضر موت، ولعلنا أتعبتناكم معنا بهذا الحوار الطويل والتلقائي الذي وددنا لو طال أكثر وخاض في مجالات مختلفة ما زالت تشغلنا، ولعلنا نجد الفرصة للالتقاء بكم قادمًا بمشيئة الله.





السلام في حضرموت

(١ - ٣)

دبليو. أتش. إنجرامز، أو. بي. إي

ترجمة: نجيب سعيد باوزير - نورة نجيب باوزير

محاضرة أقيمت في ٢٠ يوليو عام ١٩٣٨م، معززة بشرائح صور.

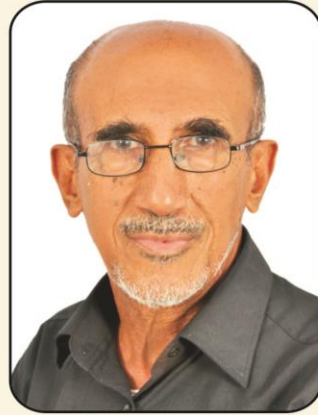
وأدار الجلسة السير رونالد ستورز.

في البداية قدم رئيس الجلسة المحاضر قائلاً:

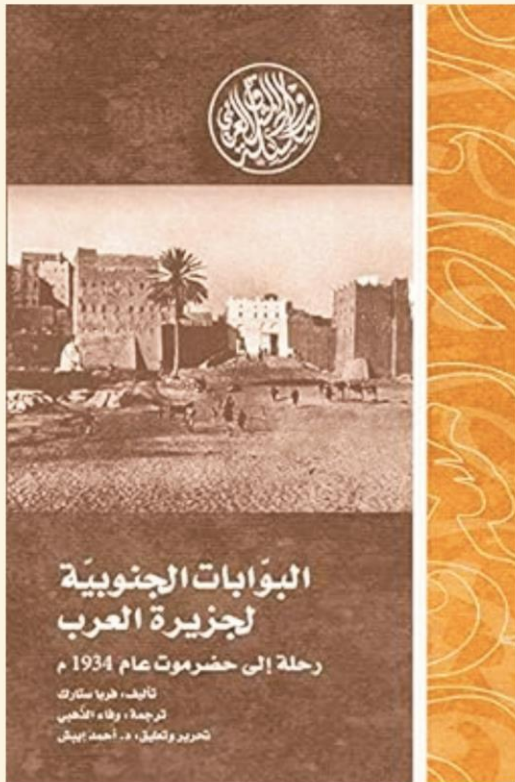
عندما طُلب مني أن أترأس جلسة الليلة تبادر إلى ذهني أن كل ما عرفته عن حضرموت هو، أولاً، أنه ورد ذكرها بالتأكيد

في سفر التكوين، وثانياً، ما علمته من بعض المقالات الحديثة الأسيرة بقلم الأنسة فريتا ستارك. وما بين سفر التكوين والأنسة فريتا ستارك، كان عقلي يخلو تماماً من أي شيء عن حضرموت. ولكن على الرغم من أنه ليس لدي معرفة شخصية بالموضوع، فإننا كلنا نعرف شيئاً عن السيد والسيدة إنجرامز وعن خدماتهما وإنجازتهما في المجال العام. لكن الشيء الرائع حقاً، إذا استثنينا عملهما نفسه، الذي يتلقيان عنه المكافآت والتكريم عبر القنوات الحكومية المعتادة، هو تلك المحبة العظيمة التي يشعر بها الناس نحوهم على امتداد المناطق، التي حظيت بفرصة الانتفاع من رحلاتهم وخدماتهم، وليس المرء بحاجة لأن يعرف الكثير عن حضرموت حتى يصل ذلك إلى علمه. وحتى لأطيل أكثر في الحيلولة بينكم وبين السيد إنجرامز، فإنني سأدعوه على الفور ليتحدث إلينا.

قبل عامين وصفت لهذه الجمعية رحلة قمنا بها أنا وزوجتي في أنحاء حضرموت في نهاية عام ١٩٣٤م. كان الغرض من تلك الرحلة، التي كانت في غالبها رحلة استكشافية؛ لأن الجزء الأكبر من مسار الرحلة شمل بقاعاً لم يصل إليها الأوروبيون من قبل، هو التحري عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للبلاد، وإجراء اتصالات مع حكامها، وإعطاء توصيات لما يمكن تنفيذه مستقبلاً من سياسات في المنطقة. كانت رحلتنا تلك على هدى زيارة قام بها السير برنارد رايلي عندما كان مقيمًا سياسيًا في عدن في عام ١٩٣٣م؛ إذ كان الرجل يفكر بجدية في مسألة وجوب القيام بشيء لخدمة الناس الذين طالبوا طويلاً بالمساعدة، وأن أي شيء لا يمكن تقديمه دون



نجيب سعيد باوزير



وجود موظفين سياسيين. وقد تم نشر المعلومات التي جمعناها خلال تلك الرحلة في تقرير رسمي، حمل رقم (وزارة المستعمرات رقم ١٢٣)، وفي مقالات قُدمت إلى هذه الجمعية وإلى الجمعية الجغرافية الملكية.

كان من ثمار تلك الزيارة أن تمّ النظر في نوع المساعدة التي يمكن أن تُقدّم، وتقرّر أنه يمكن التصرف على نحو ما لمساعدة السلطان القعيطي في إعادة تنظيم قواته، ولمساعدة السلطان الكثيري في تشكيل مفرزة من الحرس القبليين على غرار المفارز، التي كانت قد أنشئت في القسم الغربي من المحمية. كما أُقرّت أيضاً بعض أنواع المساعدة الأخرى الأقل أهمية. وكان أن ذهبْتُ أنا مرةً أخرى إلى حضرموت لأخبر السلطانين بما سيتم القيام به.

غادرنا عدن ثانيةً أنا وزوجتي على الباخرة (أس. أس. الأمين)، ووصلنا إلى المكلا في ١٦ نوفمبر، ١٩٣٦م، حيث قابلت عظمة السلطان صالح بن غالب، الذي تسلّم العرش منذ زيارتي الماضية. مكثنا أسبوعين في المكلا لمناقشة الأمور مع السلطان، ورأيتَه متطّلاً جداً لتحسين إدارة بلاده، ولتوفير خدمات حديثة في التعليم، والأمر الطبي، والتنمية الزراعية، وتوسيع نطاق الاتصالات، والكهرباء، وغيرها. وأخبرني أنه يواجه صعوبةً كبيرةً من الناحية السياسية؛ لأنه لم يجد رجلاً أكفأ أو جديرين بالثقة حقاً لكي يعتمد عليهم.

صادف يوم وصولنا أول أيام شهر رمضان، فكانت غالباً اتصالاتي مع الناس تتم في الليل، ما عدا مشاوراتي مع السلطان التي كانت صباحية. وقد وجدت أن أهالي مدينة المكلا بأسرها، بالرغم من ولائهم الشديد وإخلاصهم للسلطان نفسه، كانوا غير راضين نهائياً عن الأوضاع بشكل عام. كانت المكلا مرتعاً حقيقياً للدسائس: كل واحد يحطّ من قدر أي أحد غيره، وجوٌّ غريبٌ من الرّيبة يُحيط بنا من خلال نظرات ممثلي كل فريق ممن كانوا على اتصال بنا. وبدالي أنه من المستحيل أن أتمكن من تحقيق شيء ذي جدوى حقيقية وسط جو كهذا،

ولذلك تنفّسنا الصّعْداء عندما سنحت لنا فرصة الذهاب إلى حضرموت الداخل مروراً بالشحر. كان الوضع في الشحر، إلى حدٍّ ما، أفضل منه في المكلا، ولكنني وجدتُ هناك أيضاً كما في المكلا أصدقاء قدامى يخافون أن يأتوا المقابلي، وكان الجميع لا يجرؤون على الحديث إلا بكثير من الحذر أن يسمعونهم أحد، إذ لم يكن أحد يعلم أي فريق لديه الفرصة الأكبر لتصدّر المشهد.

تحركنا من الشحر أخيراً بالسيارة باتجاه المعدي حيث تم اتخاذ الترتيبات؛ لكي تأخذنا قبيلة البحسني مسافةً ما ضمن منطقتهم إلى الموقع الذي سنتنظرنا فيه السيارات القادمة من حضرموت، التي أرسلها لنا السيّدان عبد الرحمن وأبو بكر الكاف. كان ذلك أول تعامل لي مع قبيلة البحسني، الذين كانوا قوماً أقل مستوى بكثير، في حسن الخلق، من البدو السبائين الموجودين على طريق دوعن. فقد كان شغلهم الشاغل أن يبتزوا منا أكبر قدر ممكن من المال مقابل أي خدمة يسيرة، وكانت قلة منهم متطرفين في فظاظتهم؛ وليس ذلك، كما أرى، ناجماً عن غلٍ حقيقي، بقدر ما أن هؤلاء فئة من البدو خسيصة



فريا ستارك

التي كانت تحدث يومياً. كانت قد وقعت للتو حادثة جدرهيية. كان بعض المسافرين من آل كثير من سكان قرية صغيرة، تبعاً مسيرة عشرة أيام إلى الشمال الشرقي داخل أرض المهرة، قد أتوا في واحدة من زياراتهم النادرة. وعندما غادروا سيئون في طريق عودتهم اعترضتهم جماعة من العوامر، وهم أكثر قبيلة ذات سمعة سيئة في القتل من بين قبائل وادي حضر موت الرئيس، وقتلوا منهم أربعة. لم يكن آل علي الكثيريون قد دخلوا في نزاع من أي نوع مع أحد من أهالي حضر موت، ولكن العوامر، معتقدين أنهم مهرة، قاموا على هذا الأساس بما اعتبروه تصفية ثأر لهم مع المهرة. كان هذا الالتباس بين الهويتين مسألة واردة بلا شك، لكن ذلك لم يكن عزاءً كافياً لأقارب القتلى.

وفي الوقت الذي كنت ما زلت فيه في تريم، وقعت حادثة أخرى على بعد بضعة أميال على الطريق المؤدية إلى سيئون. فقد ذهب صائغ فضة، وهو من الطبقات التي لا تحمل السلاح، إلى قبيلي من العوامر كي يطالب بدين له عند العامري، فما كان من هذا إلا أن قتله في التو واللحظة وسط الطريق.

وشديدة التخلف. كانوا يطلبون منا رايالاً ونصف الريال مارياتيريزاً ثمناً لكل قرية ماء نستعملها، وريالاً مقابل أربع حبات من جوز الهند. وقد اضطررنا لشراء جوز الهند؛ لأننا عندما وصلنا إلى محطة السيارات في حضر موت وجدنا السيارات لم تصل بعد. ودفعنا اثني عشر رايالاً للرسول الذي أوكلنا إليه مهمة الذهاب للبحث عنها، وعندما شوهدت السيارات أخيراً ألح علينا الحرامي الكبير أن نعطيه رايالاً؛ لأنه أول من وقعت عيناه عليها وهي قادمة في الطريق، وما دفعني لأعطيه ما طلب كان هو ضجري الشديد من ضجيجهم المستمر في طلب البقشيش بأنواعه المختلفة. وقد قضينا بينهم يومين ونحن نشعر بشيء من الضيق. كان هؤلاء القوم قد قتلوا أحد الأشخاص قبل بضع ليال، وكانوا يخشون أن يتعرضوا للمداهمة ليلاً، لذلك ساعدناهم في بناء حصون حجرية صغيرة ليبيتوا فيها. وعلى سبيل رد الفعل، طلبنا منهم مبلغاً مقابل معاوتنا لهم في البناء، وبطبيعة الحال لم يتقبلوا الفكرة بتاتاً. ثم وصلت السيارات أخيراً، وبعد أن اجتزنا بلاد قبيلة المعارة، الذين بالرغم من أنهم مبتلون أيضاً بداء البقشيش كانوا في الأقل لطيفين، وصلنا في وقت متأخر من الليل برفقة قبيلة بن يمان، المتممين لآل جابر. في الصباح وجدنا الطريق قد سدّت بحاجز من الحجارة، وإذا نحن ببعض البدو الغلاظ الذين أخذوا يطالبوننا بصخب أن ندفع لهم مئة رايال مارياتيريزا كي يسمحوا لنا بالعبور. وبالمفاصلة خفضنا المبلغ إلى عشرة ريالات، وبلغنا تريم في نهاية المطاف، حيث تم إيواؤنا في يلا جميلة، على نمط فلل الرييرا، في ضاحية عديد، بها حوض سباحة جميل، وكلها بمحتوياتها كانت جديدة، لم نرها في زيارتنا الماضية.

كان السلطان علي بن منصور والسيد أبو بكر الكاف قد جاءا من سيئون لاستقبالنا، وسرعان ما بدأنا العمل. وقد عبروا بصراحة عن خيبة أملهم تجاه ما اعتبروه عرض مساعدة هزيلة؛ لأنهم كانوا ينتظرون بفارغ الصبر أن يتخذ إجراء فوري للتعامل مع عمليات النهب والقتل على الطرق الطويلة



لجنة أمان حضرموت التي تشكلت سنة ١٣٥٦هـ بعد توقيع الهدنة بين القبائل وفي الصورة السلطان علي بن منصور الكثيري والسلطان علي بن صلاح القيعطي، والسلطان عبدالله بن محسن الكثيري، والزعيم أبي بكر بن شيخ الكاف والصدر سالم بن جعفر بن طالب، والصدر عوض عزان بن عبدات، والمقدم العبد بن علي بن أحمد بن يمانى التميمي.

كانت حالة الأوضاع هذه تعد شيئاً عادياً، وفيما بعد عندما حلّ السلام، أجرى الناس تقديرات متحفظة، قائلين: إننا بما فعلناه أنقذنا حياة عشرة أشخاص في الأقل في الشهر الواحد في منطقة وادي حضرموت وحدها. كان كل قبيلي هناك يمتلك سلاحاً، لم يكن من الأسلحة من الطراز القديم التي عفا عليها الزمن، بل كانت لديهم بنادق حديثة وسريعة، ومثل هذه يوجد منها طبعاً أعداد كبيرة مع البدو، تباع بأسعار تتراوح ما بين ٦٠٠ إلى ١٠٠٠ ريال للقطعة الواحدة، وهي أسعار كانت في متناول أيدي الأثرياء من القبيليين، الذين كوّنوا ثروات في الشرق الأقصى.

في مثل هذه الظروف لم يكن من المستغرب أن الناس لم يتخيلوا للوهلة الأولى كيف سيقوم متتان من عبيد السلطان، الذين كانوا دائماً غير منضبطين، وكانوا يدخلون في إضرابات متكررة، بإحداث تغيير كبير، وهم لا يحملون من السلاح سوى بنادق ليغراس مستعملة. وكنتُ مدرّكاً لمدى صعوبة الوضع، وقد جئتُ إلى حضرموت على أمل أن يتم فعل شيء لوضع حدٍ لواحد من أكبر نزاعاتها، وهو النزاع بين عشيرتي بن عبدات وبلفاس الكثيريتين.

كانت لنا أنا والسيد أبو بكر جلسات نقاش طويلة. والسيد أبو بكر هو أحد أعظم الأشخاص الذين قابلتهم في حياتي. وقد ولد في سنغافورة، البلاد التي سافر جده إليها ليؤسس ثروات العائلة. لم تكن عائلة الكاف غنيّة في تلك الفترة المبكرة، وحتى في الوقت الحاضر يوجد من آل الكاف من ليسوا أثرياء، والفرع الذي يسكن في تريم وسيئون هو الفرع الوحيد من العائلة، الذي كان له نصيب من الثروة الضخمة، التي مهدّ قواعدّها جدُّ السيد أبي بكر. كان هذا قد غادر

حضرموت، كما يفعل الكثيرون، إلى جزر الهند الشرقية، وحصل هناك على وظيفة كاتب. وعندما ادّخر مبلغاً كافياً من المال اشترى منزلاً صغيراً وأجره، ثم منزلاً آخر، وهكذا استمرت العملية حتى أصبحت قيمة أملاك العائلة في سنغافورة لا تقل عن مليوني جنيهٍ أسترليني، و ثروتهم في جاوا تصل إلى هذا المبلغ أو أكثر.

عاش السيد أبو بكر في سنغافورة حتى بلغ حوالي الثالثة عشرة من عمره، وعندها عاد إلى حضرموت، التي دائماً ما كان قلبه معلقاً بها. وقد قام بزيارة أخرى إلى سنغافورة، وكانت زيارة قصيرة، وأخبرني بأن حكومة مستوطنات المضائق في تلك الفترة كانت ترغب في إجراء تحسينات على الطريق في سنغافورة، ووجدت أن ذلك يستدعي إزالة مسجد يقفُ حيث ستمرُّ الطريق. ولذلك عرضت الحكومة على الأوصياء على المسجد أن تبني لهم مسجداً آخر في موضع أفضل، ولكن تمّ إخبار ممثلي الحكومة أنه وفقاً للشريعة الإسلامية إذا أوقفت أرضٌ معينة لاستعمالها مسجداً فلا يجوز أن تستخدم



لأي غرض آخر، فكان أن صرفوا النظر عن الأمر. وهذا الموقف من جانب الحكومة المدعومة بكامل السلطة والقوة قد أثار بحق إعجاب السيد أبي بكر، وجعله يشعر أن الحكومة الوحيدة التي يمكن اتئمانها على تقديم المساعدة لحضرموت هي الحكومة البريطانية.

وقد أخبرني بعض أصدقاء السيد أبي بكر أنه منذ زمن بعيد كان يعتاد الجلوس على حافة

وزوجة السيد أبي بكر التي اقترن بها منذ ثمانية وعشرين عاماً تماثله في الطيبة والقبول عند الناس، وبالرغم من أن أهالي البلاد لا يرونها طبعاً، يسرُّ الرجال بعضهم إلى بعض بأن "هناك شخصاً واحداً آخر فقط كالسيد أبي بكر في حضرموت، ذلك هو زوجته"؛ لأن أثرها في الناس ينتشر بطريقة خفية. والسيد أبو بكر أكثر الرجال تواضعاً وأكرمهم، ومع أن صدقاته تعطى دون تباه، فقد سارت بذكرها الرُّكبان، لدرجة أن الناس صاروا يطلقون عليه (حاتم الطائي حضرموت)، وأظن أن كل من سبق أن نزلوا في بيته سيقرون بأنه أحسن من يستضيف، وفي الوقت الذي يوفر فيه غرفاً مريحة للغاية ومعدةً جيداً ومُجهَّزةً لضيوفه الأوروبيين بجميع وسائل الراحة الأوروبية، ينام هو على فراش يمدُّه على الأرض.

إنني حقاً لا أعرف شخصاً في البلاد، لديه أكثر ممَّا لدى السيد أبي بكر من ثقة الناس الواسعة والمكتسبة بحق؛ لأن هذا الرجل يهتم بالمصلحة العامة فقط، وليس بمصلحته أو مصلحة أي فريق بعينه. وهو ينفق ماله بكثرة من أجل تعزيز السلام بين القعيطيين كما يفعل بين الكثيرين. وقد حاول أكثر من أي شخص آخر أن ينهي العداء الذي طال أمده بين القعيطيين والكثيريين، والذي لحسن الحظ يكاد الآن يعد شيئاً من الماضي. ولم يكن هناك بلا شك وسام مستحق عن جدارة أكثر من وسام الإمبراطورية البريطانية برتبة فارس، الذي حاز عليه السيد أبو بكر ضمن قائمة (التكريم للعام الجديد) الماضية.

الجلول المُطلَّ على تريم، ويتحسَّرُ على حالة واديه الحبيب، الذي كان يمتدُّ أمام ناظره، وقال إنه سيبدل كل ما في وسعه لإحضار حكومة بريطانية لتقديم المساعدة. وقد عمل جاهداً لمدة أربعة وعشرين عاماً من أجل قضية السلام، مُنفقاً بل مُفرطاً في الإنفاق من ثروته، ولا يألو جهداً في هذا السبيل؛ غالباً دون جدوى مع الأسف! وذلك لأن سلاحه الوحيد الذي كان يحارب به هو المال، ولا يستطيع المال وحده أن يشتري سلاماً دائماً.

لم أعهد قط من السيد أبي بكر أن يتحدث بسوء عن الآخرين، ولعل أكبر نقاط ضعفه في التعامل مع الشأن العام أنه يَكُنُّ في نفسه دائماً آمالاً أن السيئيين من الناس سيغيرون ما في نفوسهم، وفكرته هذه لا تتغير أبداً على الرغم من الخذلان، الذي تعرَّض له مرة بعد مرة. إنه رجل شديد التدبُّن بالمعنى الواسع للكلمة؛ لأنه لا يعد شخصاً متعصباً، وأسلوبه الخاص في التدبُّن هو مما ربما يُغري الآخرين بأن يقلِّدوه فيه. وهو ليس ممن يهتمون بالتفاصيل الشكلية، وبالرغم من أنه صارم في الالتزام بالصلوات المفروضة والصيام المقرر دينياً، إذ إنه هو من يذكّر الناس عادةً بأوقات الصلاة، فإنه مع خشوعه في الصلاة لا يطيل فيها أكثر من اللازم؛ وفي الواقع، لقد سمعتُ من غير واحد هذا الوصف، الذي عادةً ما يقال مصحوباً بضحكة خافتة: "إن السيد أبا بكر ينتهي من صلواته بسرعة كبيرة، ولكن ذلك لا يهم، لأنه إنسان (مقبول) على أية حال".



” كانت المكلا مرتعاً حقيقياً
للدسائس: كل واحد يحطُّ من
قَدْر أي أحدٍ غيره، وجوُّ غريبٍ من
الرَّيبة يُحيط بنا من خلال نظرات
ممتلي كلِّ فريقٍ ممن كانوا
على اتصال بنا. وبدا لي أنه من
المستحيل أن أتمكّن من تحقيق
شيء ذي جدوى حقيقية وَسَطَ
جَوِّ كهذا، ولذلك تنفّسنا الصَّعداء
عندما سنحت لنا فرصةُ الذَّهاب
إلى حضرموت الداخل ٬٬

لقد سمعت عن حكومة جديدة تدعى إنجرامس تسعى من أجل
السلام في حضرموت. هل ستوفر لي أنت الحماية حتى يكون
لدي ميناء خاص بي في بلادِي، نستطيع من خلاله أن نكسب
رزقنا؟ إن كنتَ لن تفعل فعلياً أن ألجأ إلى حكومة أخرى.”
أخبرته أنني لست في وضع يخولني لأن أعدّه بشيء، ومع
ذلك إذا استجد أي أمر فإنني سأبذل كل ما بوسعي لأساعد
في إحداث تسوية مرضية، وعادلة أيضاً، سواء أكانت تصب
في مصلحته أم في غير مصلحته.

واقترح السيد أبو بكر أن الأشخاص الذين يجب أن ندفعهم
إلى الانضمام إلينا، والذين لم يكونوا موجودين معنا في تلك
اللحظة، هما السلطان علي بن صلاح، حاكم شبام، ممثلاً
للقعيطيين، والشيخ سالم بن جعفر الكثيري الذي كان صديقاً
للقعيطيين والكثيرين معاً، وكان حريصاً على إبرام المعاهدة
القعيطية الكثيرة. وعلى هذا الأساس انطلقتُ إلى رحلة
قصيرة، وذهبت بادئ ذي بدء لمقابلة العوامر، وهم القبيلة
التي قتلت البدو الكثيرين الأربعة على الطريق.

والأشخاص الوحيدون الذين يعارضون السيد أبو بكر هم
الذين يسعون إلى مصالحهم فقط بشكل واضح. وفي بلادٍ
اعتادت على الركون إلى الكلمة المسموعة في أخبارها وآرائها،
تكون للشائعات والأكاذيب نجاحاتها العابرة، ومع ذلك
فإن الأكاذيب والقسوة لا تدوم كما يقول السيد أبي بكر.

واستناداً على ما تقدم سترون أنه ليس هناك من هو أفضل
من السيد أبي بكر لأناقش معه احتمالات السلام، وقد اقترح
أن نذهب إلى سيئون لنجمع معاً أولئك الذين يتوقع منهم أن
يقدموا لنا العون. وقبل أن نتحرك قصدني زائرٌ مهم، وهو
"علي بن حبريش"، الزعيم الأعلى للحموم، الذي أتى مع
بعض أتباعه ليقابلني في انفراد في تريم.

والحموم قبيلة كبيرة تضم ما يزيد على ٧٠٠٠ محارب،
وقد كانوا في صراع مع القعيطي منذ زمن بعيد. وليس هناك
شك في أن الحكومة القعيطية في الساحل قد عانت منهم
كثيراً، ولكن لا شك أيضاً في أن هذه القبيلة تم التعامل معها
بشكل غير حكيم وغير سياسي. فقبل ثمانية عشر عاماً، فكر
مستشارو السلطان أن الطريقة الأفضل لتسوية مسألة الحموم
هي أن يدعى جميع زعماء الحموم إلى لقاء في الشحر ويقتلوا
هناك. وقد تم تنفيذ هذه الخطة، وكان والد علي بن حبريش،
الذي خلفه ابنه، أحد الذين قتلوا. وبعد ذلك اليوم لم تطأ
قدما علي بن حبريش الشحر، رغم أن الحكومة القعيطية
كانت من وقت لآخر تشتري منه هدنة لمدة عام بسعر ألفي
ريال ماريا تيريزا في السنة. وكان هذا خلاصة حديثه: "لا أريد
الحكومة القعيطية، فهم قد أساءوا إلي، وبحسب القعيطيون
أننا بدو همجيون، يجب أن نعامل مثل الحيوانات. إنهم يمنعوننا
من كسب عيشنا عن طريق نقل البضائع من الساحل إلى الداخل،
فنحن لا نستطيع دخول الشحر. ولا أريد الحكومة الكثيرة؛
فالسلطان الكثيري لا يملك القوة لمساعدتي. ولا أريد الحكومة
الإنجليزية؛ لأنني لا أعرف عنهم سوى حقيقة أنهم أصدقاء
القعيطي، وأنهم سيقفون معه ضدي، ولم يفعلوا شيئاً من أجلي.



”ليلة وصولنا أقام السلطان مأدبةً عشاءً كبيرة، عقدنا بعدها واحداً من أكثر مؤتمرات السلام أهمية وفائدةً وسط جو الحماس الجديد. وقد أسفرت ثلاثة اجتماعات عن وضعنا لوثيقة، تم فيها التوصية بهدنة، مدتها ثلاث سنوات، وتشكيل مجلس صلح حضرموت للتحقيق في دعاوى القبائل فيما بينها. وبعد التوقيع على المسودة بشكل أولي حول أعضاء المؤتمر مجرى الحديث إلى ماهية الإعلان الذي يجب إصداره، وأخبرتهم أن حضرموت لا تحتاج أن تتعلم من جنيف ومن المستشارين الأوروبيين في مسائل كهذه“

الذي يجب إصداره، وأخبرتهم أن حضرموت لا تحتاج أن تتعلم من جنيف ومن المستشارين الأوروبيين في مسائل كهذه. وبدأ البيان الصحفي بالقول إنه "من المعلوم أنه قد عقد اجتماع... إلخ، وإنه قد تمت التوصية بهدنة مدتها ثلاث سنوات. ونظر لعدم وجود جرائد في سيئون فقد نُشر البيان من خلال قراءته على مجموعة صغيرة في قصر السلطان الصيفي، ثم نُسخ، فأرسل إلى البلدات والقبائل.

كانت ردود الفعل الأولى إيجابية بشكل عام، ولكن كانت هناك الكثير من الشكوك فيما إذا كانت الحكومة ستبذل حقاً ما بوسعها لتقدم المساعدة في حالة حدوث أي شيء. ولم يكن هذا الشك مستغرباً بالنظر إلى أن التواصل حتى الآن كان عادةً يقتصر، كما قال السلطان، على الزيارات القصيرة،

عندما وصلت إلى موضعٍ يبعد حوالي نصف ميل من منزل الشيخ في تاربة، وحيث أقصى ما يمكن لسيارتي أن تصل، أوصيت أحد الأولاد أن يتقدمني كي يطلب من الشيخ أن يأتي لمقابلتي. ولم أكد أبلغ نصف المسافة مشياً حتى رأيت الرجل المُسنَّ مع مشايخ آخرين وحشد من أتباعهم قادمين لمقابلتي. وبدأوا الحديث بقولهم: إنهم سوف يسلّمون أسلحتهم إذا كنت أنا سآتي وأكون حاكماً عليهم. تركت السيد أبا بكر في سيئون، وواصلت طريقي إلى شبام، وهناك رحّب السلطان علي بن صلاح بالمقترحات. ومن شبام انطلقت إلى حريضة، وحينما كنت ماراً بديار البُقري، التي هي مركز لقبيلة نهد في الطريق إلى هناك، خرج أهالي المنطقة وقالوا بصراحة: إنهم لا يميلون إلى الحكومة البريطانية؛ لأنها تركتهم في حالة قتال مستمر. وضّحت لهم مهمتي لصنع السلام، وقلت لهم: إن الحكومة مهتمة الآن بإحلال السلام في البلاد. وعندما كنت في طريق العودة في اليوم التالي طلبوا مني الدخول، واصطحبوني إلى سطح أحد البيوت العالية، وأشاروا لي إلى المنطقة، وقالوا لي: إنني إن وافقت على المجيء لأحكمها فسيمنحوني البيت المجاور، الذي له الارتفاع نفسه، لأسكن فيه.

ناقشنا المواضيع نفسها تقريباً في حريضة، ولكن حريضة كانت تقع في وادي عمد المكروب، حيث غالبية أهله في شقاقٍ بعضهم مع بعض، ولم تكن الآمال عالية بأن تعالج الأمور. وعدت إلى سيئون عن طريق العقدة، حيث أقنعت الشيخ سالم جعفر بأن يصحبني. وليلة وصولنا أقام السلطان مأدبةً عشاءً كبيرة، عقدنا بعدها واحداً من أكثر مؤتمرات السلام أهمية وفائدةً وسط جو الحماس الجديد. وقد أسفرت ثلاثة اجتماعات عن وضعنا لوثيقة، تم فيها التوصية بهدنة، مدتها ثلاث سنوات، وتشكيل مجلس صلح حضرموت للتحقيق في دعاوى القبائل فيما بينها. وبعد التوقيع على المسودة بشكل أولي حول أعضاء المؤتمر مجرى الحديث إلى ماهية الإعلان



وكان الحديث يكاد ينحصر في "السلام عليكم"، و"في أمان الله". وجاء أحد الانطباعات يقول إنه إذا "سقطت قبلة واحدة على جبل في حضر موت" سيتأكد الناس بأن السلام سيؤمّن.

وفي هذه الأثناء وصلت أنباء أن الضابط بيتش، الذي كان مسافراً إلى حضر موت ليساعد في العمل في إنشاء الطرق، تعرض لإطلاق نار من قبل آل بن يمانى آل جابر، وهم الجماعة الذين تسببوا في تأخيرنا. وهؤلاء الجماعة كانوا قد اكتسبوا سمعة سيئة للغاية في تعطيل القوافل والسيارات المسافرة. وقبل ست سنوات أطلقوا النار على أحد السادة وهو في سيارته، وفي شهر رمضان هذا الذي جرت فيه المشاورات نهبوا قافلتين متجهتين إلى الوادي، وأحضروا المنهوبات معهم إلى قريتهم رِسَب.

كنت، بطلب من السلطان صالح في المكلا، قد قدّمت طلباً إلى الحكومة للاستعانة بالضابط بيتش لمساعدة السلطان في مسح الطرق، وعندما انتهى من هذه المهمة كان في طريقه لكي يقوم بتثبيت خطوط العرض والطول لمدن حضر موت، ومن ثم ليساعد في عمل مسح من أجل إكمال طريق الكاف. وقد وقعت الحادثة في الليل، إذ أطلق حينها قُطَاعُ الطرق طلقة أولى ظنّها من في السيارة ناتجة عن اشتعال المحرك، ثمّ تمّ الإطلاق في المرة الثانية على كشافات السيارة. أما الرصاصة التي أطلقت بشكل مباشر على السيارة من على بعد بضعة أمتار فمرتّ خلال مبرّد المحرك وعمود المقدود، وأصيب السائق والرجل الذي كان معه في الأمام بجروح طفيفة. وكالعادة كان الجنّة يسعون وراء المال. وقضى الضابط بيتش ومرافقوه الليلة في ضيافة بعض المشايخ الطيبين في حصن حرو، ثم واصلوا رحلتهم إلى تريم. سادت حضر موت كلها حالة منفعلة من الترقّب المكبوت حيال ما إذا كانت الحكومة ستفعل شيئاً. وجاءت رسائل من الكثيري والعوامر ومن بن عبادات نفسه ومن آخرين

فَحَوَاهَا أن تدابير السلام لن تنجح إلا إذا اتخذ إجراء لمواجهة الجنّة. وقد كتبتُ تقريراً عن الحادث وبعثته مع رسول إلى الساحل؛ لكي يتمّ تحويله إلى عدن. وأخيراً جاءت الطائرات لتعود بنا إلى عدن لمناقشة الموضوع. وجاء أناس من كل الفئات لتوديعنا، ومن بسين آخر ما قيل لي هو أنني يجب أن أقع الحكومة بضرورة التدخل في شؤون حضر موت بسياسة حازمة. وأخبرتهم جميعاً أنني على علم بأن الحكومة مهتمة بصدق بتأمين السلام، ولكن الذين يساعدون أنفسهم فقط هم الذين يستفيدون من مساعدة الآخرين. وقد وعد السلطان الكثيري بأن يمنح كل المساعدة التي بإمكانه تقديمها إذا تدخلت الحكومة، وهذا غالباً يقتصر على منع القبيلة المعتدية من دخول المدن التابعة له. كان السيد أبو بكر هو الوحيد الذي يعتقد أن الحكومة مهتمة بالسلام، وقد قال لي: "إن الطريقة التي تتعامل بها الحكومة مع حضر موت مثل الطريقة التي تغازل بها المرأة الرجل. تريد الدخول في علاقة، ولكنها تخشى الوقوع في مشكلة".

وفي المكلا أتى السلطان صالح إلى مدرج هبوط فوة لاستقباله، ووعد بالمساعدة هو أيضاً قائلاً: إنه سيتعاون معنا، وإنه أيضاً سيمنع الجنّة من دخول الشحر والمكلا. وكانت القبائل كلّها على الموقف نفسه، وتعهدتْ ألاّ تساعدهم أو تسمح لهم باللجوء إلى ديارها. ووجدتُ في عدن أن الحكومة قرّرت تقديم المساعدة، وصدر الأمر بضرورة استدعاء الجنّة أمامي أنا والسلطان ومعاقتهم إن ثبتت إدانتهم.

عدتُ جواً إلى حضر موت في ٢ يناير مُستعداً بجهاز لاسلكي، وبالتشاور مع السلطان أرسلنا الاستدعاءات بالشكل المتعارف عليه، مُبينين التّهم الموجهة ضدّ الجنّة، وأمرناهم بالمشول أمام المحكمة في يوم ١٥ يناير. وحضر (عُقَال) آل بن يمانى مع بعض القبيليين التابعين لهم في اليوم المحدد، وقمنا أنا والسلطان بمحاكمتهم في قاعة الجمهور الكبيرة بالقصر،



ذي الحجة عام ١٣٥٥ هـ (١٢ من فبراير، ١٩٣٧ م). لم يكن الاجتماع الأول هذا مُرضياً تماماً، وعلى الرغم من توقيع أغلبية الفخاخذ الممثلة، امتنع عددٌ منها عن التوقيع. ولم يكن الأمر فقط أن الناس لم يكونوا واثقين من أن السلام سيستمر، ولكن بن عبدات كان لا يزال معارضاً.

كان عمر عبيد بن عبدات هو حاكم الغرفة، وخصومته معروفة في نطاق واسع. وهو رجل عجوز قميء وغريب الهيئة، وإحدى عينيه كبيرة وجاحظة، والأخرى نصف مغمضة، وأنفه غريب الشكل، وحنكه مشقوق. ويقال عنه في السر: إنه "جنيُّ الغرفة"، ولكنه كان في العلن رجلاً مَخُوفاً؛ لأن أخاه صالحاً الذي يُقيم في جاوة كان يملك أموالاً طائلة، كانت تُستعملُ في حضرموت للإنفاق على قوة ثابتة من العبيد ولشراء الأنصار، مما جعل منه مُعضلة يُحسبُ لها حساب، ولذلك كان من الأهمية بمكان أن ينضمَّ إلى عملية الصلح. ولكنه كان في شخصه قزماً طيب القلب، ويمكنني أن أقول: إنه الآن واحدٌ من أفضل أصدقائي، ويستخدم كل نفوذه من أجل قضية السلام، ولكن كان من الصعب جداً عليه اتخاذ قرار بشأن السلام؛ لأنه، كعدد من الزعماء الآخرين، كان يخشى أنه بحلول السلام ستقطع الموارد المالية الآتية من جاوة. يتبع..

تعتذر هيئة تحرير مجلة حضرموت الثقافية عن الخارطة المنشورة سهواً في العدد 30 (ص 90) من المجلة. ونشكر الأستاذ عبد الله القلم بالتفضل بتنبئها إلى ذلك.

التي تمَّ إعدادها بمثابة محكمة عدل. وأقيمت الدعوى القضائية بشكل علنيٍّ وسَطَّ مراسيمٌ معتبرة، التي عُدتَّ بشكل عامٍ مُبهرّة. واستند عي الشهود واحداً تلو الآخر، فاستجوبهم المتهمون. كانت القضية ثابتة بدرجة كبيرة جداً ضد آل بن يمان، وعلى هذا الأساس تمَّت إدانتهم. وحُكم عليهم بدفع غرامة قدرها ١٠ جمال، و٣٠ بندقية، و١٠٠ معزة مع ضعف المبلغ الذي نهبوه، والذي كان ٣٠ ريال مارياتيريزا. وحُكم عليهم أيضاً بأن يسلموا رهينتين من كل العوائل المتورطة، على أن يحتفظ بهم السلطان الكثيري في سيئون طالما تطلَّب الأمر، ويتمُّ تغييرهم حسب رغبة الفخيدة شريطة أن تكون الرهائن البديلة مستوفية للصفات المطلوبة. سُلِّمَت إلى الفخيدة نسخة من الحكم الصادر ضدهم، وفُرض عليهم تسديد الغرامة بحلول ٢٨ يناير. وبعد الإجراءات الرسمية التقيتُ بهم في جوٍّ أكثر مسالمة، وحثَّتهم على الالتزام بالدفع، وعندما غادروا سيئون كنا نميلُ إلى احتمال أنهم سيدفعون، وتمَّ إشعارهم في الحكم أنه سيتم استعمال الطيران إذا لم يخضعوا البنود الحكم. وبُعِثَت الرسائل إلى كل الجهات موضحةً ما حدث، ولكن الصعوبة الحقيقية كانت تتمثل في تذكير الناس بأن الحكومة البريطانية تعني ما تقوله، وأن قراراتها ليست مثل التهديدات الفارغة التي اعتادوا عليها.

في الأسبوعين التاليين بُعثت الرسائل وأُرسل الرُّسل بانتظام إلى آل بن يمان، وكذلك إلى القبيلين والسادة أصحاب النفوذ الذين - حسب ما كان يعتقد - سيساعدونهم على إدراك ما سيواجهونه. وأمضيتُ أنا وقتاً طويلاً أسافرُ جيئةً وذهوباً إلى القرى المختلفة؛ لأحث الجميع واحداً واحداً على السلام. وفي اجتماعٍ لمجلس السلام في قصر سيئون في ١٨ يناير اتُّخذ قرارٌ بأن تتمَّ دعوة الدفعة الأولى من القبائل الكثيرة للاجتماع في حوطة آل أحمد بن زين في ٢٤ يناير، وأن يطلب منهم قبول هُدنة مدتها ثلاث سنوات، ابتداءً من شهر

تحول الهوية العرقية والطائفية لسكان حضرموت في القرنين العشرين والحادي والعشرين

ميخائيل أناتوليفيتش راديونوف

متحف بطرس الأكبر الأنثروبولوجي والإثنوغرافي (كونستكاميرا)
أكاديمية العلوم الروسية سانت بطرسبورغ، روسيا الاتحادية

عام 1933-1953م، والمعروف باسم "سلام إنجرامس"،
وكان بالإمكان تسميته بـ "سلام الكاف"؛ تيمناً باسم ممثل
الطبقة الروحية الأرستقراطية (من آل بيت النبي محمد صلى
الله عليه وسلم) الذي أدى إلى جانب إنجرامس دوراً حاسماً
في عملية التفاوض وتحديث البلاد.

القسم الثاني يتناول تحليل تحول الهوية العرقية والطائفية
لسكان حضرموت قبل رحيل البريطانيين، وبعد الحصول
على الاستقلال، تحت تأثير الأفكار القومية العربية
والاشتراكية والإسلامية. وتقدم هذه الدراسة وصفاً
للمكونات الرئيسة للهوية الحضرمية، مع إيلاء اهتمام خاص
لعنصرها العرقي والطائفي.

وفي الختام، يتم تقديم وصف موجز للأزمة اليمنية الحالية،
التي لا تقل فيها أهمية العامل الطائفي في المواجهة بين
الشمال والجنوب عن المشاكل السياسية والاجتماعية
والاقتصادية في المنطقة.

الكلمات المفتاحية: الهوية العرقية والطائفية، جنوب الجزيرة
العربية، حضرموت، هارولد إنجرامس، الأزمة اليمنية.

للاقتباس: راديونوف م. أ. تحول الهوية العرقية والطائفية
لسكان حضرموت في القرنين العشرين والحادي والعشرين.
كونستكاميرا. 2022. 3(17): 134 – 144.



ترجمة/ د. مراد محمد باعلوي

الملخص:

تتناول هذه الدراسة تحول الهوية العرقية والطائفية لسكان
حضرموت (جنوب الجزيرة العربية) في سياق التحولات
الاجتماعية، التي بدأها مسؤولو الاستعمار البريطاني في ذلك
الوقت هارولد إنجرامس عام 1933م، واستمرت على أسس
مختلفة، وصولاً إلى يومنا هذا. ولحل المشكلة البحثية
المذكورة تم استخدام منشورات محدودة التوزيع لوثائق
من الأرشيف البريطاني، ومن أرشيف اليمن الجنوبي،
بالإضافة إلى مواد ميدانية جمعها كاتب المقال في حضرموت.

القسم الأول خصص لبناء هياكل السلطة الحديثة في
السلطتين الرئيسيتين في منطقة الدراسة، وهما السلطنة القيعية
والسلطنة الكثيرة، وعملية المصالحة بين القبائل المحلية



السيد أبوبكر الكاف

هارولد إنجرامس

للهولة الأولى، يعد الشعور بالهوية العرقية الثقافية صفةً من صفات الحضارم، أي سكان حضرموت (جنوب الجزيرة العربية)، ومن السهل نسبياً وصفها وتفسيرها؛ لأنها بالفعل وعلى مدى ثلاثة آلاف سنة من وجودها كمجتمع تاريخي وثقافي احتفظت هذه المنطقة بأصالتها الجغرافية التي أصبحت السمة الأساسية للتعرف على سكانها. إن التنوع الطبيعي من ساحل وهضاب ووديان وصحراء جعل حضرموت منطقة إعادة شحن

(ترانزيت) رئيسة، حيث يتم تبادل السلع منذ زمن طويل بين دول حوض المحيط الهندي والجزيرة العربية (روديونوف 2021: 121-205). ومن الصعب تتبع كيف تغيرت مكونات الهوية الحضرمية تحت تأثير التحولات الاجتماعية، وما هو الدور الذي يؤديه العامل الطائفي في ذلك. وهكذا، ارتبط المكون المكاني للهوية المحلية ارتباطاً وثيقاً بالعنصر الديني: فالطبيعية لها قدسيته؛ إذ يعتبر الحضارم إرسال الأمطار الموسمية التي تعتمد عليها الزراعة المحلية بالكامل أهم رحمة من الله (الرحمة) (روديونوف 2010). (سوف نعرض كيف تم حل هذه المشكلة في عهد الحماية البريطانية، وبعد خروج البريطانيين من جنوب الجزيرة العربية).

"سلام إنجرامس" أم "سلام الكاف"؟

زاد اهتمام بريطانيا العظمى بجنوب الجزيرة العربية شرق عدن، بعد افتتاح قناة السويس في عام 1869م. ولحاجة البريطانيين إلى حكام محليين ودودين وأقوياء على الطريق البحري السويس بومباي، قام البريطانيون بدعم اليافعيين من آل القعيطي في الصراع من أجل السلطة في حضرموت، ويعد القعيطيون أحد المجموعات القبلية الثلاث الذين جمع قاداتهم ثرواتهم من الخدمة العسكرية في الهند مع نظام حيدر آباد.

وبعد أن منحت بريطانيا قادة عائلة القعيطي مدينة المكلا الساحلية، وخصصت لهم منحاً مالية سنوية ليست كبيرة، أبرمت الإدارة البريطانية اتفاقيات صداقة معهم عامي 1882م و1888م. ووفقاً لهذه الاتفاقيات لم يكن بإمكان القعيطيين بيع ممتلكاتهم أو رهنها أو إعطاؤها إذن بالاستخدام بأي شكل من الأشكال، وبالتحديد موانئ الشحر، والمكلا، وبروم والأراضي المجاورة لها لأي شخص أو دولة أجنبية، باستثناء الحكومة البريطانية. هذه المطالب كانت من أجل التأكد من عدم تشكيل مركز قوة جديد في حضرموت عن طريق شراء المستوطنات. وهناك شرط آخر نص على السيطرة البريطانية الكاملة على علاقات القعيطيين مع الحكام المجاورين والدول الأجنبية. (روديونوف 2007: 53-60).

حاولت السلطنة الكثيرة التي قطع عليها القعيطيون الوصول إلى البحر العربي إعادة الموانئ بمساعدة تركيا، لكن رد السلطان القعيطي والسلطات البريطانية كان بفرض حصار اقتصادي عليهم. وفي الثامن من يونيو 1918م وعند اقتراب الحرب العالمية الأولى من نهايتها، تم في عدن إبرام اتفاقية بين السلطنة الكثيرة والسلطنة القعيطية، وبذلك انضم الكثيري إلى الاتفاق القعيطي - البريطاني المُوَقَّع في عام 1888م. وتم تحديد حدود السلطنة الكثيرة والتأكيد



صلح إنجرامس والسيد أبو بكر الكاف لقبائل حضرموت

على ثباتها، وطوى النسيان الخلافات السابقة بين الطرفين. تمتع السلطان الكثيري باستقلالية ذاتية كاملة داخل حدوده، في حين كانت العلاقات الخارجية جميعها تمر عن طريق المكلا وعدن. وتم الإعلان عن التجارة الحرة المطلقة، وحلّت جميع الخلافات بين أطراف الاتفاقية من قبل بريطانيا العظمى. وقد ورد الحكم الأساسي في المادة الأولى من الاتفاق: "اتفق السلطان القعيطي والي الشحر والمكلا والسلطان من آل عبد الله الكثيري على أن إقليم حضرموت هو إقليم موحد،

وأن الإقليم المذكور يعتبر إحدى المحميات البريطانية من خلال سلطان الشحر والمكلا" (إنجرامس 1936: 169 – 170: روديونوف 2007: 58 – 61). وهكذا أصبحت حضرموت محمية لبريطانيا العظمى.

إن السعي لوحدة منطقتهم بطريقة غير مألوفة قد اقترن لدى الحضارم بالتفتت السياسي والصراع القبلي المستمر، وأسهم في ذلك التنظيم الاجتماعي المعقد التسلسل الهرمي للطبقات الاجتماعية المتوارثة. الطبقة العليا تشكلت من الأرستقراطية الروحية، ممثلة في (السادة، أو سلالة النبي محمد والشيوخ) وكان سند هذه الطبقة وجوهرها القبائل والطبقات الأقل كانت سكان المدن، من الفلاحين، والحرفيين، والعمال، والخدم والعبيد... إلخ (إنجرامس 1936: 36 – 44: روديونوف 2007: 19 – 29).

ولتنفيذ الإصلاحات الاجتماعية كان من الضروري وضع حد للصراعات القائمة، وللقيام بذلك بدأ بجمع المعلومات ذات الصلة عن هذه المنطقة، التي لم تتم دراستها إلا قليلاً. وقد أنجز المسؤول الاستعماري هارولد إنجرامس المهمة بنجاح التي أعدها بناءً على نتائج رحلة استمرت تسعة أشهر في العامين 1934 – 1935م، عدّ خلالها تقرير تفصيلي عن

الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في حضرموت (إنجرامس 1936م). وفي العمل على التقرير شارك إنجرامس في الجانب التطبيقي منه زوجته دورين: فقد جمعت المعلومات الجغرافية، بالإضافة إلى إجراء استطلاعات للرأي بين النساء المحليات، وكتبت مذكرات ميدانية. وخلال رحلة العمل اكتشفت عائلة إنجرامس أن السلطات السلطانية لم تستطع في عدد من المستوطنات والمناطق القبلية أن تُحصّل الضرائب، وليس لها تأثير على إدارة هذه المناطق، على الرغم من أن جميع الحضارم كانوا يُعدّون رسمياً رعايا السلطان، ويسافرون إلى الخارج بجوازات قعيطية أو كثيرة أعطيت في الفترة 1910 – 1919م (إنجرامس 1936: 2 – 3، 7).

تمكّن المسؤول البريطاني إنجرامس من إبرام مصالحة عامة بين القبائل في عام 1937م. وبحلول وصوله كان قد تم بالفعل توقيع عدد من الاتفاقيات مع القبائل. وقد قسم هذه الوثائق إلى فئات "A"، والتي تنص على الولاء الكامل للسلطان، والفئة "B" على الصداقة والتعاون على أساس المنفعة المتبادلة. وعندما تم التوقيع على جميع الوثائق، تبين أن في حضرموت هناك حوالي ألفي "حكومة" منفصلة، في حين لم تعترف بريطانيا العظمى إلا باثنتين منها فقط (إنجرامس 1993: 12: قعيطي 2009) (1).



وكان الكاف مشاركا بشكل نشط وفعال في المفاوضات مع زعماء القبائل وغيرهم من القادة التقليديين في حضرموت، بالإضافة إلى تقديم معونة لبناء أول طريق للسيارات، يربط بين الساحل والوديان الداخلية، مما قوّض الامتيازات التقليدية للقبائل لضمان تأمين تجارة القوافل.

كان السيد أبوبكر الكاف الموالي للإمبراطورية البريطانية وبكرامة المسلم الارستقراطي، كاد أن يرفض لقب فارس بعد أن علم أن المراسيم المهيبة تتضمن الركوع أمام ملكة بريطانيا، فالمسلم الحقيقي لا يركع إلا أمام الله، وللهروب من هذا الموقف تم العثور على مخرج: وفي الصورة التي التقطت في أبريل عام 1954م في أثناء زيارة إليزابيث الثانية إلى عدن، يمكن رؤية كيف تلمس الملكة كتف الكاف بسيفها، وهو مسند ركبته على مقعد خاص (دوكير 2003: 41). يذكر أن أبا بكر الكاف ولد في أرض المهجر ودفن في وطنه التاريخي في عاصمة السلطنة الكثيرة سيئون.

تُظهر قصة حياة أبي بكر الكاف الدور المهم الذي تؤديه الشبكة الواسعة من الجاليات الحضرية في الخارج لتعزيز الهوية الحضرية (حضرموت وشتاتها 2017)، مع الأخذ في الاعتبار أنه في عهد إنجلترا كان في كل عائلة حضرية تقريباً هناك شخص ما من الرجال يعمل في الخارج، ويحلمون بالعودة إلى وطنهم كأشخاص أثرياء.

تجب الإشارة إلى أن السيطرة السياسية على حضرموت تركزت في عدن التي تم نقلها في عام 1937م إلى الإدارة المباشرة من قبل وزير المستعمرات البريطاني، وتم تقسيم جميع دول جنوب الجزيرة العربية التابعة لبريطانيا إلى محميات عدن الغربية والشرقية. وفي العام نفسه أصبح إنجلترا مسؤولة عن مستشار بريطاني مقيم للسلطان القعيطي في جميع الأمور باستثناء المسائل المتعلقة بالدين والعادات والتقاليد. ومن عام 1939م امتدت صلاحياته إلى السلطنة الكثيرة.

دخلت المصالحة العامة حيز التنفيذ في فبراير 1937م ولمدة ثلاث سنوات، وفي العام 1940م تم تجديدها لمدة خمس سنوات أخرى، ثم بعد ذلك جُددت لخمس سنوات أخرى، ومنذ العام 1950م أصبحت حالة "السلم المدني" دائمة. ولدعم هذا السلم تم تأسيس مجلس المصالحة. وبمساعدة من المختصين العسكريين البريطانيين تم إنشاء الجيش النظامي، وفي المدن أنشئت الشرطة البلدية، وللحفاظ على النظام في المناطق الريفية أنشئت قوات الدرك. وتم كذلك تشكيل فيلق بدوي على غرار النموذج الأردني الذي كانت مهمته ضمان أمن الحدود والمناطق الحدودية.

يُعرف وقف الصراع في حضرموت وخارجها باسم "سلام إنجلترا"، على الرغم من ذلك وكما لاحظ المستعرب البريطاني بول دريش (رديش 2002: 410)، أنه وعلى الأسس

نفسها يمكن أن نطلق عليه "سلام الكاف" نسبة إلى السيد أبي بكر الكاف (1890-1965)، الذي ولد في سنغافورة، وينحدر من أصول حضرية من آل البيت، وقد بنى ثروته العائلية من خلال الأنشطة التجارية الناجحة، وأنفقها بسخاء على الإصلاحات في حضرموت.



بريطانيا ترحل: النتائج والخطط

قبل نهاية الحرب العالمية الثانية بوقت قصير، وبالتحديد في أبريل 1945م، قام هارولد إنجرامس بتجميع مذكرات الخدمة، حملت ختم "للاستخدام الرسمي فقط"، بعنوان "التطور السياسي في حضر موت"، أصدرته زوجته دورين وابتاتهما ليلي في المجلد العاشر من مجلديهما الست عشرة المجمعّة للمواد الأرشيفية عن اليمن.

المذكّرة كانت موجهة إلى المستشارين المقيمين المستقبليين، الذين يخططون للعمل في حضر موت، وإلى رؤسائهم في عدن ولندن. وقارن فيها إنجرامس بين الوضع في السلطتين في العامين 1934م و1944م، مشيراً في المقام الأول إلى نجاحات سلطنة القعيطي في توفير الأمن الداخلي، والمصالحة بين القبائل، وتحديث جهاز الدولة، والخدمات الاجتماعية (التعليم والرعاية الطبية) ... إلخ. واكتملت الصورة بذكر المجاعة الشديدة التي اجتاحت البلاد بعد احتلال اليابانيين لسنغافورة وجزر الهند الشرقية الهولندية، ومصادرة ممتلكات المهاجرين الحضارم وأصولهم الذين كانوا في زمن السلم

يقومون بتحويل حوالي 600 ألف

جنية إسترليني إلى الوطن. أسهم

الجفاف الذي دام سبع سنوات في

تفاقم الوضع في حضر موت وترديّه،

بالإضافة إلى فقدان نصف جمال

النقل، مما وجّه ضربة لتجارة القوافل

من الساحل إلى الوديان الداخلية،

وتضخم أسعار المواد الغذائية

(إنجرامس 1993: 5-8). وتلا

ذلك رأي إنجرامس في خصوصيات

حضر موت وسكانها، وهنا نقتبس

ما قاله:

"طبيعة البلد تفسر طبيعة الناس. إن المساحات والجبال الخالية من النباتات والهضاب ولدت شعوراً لدى البدو شعوراً عميقاً بالحرية وعدم الرغبة بالتضحية والتنازل بها من أجل إرضاء أي شخص كان، لأن هذه ثروته الوحيدة. وفي أعماق وديان المناطق الداخلية يكون الأفق محدداً بجوانب يبلغ إرتفاعها ألف قدم، وهذا غرس في الناس شعوراً بالتفرد والاستثنائية التي نادراً ما توجد في أي مكان آخر. وفي مدن وقرى هذه الوديان تكوّن شكل خاص جداً من التدين. كما لا توجد هنا أخوة حرة في الإسلام، ولكن يوجد نظام طبقي: السادة، وقبائل حضرية تفتقر إلى الكثير من الفضائل المتأصلة في بدو الصحراء: مرابي الأموال من المهاجرين، القبائل اليافعية من الغرب (جنوب الجزيرة العربية. م. ب.). كذلك أحفاد العبيد الأفارقة، وتجار المدن، والعمال عديمو الحقوق الذين يعيشون ظروفاً معيشية صعبة للغاية لدرجة أنهم هبطوا تقريباً إلى مستوى الحيوانات التي يتشاركون معها رفع المياه من الآبار. ويسيطر السادة على الحياة والفكر الاجتماعي في البلاد، على الرغم من أن بعضهم ممن اتصل



السيد أبوبكر بن شيخ الكاف وعن يمينه السلطان الحسين بن علي الكثيري

ثم العلامة الحبيب زين بن حسن بلفقيه



إن الظروف المذكورة في الأجزاء المقتبسة، تعد مثلاً واضحاً لـلورانس العرب، وقد حددت إلى حد كبير الأسلوب والطرق التي اختارها إنجرامس للعمل مع الحضارم.

"ونظراً للصفات الاستثنائية للناس، كان علي دائماً أن أتصرف كما لو كنت واحداً منهم. بناءً على طلبهم ارتديت نفس الملابس التي كانوا يرتدونها: وبما أنه في حضر موت يمنع الاحتفاظ بالمشروبات الكحولية في المنزل، لذا ساد لدي قانون صارم، وخارج المنزل العائلي بنصف المسافة كنا نعيش دائماً كما تعيش البلاد. أعتقد أنه وبفضل العيش وفقاً للعادات المحلية والعمل بشكل وثيق مع الناس تمكنا من إنجاز وتحقيق الكثير من الأشياء. ولهذا ما يتم بمبادرة مني لم يثر أي تساؤلات أو اعتراضات، لأنه لم يُنظر إليه على أنه فكرة لشخص غريب ينفذها لمصلحة حكومة أجنبية" (إنجرامس 1993: 15).

كانت مسألة التقاليد والدين حساسة بشكل خاص بالنسبة للحضارم المسلمين - السنة الشوافع، وعلى الرغم من أنها لم تكن ضمن مجال اختصاص المستشار البريطاني المقيم رسمياً، لكنه لم يكن بإمكانه تجاهلها. وهذا ما كتبه إنجرامس في هذا الصدد في مذكراته.

"كمسيحي، في البداية واجهت صعوبة في أن أكون مقبولاً في المجتمع من الناس الذين يعتقدون أنه من المستحيل تقريباً بالنسبة لهم التعود على فكرة وجود عرب مسيحيين. وفي أنحاء مختلفة من البلاد دائماً ما كنت أسمع اعتراضاً على أن توقيع المعاهدات التي بموجبها يتم جلب المستشارين الأجانب إلى البلاد ذلك يعني ظهور المبشرين وبناء الكنائس. لقد كنت أجيب دائماً على أولئك المشككين في أنه لن يُجبروا على قبول المبشرين، علاوة على ذلك، هذه الكيانات الحكومية الجديدة سيتم الاعتراف بها من قبل الدول العربية الإسلامية، وأنا نفسي كعضو في الحكومة العربية الإسلامية شعرت

بالأوروبيين وأثنا منازلهم بمزيد من الراحة، لا تقل عن الترف وقلة الذوق البربري للغرب، فإن التأثير الغربي يقتصر فقط على هذا، وقد استحقوا وصف "أعضاء الطائفة الأكثر تعصباً في الجزيرة العربية". هناك أكثر من 20 ألف سيد في البلاد، وربما يشكلون مع أفراد عائلاتهم حوالي خمس السكان. وتعتبر حضر موت أرضاً ذات خصوصية ومقدسة، ففي هذه الأرض يقع قبر النبي هود والكثير من الأولياء والصالحين". (إنجرامس 1993: 9).

ونعطي الكلمة لإنجرامس نفسه الذي يصف على أساس تجربته الصفات الأخلاقية للحضارم وعلاقتهم بالدين. "في هذا البلد يمكن أن تجد تناقضات جداً غريبة بدءاً من مظاهر الرفاهية المغالية والراحة إلى الفقر المدقع، ومن المستوى العالي من الثقافة إلى الوحشية الكاملة. والطبقات الفقيرة في المدن عادةً لديهم دخل كاف لتوفير الطعام لأنفسهم، لكن لا يمكنهم الربح والادخار، في حين يعيش البدو على حافة المجاعة. بالإضافة إلى ذلك توجد مستويات عالية من القيم الأخلاقية عند البدو، ولكن في المدن وبالذات الساحلية منها تنتشر الرذائل (مشائن) بشكل كبير، في حين أن السرقة كانت أمراً نادر الحدوث. وينتشر الالتزام بالطقوس الدينية بين الحضر، ولكن "الأتقياء" بينهم قليل، فهم يبرزون كالمنازل. لا يلتزم البدو بالطقوس الرسمية إلا قليلاً (بعض القبائل نادراً ما تصلي أو تصوم)، لكن معايير الشرف لديهم عالية، وهؤلاء الناس مسلمون بالفطرة، وتعلموا من خلال الدروس الصعبة الخضوع المطلق لإرادة الله. ويكون التعصب الديني أكثر وضوحاً لديهم حينما يكون تأثير السادة أقوى. وفي مواقف أخرى يلاحظ لديهم قدر كبير من التسامح، وبالنسبة للبدو فإن الصفات الإنسانية أكثر أهمية من الانتماء الديني" (إنجرامس 1993: 10).



بأنني ملزم بدعم دين الدولة. شخصياً وعلى الرغم من أنني لا أستطيع التباهي بالقول بأن لدي ميول خاص تجاه الدين، إلا أنني وجدت الإلهام العملي في العقيدة التي نشأت عليها، ومع ذلك وجدت نفسي في موقف اضطررت فيه إلى التعامل مع أشخاص من ديانات أخرى، شعرت أنه من المهم للغاية مساعدتهم وتشجيعهم على العيش وفقاً لأسمى مبادئ دينهم، حيث إن الروح الدينية الحية أمر حيوي للمضي قدماً. إن حضرموت، كما قلت تميل بشكل مؤسف نحو الشكلية المفرطة، وكثيراً ما وجدت الدعم في جلب أفكار إلى الواجهة حول ضرورة العمل والعيش وفق روح الدين. هذا الأسلوب في التعليم استخدم في العمل مع القوات العسكرية وكذلك مع الأطفال في المدارس الجديدة، وخاصة في مدارس الأطفال في القرى والمدارس البدوية للبنين والبنات. لدى مساعدي في الجانب التعليمي شخص مرشح للعب دور مدرس يشرح للطلاب الروح العامة للدين، في حين يترك للمدرسين الآخرين على سبيل المثال شرح شعائر الصلاة وأحكام الصيام. وبمرور الوقت اتفق الجميع على أن مكانة الدين في شؤون البلاد تتعزز ولا تضعف" (إنجرامس 1993: 15-16).

ومع ذلك، على الرغم من دعم سياسة إنجرامس من قبل سلاطين القعيطي والسادة من آل الكاف والسقاف والمحضار، لكنه لم يستطع أن يرى مدى عدم الثقة الذي استقبل به ظهور البريطانيين من قبل الكثير من الحضارم، وخاصة أعضاء المجتمع المناهضين للسادة (الإرشاديين). انتشرت القصائد والأغاني والنكت في جميع أنحاء البلاد التي تصور تكتيكات الأجانب كناس متنكرين، ذئاب بملابس بشرية. واحدة من هذه النكت يقدمها إنجرامس في مذكراته.

"لقد تحدثت قبل فترة مع العديد من الأشخاص المهمين في المكلا حول المساعدة التي تقدمها حكومة صاحب الجلالة.

وأعربوا عن امتنانهم، لكن كانت لديهم شكوك فيما إذا كان ذلك سيؤدي إلى زيادة السيطرة وما إذا كان سيتحول إلى استعمار بريطاني كما يسمونه. قال أحدهم يأتي البريطاني إليك ويقول: "أود البقاء في منزلك ومساعدتك، لن أزعجك، أريد فقط صداقتك، ومع ذلك سأدفع". وبعد فترة يقول: "أود أن أعلق قبعتي هنا، فهي لن تزعجك". ثم يضيف: "والمعطف أيضاً". وانضم شخص آخر للحديث وقال: "... ثم سيظهر سرواله ولن يستطيع المغادرة". وبعد بضعة أشهر عندما دعا محافظ عدن لاجتماع في حضرموت وتحدث إلى المجتمعين حول المساعدات السخية للغاية التي تقدمها حكومة صاحب الجلالة لمكافحة المجاعة، وفي خطاب الرد بعد أن أعرب عن الامتنان، طلب منه تأكيدات بأن لا يكون وراء هذا الكرم إلا الصداقة فقط. أعطى المحافظ بكل سهولة هذه التأكيدات، لكن الحقيقة هي أن عرب جنوب شبه الجزيرة العربية يعرفون جيداً ما يعنيه التغلغل السلمي للإنجليز في أماكن مثل زنجبار في الماضي، وهم حذرون منا حتى عندما نقدم لهم العطايا" (إنجرامس 1993: 15-16).

وفي الجزء الأخير من الوثيقة يقدم الكاتب عدداً من الاستنتاجات والتنبؤات، وأهم ما يتعلق بموضوعنا هو ما يلي:

- (1) توجد في الشرق الأوسط مناطق متخلفة، لأسباب مناخية، مثل حالة التربة، وطبيعة السكان والنظام السياسي ولا يمكن أن تكون هناك إدارة إستعمارية بالمعنى المعتاد للكلمة....
- (2) أفضل طريقة للتعامل مع هذه المناطق هي تنظيم نظام للسيطرة السياسية الناعمة أو التوصيات التي لا تعتبر حكماً مباشراً ولا غير مباشر ولا تُعد في الوقت نفسه عدم مشاركة كاملة فيه.
- (3) من المستحيل أن تتوقع من الناس التصرف بمسؤولية إذا لم يتم منحهم المسؤولية الكاملة. وفي البلدان المعقدة مثل حضرموت، حيث الموارد الاقتصادية محدودة للغاية،



للهوية التقليدية كالاتي:

(1) بحسب الأصل والطبقة الاجتماعية.

(2) بحسب الجينات (حضرمية).

(3) بحسب اللغة (التحدث باللغة العربية).

(4) بحسب الدين (مسلم سني شافعي).

ولفترة طويلة أرجع سكان حضرموت مفهوم "اليمنيين" في الغالب إلى أولئك الذين يسكنون الجبال في الشمال الغربي. وقد استخدم مصطلح "عربي" كمرادف لمفهوم "الشخص الكامل الذي يستطيع الشرح بلغة سليمة". ولانتشار الواسع والقبول لأفكار القومية العربية، كانت هناك حاجة إلى مجموعة كاملة من الأحداث السياسية الخارجية، وأهمها كانت الثورة المناهضة للملكية عام 1952م في مصر التي ألهمت مشاعر الاحتجاج في جنوب شبه الجزيرة العربية. في حين أثارت الإطاحة بالملكية في شمال اليمن عام 1962م مسألة الكفاح المسلح في الجنوب.

أصبحت قضية الوطن اليمني الموحد موضع نقاش ساخن ليس في صنعاء وعدن فحسب، ولكن أيضاً في المدن الساحلية في حضرموت والمناطق الداخلية. وكانت الخطط البريطانية لإنشاء اتحاد فدرالي للجنوب العربي الذي سيشمل جميع كيانات الدولة الـ 25 في المحميات الغربية والشرقية لم تلقَ دعماً من السلطات والمجتمع في سلطنتي القعيطي والكثيري.

ومع بداية إنهاء الطبقة في المجتمع (روديونوف 2021) جذبت الأحداث الثورية الشباب المتطرف من جميع الطبقات (خاصة الطبقات العليا والأدنى). بعد ذلك تمت الإطاحة بآخر سلطان حاكم من سلالة القعيطي غالب بن عوض بعد فترة وجيزة من الرحيل المتعجل للبريطانيين في 16 من سبتمبر 1967م، وفي الثاني من أكتوبر من العام نفسه تم عزل السلطان حسين بن علي الكسادي.

فإن الأمل الوحيد للخلاص يكمن في ضمان استعداد الناس لتدبير أمرهم بأنفسهم" (إنجرامس 1993: 20-21).

ويقدم إنجرامس أيضاً بعض التنبؤات، أو كما يسميها هو "استنتاجات عامة": "إن جنوب غرب شبه الجزيرة العربية مملكة اليمن ومحمية عدن جزء لا يتجزأ من العالم العربي، ولكنها وجنوب شرق شبه الجزيرة العربية متخلفتان كثيراً مقارنة بدول الشمال العربي. ومع ذلك، يجب عليهم عاجلاً أم آجلاً أن يلتحقوا بالركب ويشكلوا الصورة الشاملة للوحدة العربية، وأعتقد أن أساليب التطور السياسي في حضرموت التي تستطيع ونأمل كذلك أن تؤدي إلى تشكيل اتحاد فيدرالي لدولة حضرموت، وفي نهاية المطاف ستجعل هذه المنطقة أكثر جاهزية ورغبة للتوافق مع مخطط الوحدة العربية. وإن عدن بالإضافة إلى كونها حصناً إمبراطورياً ومركزاً للتجارة، فقد لعبت في الماضي دوراً تعليمياً في هذه المنطقة، وإذا ما استمرت عدن في التطور كمرکز ثقافي فإنها ستساعد أيضاً اليمن والمحميات على المضي قدماً على طريق الوحدة العربية" (إنجرامس 1993: 22).

بالنسبة لإنجرامس، فإنه كان واضحاً لديه الشعور بالتفرد والتميز الذي يشعر به الحضارم (حضرموت وشتاتها 2017: بيتوريس 2017). هذا الشعور هو نتيجة تراكم كافة مكونات الهوية الثقافية، مما حول سكان المنطقة إلى مجتمع خاص. لكن التغيرات الاجتماعية والسياسية في المجتمع الحضرمي لم تسر كما خطط لها في لندن، عندما خرجت بريطانيا من عدن وجنوب شبه الجزيرة العربية "بلا مجد، ولكن أيضاً بدون كارثة" (خروج بريطانيا من عدن والجنوب العربي 2020).

إحصائيات وديناميكية الهوية الحضرمية

كان للأحداث في داخل البلاد وخارجها تأثيرها الحاد على الوعي الذاتي لسكان حضرموت، ومن ثم قُدمت محددات



وإليك بعض التواريخ الأخرى: في 30 نوفمبر 1967م تم إعلان جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية، وأعيد تسميتها في العام 1970م، إلى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، واتحدت في 22 من مايو 1990م مع الجمهورية العربية اليمنية تحت مسمى الجمهورية اليمنية التي تشهد منذ العام 2011م أزمة اجتماعية سياسية حادة. وحضر موت تابعة للجمهورية اليمنية مهما كان اسمها كإحدى المحافظات.

وفي عهد جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، ولمكافحة النزعة الانفصالية، جرت محاولة للتخلي عن الأسماء التاريخية للمحافظات وتم استبدالها بالأرقام من واحد إلى ستة. وهكذا ظلت حضر موت لعدة سنوات تسمى رسمياً المحافظة الخامسة، والحضارم هم سكان المحافظة الخامسة. وبدلاً من الاتحاد حصل سكان الجنوب العربي على دولة مركزية وعاصمتها عدن، وبدلاً من الإسلام -ماركسية لينينية بشعارات العدالة الاجتماعية، ومناهضة الاستعمار، والتضامن الطبقي، والأمية والإلحاد. إذ كان الشعاران الأول والثاني قد حظيا بتأييد واسع النطاق، فإن بقية الشعارات سببت ارتباكاً بين الكثيرين، وغالباً ما ارتبط ذلك بصعوبات ترجمة المصطلحات الماركسية إلى اللغة العربية. وهكذا استبدلت الحكومة الجديدة مسمى الطبقات الاجتماعية غير متساوية الحقوق بكلمة "العمال"، ولهذا السبب انتشر الشعار "يا عمال العالم اتحدوا". لم يكن واضحاً للجميع: "لماذا يجب أن يتحد العبيد؟". إلا أن إدخال أيديولوجيا جديدة لم يصاحبها قطيعة كاملة مع التقاليد الثقافية لحضر موت. وقد تم الحفاظ على بعض الشعائر الإسلامية في الحياة اليومية واختفى بعضها، مع الحفاظ على المبادئ الإسلامية الأساسية.

الطقوس الدينية في حضر موت كما هو الحال في المناطق الشافعية الأخرى في اليمن تقع بشدة تحت تأثير التصوف

الإسلامي - الصوفية، التي أنشئت مدرستها الخاصة هنا - الطريقة العلوية. وتؤكد على دور حضر موت في نشر الإيمان بإله واحد، بدءاً بأنبياء ما قبل الإسلام وانتهاءً بممثلي السادة من آل باعلوي وغيرهم من الصالحين الذين ينبغي أن يكونوا بمثابة المعيار الأخلاقي لكل مسلم.

تأسست الطريقة العلوية على تعاليم وممارسات المدارس الصوفية الشاذلية (شمال أفريقيا) والقادرية (العراق)، وهي ترشد المسلمين نحو تحسين الصفات الشخصية التي يشجعها الكتاب والسنة. وتنص الطريقة على زيارة قبور الصالحين في أثناء الزيارات الدينية، وقراءة القصائد (ربما مقصود بالقصائد أذكار أو أناشيد) عن أعمالهم الصالحة التي قدموها للمجتمع، وقدراتهم الخارقة على تحقيق الكرامات التي منحت لهم في أثناء الحياة، واحتفاظهم بالتأثير بفضل الله حتى بعد الموت. إن أهمية الزيارات في حضر موت التي تغطي أراضيها شبكة كثيفة من الشواهد الدينية المقدسة، تتجاوز الحدود المحلية بكثير. وقد حظيت التقاليد الصوفية - الشافعية في حضر موت باعتراف دولي واسع النطاق. وإن دورها في أسلمة جنوب شرق آسيا جعل من حضر موت مركزاً ثقافياً إسلامياً مهماً عابراً للحدود الوطنية (كينش 2001). والحضارم واثقون من أن نصف المسلمين على هذا الكوكب يدينون بارتباطهم بالإسلام للمهاجرين من حضر موت.

أدى توحيد الجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية في عام 1990م إلى زيادة التعاطف عند الجنوبيين مع الأحزاب التي تستخدم الأجندة الإسلامية. ومع ذلك، فإن النشوة الأولية سرعان ما تحولت إلى خيبة أمل متزايدة بالنظر لنتائج الاتحاد مع الجمهورية العربية اليمنية. وأصبحت فصائل الحراك السلمي الجنوبي سلطة قوية في الجنوب تبوأ فيها أبناء حضر موت غالبية المناصب القيادية.



الصوفية وتصفية مراكزها المقدسة أو إغلاقها. وحاولوا تبرير قمعهم بضرورة وقف الفوضى وحماية السكان من "الشماليين الحوثيين الموالين لإيران".

وفي أبريل 2016م، أجبر الجناح الإماراتي للتحالف العربي (رابطة الدول العربية لحل الأزمة اليمنية) الجهاديين على الفرار من المدن، الأمر الذي تطلب الاستيلاء الفوري لملء فراغ السلطة في هذا الجزء من حضرموت. ودفع التهديد المستمر للإرهاب النخب السياسية المحلية إلى عقد مؤتمر حضرموت في المكلا في أبريل 2017م، بمشاركة نواب من كافة مديريات المحافظة. وأعلن المؤتمر سياسة الحكم الذاتي لمنع عودة "أبناء حضرموت" من معسكراتهم في المناطق الصحراوية. وفي عام 2018م، انحاز مؤتمر حضرموت إلى المجلس الانتقالي الجنوبي، وفي إثره بدأ الجناح السعودي للتحالف العربي في زيادة وجوده في حضرموت الداخل، ودخلت حضرموت الساحل في مناطق سيطرة المجلس الانتقالي الجنوبي الموالي للجناح الإماراتي للتحالف. وفي تلك الفترة واجه محافظ المحافظة حينذاك اللواء الركن فرج البحسني صعوبة في أداء دور الوسيط بين الأطراف المتنافسة.

إن انتقال التنافس السياسي للتحالف العربي في الجنوب إلى المستوى الطائفي ينعكس أيضاً حتى في أفكارهم عن الهوية الثقافية للجنوبيين والشماليين. ويدعم الجناح المعتدل من السلفية مفهوم الهوية الجنوبية، ويتهم السلفيين المتطرفين، أو "السلفيين الوهابيين"، بالسعي للحفاظ على الهيمنة الشمالية في الجنوب ونشر التطرف الديني فيه، وهو ما يتعارض مع التقاليد الاجتماعية والثقافية الأصيلة للجنوب.

وفي سياق تفاقم الصراع السياسي في الجنوب بشكل عام وفي حضرموت باعتبارها المحافظة المهمة فيه، تزايد بشكل خاص أهمية الديناميكيات الاجتماعية والثقافية في منطقة الصراع. وتعتمد نتيجة الصراع على أي من الأطراف

وعلى خلفية هذه العمليات، أثار إطلاق المشروع الديني الكبير من قبل القائد الكاريزمي الروحي السيد عمر بن حفيظ من آل بن الشيخ أبي بكر حماساً كبيراً لدى سكان المحافظة. وفي العامين 1993م - 1994م افتتح في تريم مدرسة دينية، تحولت عام 1997م إلى مركز تعليمي دولي حديث تحت مسمى "دار المصطفى". ومن أسس هذا المنهج إحياء التقاليد الحضرمية الشافعية الصوفية، وكان بين الطلاب الأجانب عدد من الأوربيين الذين أسهموا في نشر محاضرات الحبيب عمر ومواعظه عبر الإنترنت مع ترجمتها إلى اللغة الإنجليزية. السلفيون الراديكاليون (أنصار الإسلام السلفي يسمون الصوفيين بعباد القبور، ومروجي الخرافات، ويدينونهم لاتباعهم الطريقة العلوية بوصفها مظهراً من مظاهر "الأعمال العائلية" التي من خلالها يخضع رؤساء العائلات الأعضاء من غير السادة في المجتمع لإرادتهم، مما يجبرهم على المشاركة في طقوس عفا عليها الزمن (كنيش 2018: 218). وحتى في أوقات السلم كانت الهجمات على المقدسات الصوفية في تريم ومدن أخرى في حضرموت تتطلب الحراسة والحماية. وتواصل دار المصطفى في تريم تقاليد المدرسة الشافعية - الصوفية الأصيلة، حيث تحاول محاربة الموجة القوية من السلفية والجهادية المتطرفة (المحظورة في روسيا من أنصار "الحرب المقدسة")، والمتمثلة في حضرموت بعدد من التنظيمات المتطرفة - من "أنصار الشريعة" إلى "أبناء حضرموت" (الاسم الذي استخدمه تنظيم القاعدة عند سيطرته على ساحل حضرموت في 2 أبريل 2015م).

وبعد الاستيلاء على المكلا في ربيع عام 2015م، وسيطر الجهاديون عليها وعلى ساحل بحر العرب بأكمله تقريباً لمدة عام كامل، حاولوا خلال هذه الفترة تحسين سمعتهم عن طريق الاهتمام بالاحتياجات الاجتماعية للسكان، ومعاينة اللصوص، والاستمرار بالتوازي بالاستيلاء على المساجد

References

- 1) Hadhramaut and its Diaspora: Yemen Politics, Identity and Migration. ed. by n. brehony. london; new york: i. b. tauris. 2017.
- 2) Britain's Departure from Aden and South Arabia. Without Glory but Without Disaster. ed. by n. brehony, c. Jones. berlin: Gerlach Press, 2020.
- 3) Dresch P. A History of Modern Yemen. cambridge: cambridge university Press, 2002.
- 4) Ducker J. sayyid abubakr bin shaikh al-Kaff. The British-Yemeni Society Journal, 2003, vol. 11, pp. 40–41.
- 5) Ingrams H. W. Aden Protectorate: A Report on the Social, Economic and Political Condition of the Hadhramaut. London: his Majesty's stationery office, 1936.
- 6) Ingrams H. W. "for official use only". Political development in the hadhramaut. april 1945. Records of Yemen 1798–1960. ed. by d. and i. ingrams. 16 vols. london: archive editions, 1993, vol. 10, pp. 583–606.
- 7) Knysh A. the tariqa on a landcruiser: the resurgence of sufism in yemen. Middle East Journal, 2001, vol. 3, pp. 399–414.
- 8) Knysh A. sufism's recent trajectories: What lies behind the sufi-salafi confrontation? Sufism. A New History of Islamic Mysticism. chapter 6. Princeton university Press, 2018, pp. 176–230.
- 9) Petouris T. hadhrami 'exceptionalism': attempts at an explanation. Hadhramaut and Its Diaspora: Yemeni Politics, Identity and Migration. london; new york: i. b. tauris, 2017, pp. 41–66.
- 10) Qu?ay?i al-, 'abd al-'aziz b. 'ali b. ?ala?. l?al al-salam fi ?a?ramawt: dirasa ta'rikhiyya li-tajribat ?a?ramawt wa qa?a' 'ala al-tha'r al-qibali (1933 – 1953) [Pacification of hadramawt: historical research on hadramawt experience to do away with tribal Vengeance]. london: arabian Publishing, 2009. (in arabic).
- 11) Rodionov M. The Western Hadramawt: Ethnographic Field Research, 1983–1991. orientwissenschaftliches hefte. Martin-luther-universität, halle-Wittenberg: hf. 24, 2007.
- 12) Rodionov M. Wadi ?a?ramawt as a landscape of death and burial. Death and Burial in Arabia and Beyond. Multidisciplinary perspectives. ed. by I. Weeks. international series 2107. 2010, pp. 341–345. (society for arabian studies Monographs no. 10. ed. by d. Kennet and st. J. simpson).
- 13) Rodionov M. social restructification in hadramawt during the last 25 years: an anthropological outlook. Tribes in Modern Yemen: An Anthology. ed. by M. brand. Vienna: austrian academy of sciences Press, 2021, pp. 137–144.
- 14) Rodionov M. A. Zaochnaia polevaia etnografiia v poiskakh iuzhnoarabijskoi identichnosti [off-the-field ethnography in search of south arabian identity]. Kunstkamera. 2021, no. 3 (13), pp. 206–213. (in russian).
- 15) Rodionov M., schoenig h. The Hadramawt Documents, 1904-51: Family Life and Social Customs under the Last Sultans. orient-institut beirut: ergon, 2011. (beirutes texte und studien 130).

المتنافسة، المملكة العربية السعودية أو المجلس الانتقالي الجنوبي، قادر على كسب المزيد من الثقة لدى الزعماء الدينيين من أصحاب التقاليد الشافعية الصوفية في حضرموت. لكن هناك احتمالاً لسيناريو آخر أيضاً بمشاركة المعارضة الشافعية الصوفية. إذا نظرت النخب الروحية في حضرموت إلى تصرفات الأطراف المتنافسة على أنها شكل من أشكال إنشاء جناح سلفي موحد يهدد مستقبلهم، فإن الوضع في المجال الطائفي للجنوب سيحفظ بإمكانية الانفجار. ومهما كان الأمر، فإننا نرى أن المكون الطائفي للهوية العرقية والطائفية الحضرمية طوال القرنين العشرين والحادي والعشرين قد خضع لاختلافات واضحة في ثلاثة مستويات للمكون العرقي (منذ 1970م "حضرمي -يمني -عربي")، وفي أيامنا هذه بشكل متزايد يتم استبدال الحلقة الثانية بـ "مواطن من جنوب الجزيرة العربية"، كما هو الحال في عهد إنجرامس. وتعني الهوية العرقية الطائفية أيضاً أن لدى حاملها ذاكرة ثقافية مشتركة، ومن سماتها إضفاء المثالية على الماضي. هناك حنين إلى الشعارات والإصلاحات الاجتماعية لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، ويتم تذكر عائلة إنجرامس بإعجاب هارولد ودورين ويلي، والنكت عن العهد البريطاني أصبحت خالية من سخرية الماضي. بكم هذه السمكة؟ - تسأل المرأة العجوز في السوق. يجيب البائع: "ألف ريال". في عهد البريطانيين سعرها شلن! تقول السيدة العجوز. "أعيدي لنا الإنجليز، وسأعطيها لك مجاناً!" يجيب البائع.

(1) عن ثقافة الوثائق المنظمة للحياة الاجتماعية والخاصة للحضارم، انظر: (روديونوف، شونيغ 2011م).

المقدم سعيد بانهميم

وأثره في الصراع القميطي القبلي بحضرموت

(٣ - ٣)

أما القوات القميطة، فقد واصلت طريقها نحو الجنوب للاتصال بحامية (مولى مطر)، التي تعرّضت مساء ٢٧ / ٦ / ١٩٥٥ م لعدوان البادية، وتم للقوات احتلال المرتفعات الجبلية، والقضاء على أحد البدو^(٧٦)، ثم وجهت الحكومة إنذارها إلى بادية دوعن في ٣ / ٧ / ١٩٥٥ م بالاستسلام، كما وجهت بيانها التضامني مع موالها في ٩ / ٧ / ١٩٥٥ م، وكذا بيانها إلى السموح في ٢ / ٧ / ١٩٥٥ م^(٧٧)، الذين وصل



د. محمد سالم باحمدان

معركة نقاب باخميس وكريف بابكر

(١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م):

قابلت البادية القوة العسكرية القميطة، وجرى إطلاق النار، فأسفر عنه فرار البادية، وجرى تبادل إطلاق آخر للنار في كريف بابكر، فأسفر عن مقتل البدوي - سالم يسلم بافياض - وجرح آخرين، في حين جرح ثلاثة جنود، أرسلوا للعلاج في شبام^(٧٤)، وانهزم الرصاص كثيراً على القوات العسكرية لأن البدو كانوا على مرتفع، ولولا العناية الإلهية ثم تدخل سلاح الجو البريطاني لكانت الكارثة كبيرة. وإذا كان من جديد عن أمر هذه المعركة، فهو رأي قائد الشرطة المسلحة الذي رأى اللجوء إلى باب المفاوضات لا الخيار العسكري حلاً لهذه المشكلة، وقد رفض رأيه، ومع ذلك فقد كان مشاركاً في تلك المعارك^(٧٥). ونتيجة لفاعلية سلاح الطيران، فقد استسلمت قبيلة بارشيد، ووصل مقدمها إلى المكلا، لإعلان طاعته وطاعتها.



المقدم / سعيد بانهميم المرشدي



مقدمهم إلى المكلا، لتقديم طاعته للسلطان. وخشية تفاقم الأوضاع وحدوث ما لا يحمد عقباه، تحرك وفد من دوعن ضم السادة: علوي المحضار، وعبدالله حامد البار، وعمر محمد العطاس، والشيخ/ حسين العمودي - منصب بضة - إلى المكلا، وفي عقبة الجحي التقوا بجيش قعيطي زاحف على البادية، وطلب الوفد من الجيش تأجيل الزحف، وإمهالهم مدة يستطيعون فيها إقناع البادية، فوافق الجيش، شريطة أن يتم ذلك خلال (٦) ساعات، وهو أمر مستحيل، فطلب الوفد مهلة (١٢) ساعة، ثم عاد وطلب (٢٤) ساعة، وعندما رفض طلبهم، لم يسعهم الأمر إلا أن يعودوا من حيث أتوا^(٧٨).

لقد بذلت محاولات عدة للاهتمام إلى الموقع الذي يدير منه المقدم/ سعيد بانهم عمليات المعركة القائمة بين رجاله من الثوار وبين قوات الحكومة المرابطة في المراكز الحصينة، ولكن تلك المحاولات لم تنجح^(٧٩).

وعرضت هذه المشكلة على مجلس الدولة، فقرر:

١- أن تنقل السيارات الحمول مرتين في الشهر أو نصفه، بحسب حاجات البلاد، ووجود الغداءات في المكلا، وسير الحمول على الجمال.

٢- اشترط أن لا تحمل هذه السيارات إلا المواد الغذائية المذكورة أدناه وبالنسب التي أمامها:

المادة	النسبة
رز	٨٪
سكر	٨٪
لخم	٨٪
سمن	٨٪
سليط	٨٪
قاز	١٠٪
بضائع متنوعة	١٠٪

٣- وضع نظام إيصال وتنفيذ هذه العملية^(٨٠).

وحاولت الحكومة تهدئة الأوضاع من خلال إجراء اللقاءات، وفتح باب المفاوضات مع بانهم الذي طالب بوساطة جامعة الدول العربية^(٨١)، وبالفعل عقد لقاء بين الحكومة والبادية في منطقة حوفة - أيسر وادي دوعن في (٢٨- ذي الحجة - ١٣٧٤هـ) ١٧ أغسطس ١٩٥٥م، اتفق فيه الطرفان على عدد من الشروط، أهمها:

١- أخذ الحكومة أربعة رهائن من البادية (مراشدة، خامعة، عوابثة، سموح).

٢- تنازل الحكومة عن الغرامة المفروضة على البادية، وغرامات الطرق.

٣- إلزام البادية بدفع ثلثين من مجموع منهوبات رعايا الدولة، ودفع أحد الثلثين الشيخ/ عبدالله سعيد بقشان، والآخر أحد المصلحين.

٤- تقرر أن يكون الحمول من المكلا إلى الداخل على جمال البادية على النظام الذي ترتب في (مولي مطر) عام ١٣٧٣هـ، وتقرر أن يكون الفصل (٥٠) و(٦٠) روبية، والأسبقية للجمال في الحمول الخارج من المكلا إلى الداخل نصيفه (طن) ونصيفه (كيل) عند المقاصة، وكل راحلة تأخذ حمولتها.

٥- على أي فرد لديه شكاية أو مظلمة، الاتصال بنائب اللواء بالطرق الحكومية المعتادة، وفيما إذا لم يحدث الإنصاف، أو شعر بالحيث، فيتصل بوزير السلطنة، وهو الذي سيتولى بحث القضية أو القضايا بكل دقة^(٨٢)، وقد استثنى من الحمول على الجمال بعض المواد لأهميتها.

وشرعت الحكومة بعد ذلك في إصلاح الخراب الحادث بالطريق الغربية، وبناء حصون في الجبل والرحاب، ثم استؤنفت حركة النقل، غير أن البادية غارت على منطقة (النقعة)^(٨٣)، من أجل ذلك دعا وزير السلطنة أكثر مقادمة البادية لمناقشة شؤون عامة مصالح البادية. فما كادوا يعودون



**المقدم سعيد وابنه نعيم بن سعيد
وهو الأبْن الثاني، أما الأول محسن**

وبعد مضي عشرة أشهر، وفي ظل الأجواء المتوترة بين الحكومة والبادية، سرت إشاعة تُفيد أن بنهيم غادر السعودية، تصحبه قافلة من الجمال، ولا يدري أحد ماذا تحمل، لذا أرسلت الحكومة فرقة من جنودها على السيارات إلى (هينن وقعوضة) لمتابعته^(٨٦)، غير أنه أفلت منها، ووصل إلى بلدته، وقام بتوزيع تلك الشرف على مقادمة سيبان وعقّالها. وعقدت معه الحكومة مؤتمر (شهوة) في عام (١٣٧٨ هـ) ١٩٥٨ م^(٨٧)، وتم في هذا الاجتماع إهداء حسن ابن المقدم بانهم بندقية (شرفة) مع كمية من الذخائر من قبل قائد الشرطة المسلحة، ضمن سياسة الترخيب والاستمالة، وليس المقدم بانهم كما أشار إلى ذلك الأستاذ الخنبشي. وأخذت هذه القضية - استخدام الأسلحة حيزاً كبيراً، وأصبحت الشغل الشاغل للبادية، عندما تجددت مرة أخرى، لذلك أصدر السلطان/ عوض بن صالح القعيطي، وبالاتفاق مع مقادمة البادية منشوراً في عام (١٣٨٠ هـ) ١٩٦٠ م حدّد فيه حالات إطلاق النار، وهي على النحو الآتي:

إلى مثاويهم، حتى يفاجأوا باعتراض مجموعة من بادية سيبان سبيل سيارة ديزل "تابعة لمشروع البمبات" متجهة إلى سيئون، تحمل على متنها قطعاً وأدوات المشروع، وأحدثوا بها سلباً ونهباً وتكسيراً للصناديق الحديد، ثم تركوها^(٨٤)، فنتج عن ذلك أن ثارت ثائرة الحكومة، وتدخل سلاح الجو البريطاني ليهاجموا قبيلة بانهم هجوماً موافقاً لحجم فترة الصراعات والعهود ونقضها، خاصة في هذه الفترة الحساسة والحرارة في تاريخ الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس.

وعادت مشكلة (منع السلاح) إلى الظهور من جديد؛ نتيجة لأحداث قطع السبل، واعتراض سبيل الحجاج الذاهبين لأداء فريضة الحج، ورافق تلك المشكلة الإشارة إلى أوضاع القضاء، لذلك أرسل مقادمة البادية خطاباً إلى سكرتير الدولة عن هذه المواضيع، فردّ نائب لواء دوعن على (مشكلة السلاح) بأنه تمّ تحديد مواقع أخرى لتضع البادية سلاحها فيه، وتشمل هذه المواقع:

- ١ - الخارج من طريق وادي العين أن يضع سلاحه في مركز (شرح الشريف).
- ٢ - الخارج من طريق ليسر أن يضع سلاحه في مركز (خوفة).
- ٣ - الخارج من طريق الجحي أن يضع سلاحه في مركز (الجحي)، أما بخصوص القضاء فلم يكن ردّه مشجعاً^(٨٥).

السفر إلى السعودية:

من المعروف أن بانهم قد سافر إلى السعودية في عام (١٣٧٦ هـ) ١٩٥٧ م، وقد رافقه في هذه الرحلة المقدم/ سالم سعيد باضروس المرشدي، والشيخ/ عبيد سالم باجوه المرشدي، وسافروا إلى السعودية عبر الصحراء ممطين الجمال، وفي الطريق قابلوا المقدم ابن يربوع مقدم قبيلة الصيغر، وغيره من المقادمة، ووصل بانهم إلى السعودية، وقابل الملك/ سعود بن عبدالعزيز، الذي أهده أكثر من (٢٠) شرفة، أطلق عليها محلياً (أم مغر).

١- في أثناء المواسم من المزارع، وليس من البيوت لطرد الطيور والعول والقرود الضارة بالزراعة.

٢- للقضاء على الحيوانات المفترسة، كالذئاب والضباع.

٣- ليلة هلال رمضان، وليلة هلال عيد الفطر؛ لإشعار الناس بهذه المناسبات المباركة.

٤- تجربة البنادق تحت إشراف الشرطة، وفي المحلات التي تحددها للبائع والمشتري لتجنب الضرر بالناس.

٥- في الزواجات شريطة إشعار الجهات الرسمية قبل الميعاد بأسبوع.

٦- تجربة البنادق في أثناء زيارة قيدون تجرى في مكان تخصصه الشرطة في حالات بيع السلاح وشرائه بين القبائل الحضرية لبعضهم البعض.

٧- في حالة الحريق، وسقوط البيوت، ووصول السيل^(٨٨).

ونفضت البادية يدها مرة أخرى من ذلك الاتفاق، وبدأت التحضير لاجتماعات المعارضة ضد ذلك المنشور، وشمل التحضير بعض المقادمة الذين لم يكن لهم ارتباط بتاريخ الصراع بين الطرفين، مثل الحكم/ مسعد بن طناف بريميدان الصيعري^(٨٩)، وكان بانهم أكثر المقادمة جراءة، وذلك حينما بعث برسالة إلى وزير السلطنة في (جمادى الأولى ١٣٨١ هـ) نوفمبر ١٩٦١م يخبره أن الجواب الذي كتبه للسلطان عوض بخصوص (منشور إطلاق النار) (أنه لا غل لا عمدة عليه)^(٩٠).

وعقدت قبيلتنا سييان والعوابة اجتماعاً في ٢٧ رجب ١٣٨٠ هـ/ ١٤ يناير ١٩٦١م في (شرح حيح)، واتفقوا فيه على:

١- إرسال رسالة باسم مقادمة سييان والعوابة موجهة إلى السلطان/ عوض القعيطي، يشعرونه فيها أن المقادمة تنحوا عن التقدم، وأنهم غير قادرين على تحمل تبعاتها، وتم التوقيع عليها من قبل أولئك المقادمة.

٢- إرسال رسالة أخرى باسم بادية سييان والعوابة موجهة إلى السلطان عوض، وتضم هذه الرسالة موقف البادية

الرافض لمنشور الحكومة الذي عدّوه مخالفاً لأحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وللمكاتبات التي بين الحكومة والبادية، ومخالفاً أيضاً للسوالف والعوائد، وطالبت بإلغاء هذا المنشور، أما المسألة الأخرى التي تضمنتها الرسالة هي عدم اعتراف البادية بكل من المجلس السلطاني ومجلس الدولة اللذين اعتبرتهما البادية سبباً في المشاكل التي حدثت بينها.

٣- ألا تتجاوز السيارات في أثناء مرورها الطريق المحدد لها على الإطلاق، بعد ذلك استأنفت البادية بقية مفاوضاتها في (القارة الحمراء)^(٩١)، وواضح جداً في تلك الاجتماعات تغيب أطراف أخرى من البادية ذات ثقل.

ورد السلطان برسالة استنكار واستغراب، كتبها بخط يده إلى مقادمة البادية في ١٨ رمضان ١٣٨٠ هـ/ ١٥-٣-١٩٦٠م^(٩٢)، ثم تلا ذلك قيام نائب لواء المكلا في (شوال ١٣٨١ هـ) إبريل ١٩٦١م بتجريد حملة عسكرية مدعمة بالجنود المسلّحين والدبابات على قبائل سييان والعوابة وآل العمودي، الغرض منها إخضاعهم لقرار السلطنة، القاضي بنزع السلاح^(٩٣)، وبدأت تلوح في الأفق بوادر عودة الصدامات، فتحرّك نائب دوعن بمعية كاتب محكمتها وبعض الجنود للقائهم، وذلك في أثناء اجتماعات مجلس الدولة والسلطان عقب الرسائل المتبادلة بين السلطان ونائب دوعن وبانهم^(٩٤).

ووافق مجلس الدولة في ذلك العام على إطلاق النيران بشروط، هي:

١- زيارة قيدون.

٢- التوجه إلى بضه للقنص.

٣- استقبال صدقات العمودي.

ولم تُكَلَّل الاجتماعات بالنجاح، أو حتى محاولة الوصول إلى أي اتفاق تسوية، من أجل ذلك عُقد اجتماع دعت إليه الحكومة، وبخاصة قبيلة سييان في العام نفسه في منطقة (بين الجبال)، حضره من جانب الحكومة عدد من المسؤولين،



”وفي هذه اللحظة حدث تحولٌ خطير في موقف المقدم بانهم، إذ أعلن أمام الجميع:
 ١- أنه موافق على كل الشروط التي حملها وفد السلطة.
 ٢- أنه مستعد هو وقبيلة المراشدة لتنفيذ ذلك على أن يُقدّم أي شخص من قبيلة المراشدة، قام بالسطو والنهب.
 ٣- سحب اعترافه لقرارات مؤتمر (السويرة وحيج).
 ٤- تأييده للحكومة والتزامه بقراراتها.“

حين أخطأ بقية المقادمة في أمر التمادي في حلبة الصراع، ولا يُلام بانهم، وهو الذي شهد استسلام (نوح) وبعض سيان، وهو الذي عانى الأمرين، حتى لقاءاته بالحكومة كان يحرص عليها أن تتم خارج المكلا^(٩٧).

واستمر بانهم ضمن مجلس قيادة سيان، ولم يؤثر ذلك الانسحاب في شخصه، أو يضعف من قدراته، "ففي عام (١٣٨٥هـ) ١٩٦٥م، عقد لقاء عام لأفراد التحالف السباني في منطقة (بين الجبال)، ولقد كان مُنصّتاً بكل ما يملك من حواس لحوارات القوم، فكلّ يُشرح ظروف المرحلة، ويدعو للخروج عن المألوف، والتمرد على الطغيان الإنجلو-سلاطيني^(٩٨). وكان من بين المتحدثين شاب أطل الحديث، وأكثر من المقترحات، وأطنب في وصف حزبه، وإخلاصه للقضية، ثم دعا إلى وجوب تأييده، والانضمام إليه. ولم يُطق الزعيم السباني سماع أقاويل المتحدث الشاب، فأمره مقاطعاً بحزم بوجوب الصمت، فرد الفتى في جراءة الشباب وحماهم، أنا ابنك يا عم سعيد، وواحد من عيالك المخلصين، فكيف تأمرني بالصمت؟

من بينهم نائب دوعن، ومن مقادمة البادية: سالم الجويد باسلوم، وسالم بحمد باقديم، وسالم مبارك بارشيد، وسعيد بانهم مقدم المراشدة، وهدف الاجتماع إلى تسوية الخلافات بين البادية والحكومة، وقد حمل الوفد الحكومي هذه الشروط:
 ١- تقديم المتهم الذي قام بنهب السيارة التي كانت في منطقة الركبة بوادي حيرة.

٢- إلغاء قرارات كل من اجتماعي (السويرة وشرح حيج) اللذين عقدتهما القبائل، وبشكل خاص قرارات عدم الاعتراف بمجلسي الدولة والسلطان، والتنازل عن قرار التخلي عن التقدمة.

٣- التحقيق في كل قضايا النهب والسطو التي حدثت خلال الفترة الماضية^(٩٥).

وطلب المقادمة فترة زمنية تقدّر بشهر، كي يتمكنوا خلالها من إبلاغ بقية مقادمة القبائل الأخرى التي حضرت لقاء (السويرة وشرح حيج)؛ لأن هذه القرارات والاتفاقات ليست من صنعهم فقط، بل اشترك الجميع فيها، ولا بد من العودة إليهم، وفي هذه اللحظة حدث تحولٌ خطير في موقف المقدم بانهم، إذ أعلن أمام الجميع:

١- أنه موافق على كل الشروط التي حملها وفد السلطة.
 ٢- أنه مستعد هو وقبيلة المراشدة لتنفيذ ذلك على أن يُقدّم أي شخص من قبيلة المراشدة، قام بالسطو والنهب.
 ٣- سحب اعترافه لقرارات مؤتمر (السويرة وحيج).
 ٤- تأييده للحكومة والتزامه بقراراتها^(٩٦).

وكان هذا الموقف، وفي هذا الظرف بالذات كان تعبيراً عن رؤية خاصة للمقدم بانهم للمستقبل، خاصة أن مطالب البادية الاقتصادية تحولّت إلى مطالب سياسية، وليس هناك شك في أن عواقب ذلك الصراع السياسي قد تؤدي إلى تجدد المصادمات مع الحكومة القعيطية، التي تملك من القوة وطول النفس شيئاً كبيراً، والخلاصة لقد أصاب بانهم في

فرد عليه الشيخ بهدوء، أعرفك وأعرف مَنْ تكون، دعني أحدثك بحديث الجمّالة، أنا جمّال كما تعلم، أفود قافلتني على الطرقات والمسالك محمّلة بين المدن بالبضائع، فنحن الجمّالة لا نعطي قيادة القطار (القافلة) إلا للثلب (كبار السن) من الجمال ولا نسلمها للحشوان. لأن الحاشي إذا قاد القطير، بايخبخب بها في العقاب والحسر، وبايوديها للهلاك... وصمت الشيخ، وفطن الشاب إلى ما يقصده زعيمه، فمال إلى الركون "(٩٩)".

وبدأت البادية - في الأخير - تخوض غمار التجربة، إذ أقبلت على شراء السيارات - وإن كان في نطاق ضيق - وتسلم دفعة الصراع المقادمة في أن الدولة قامت بنزع السلاح من القبائل، التي تحركت للوقوف أمام هذا الحدث، بعد أن حلت المسألة مع الحكومة.

٤- المرحلة الرابعة (عهد الجبهة القومية):

عقدت البادية اجتماعاً لها في يوم (٢١ - ٦ - ١٣٨٧ هـ) ٢٦ / ٩ / ١٩٦٧ م؛ وذلك لمناقشة تداعيات سقوط الدولة القعيطية، وكان هناك توجهٌ عامٌ لدى كل قبيلة على انفراد بحكم المناطق التي تملكها، وقد صادف مرور الأستاذ/ سالم أحمد باصريح، الذي كان متّجهاً لتوّه إلى المكلا، لمباشرة أعماله، وقد وقف للسلام على المقدم بانهميم، وطلب منه المقدم البقاء لفترة وجيزة، كي يطلعه على أمر مهم، وبالفعل دار اجتماع بينهما، وفي الاجتماع أفضى المقدم بانهميم بمخاوفه من الجديد المجهول، وطلب من باصريح أن يخبر القيادة في المكلا برغبة البادية في التعامل مع النظام الجديد، على أن يوفر هذا النظام (٤ - ٥) سيارات، مُهمّتها نقل قيادة البادية مع حراسة تابعة لها، وأن يسمح لهم بالدخول إلى المكلا بالسلاح، وقد عرض الأستاذ باصريح الموضوع على القيادة، التي وافقت على ذلك، وبالفعل أرسل الأستاذ/ سعيد عمر العكبري تلك السيارات إلى البادية، وعقد الاجتماع في المنتزه السلطاني بديس المكلا، وفي هذا

الاجتماع طرحت البادية على النظام الجديد رغبتها في التعامل معه، على أن لا يتدخل في عاداتها وتقاليدها، وأن يلتزم بكل الاتفاقيات التي وقّعها البادية مع النظام القعيطي (١٠٠)، ولا توجد أي إشارة - حتى الآن - تدل على رفض جانب الجبهة القومية، مثل تلك الشروط، ولعله كان من مصلحة النظام الجديد كسب صوت البادية.

واستطاع المقدم بانهميم بهذا الاتفاق، احتواء مشكلة انفجار صراع قبلي بالمنطقة، واحتواء أي ضغائن قد يحويها صدر النظام الجديد عليه والبادية من بعده، وكانت لمثل هذه السياسة نتائج إيجابية في المستقبل - وهو ما ستأتي عليه السطور اللاحقة -.

وتعرّض الشيخ/ سليمان سعيد بقشان للسجن، مع مجموعة من أبناء حضرموت، حيث جرى تجميع المعتقلين في منتصف عام ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م في (سجن البقرين) بالمكلا، ثم تمّ نقلهم في العام نفسه إلى معتقل (فتح) بعدن، مكبّلين بالقيود على متن طائرة عسكرية، وهناك أُودع في زنزانة مظلمة، رُجّ فيها بثمانية معتقلين (١٠١)، وهناك تضاربٌ عن أسباب الاعتقال، وليست المسألة هنا مفتوحة لباب الرجم بالغيّب، أو التكهّنات، فالمسألة هنا تتعلق بقامة اجتماعية رفيعة المستوى، كان لها الحق في أن تنال نصيبها من التكريم والتقدير، لا السجن والتكيل. وسعى المقدم بانهميم إلى حل هذه المشكلة، في أجواء بالغة الحساسية في تلك الفترة، وصعوبة التخاطب مع السلطة، إلا أن الرجل كان أقوى من ذلك، حيث توجه إلى (صيف) عاصمة مديرية دوعن، وقابل المأمور/ أحمد الحامد، غير أن الأخير لم يفدّه بشيء، فتوجه إلى المكلا عاصمة المحافظة، وقابل الأستاذ/ صالح منصر السيلي، ولم تثمر هذه المقابلة عن شيء يذكر، لذلك أعلن أنه سوف يتوجه إلى عدن، وهنا أثار بعض أقاربه؛ إذ إن ذلك يعني مغامرة، قد لا يعود منها سالماً، فقال: كلمته المشهورة (الشمس قدها بالخطّ)، في إشارة صريحة منه إلى أنه قد تعدّى السنّ المقررة له، وأن



”بينت الدراسة الأدوار التي قام بها بانهم مع النظامين السياسيين اللذين عاصرها (القعيطي وحكومة الجبهة القومية)؛ ليس هذا فحسب؛ بل تطرقت الدراسة إلى تقييم مواقف بانهم من خلال وضعه في الميزان مبيّنة ما له وما عليه. ويمكن القول إن المقدم / سعيد بانهم لم يكن صانعاً لكل لتلك الصراعات، وإنما كان يتفاعل معها عندما تفرض عليه، أو تواجهه عفو الخاطر. ولذلك فإن دراسة سيرته لا تقع إلا ضمن ذلك الإطار التاريخي الذي ولد فيه وعاش،،

وتوفي المقدم / سعيد بن سالم بانهم في عام ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م، ودفن في منطقة بين الجبال، أي بعد مضي عامين على هذه الأحداث العاصفة، وصدقت نبوءته عندما قال: "الشمس قدها بالَحَطَقُ".

الخاتمة:

أشارت الدراسة إلى الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي سادت العصر الذي ولد فيه بانهم، وتعرّضت لجذوره ونشأته، وكيفية وصوله إلى قيادة الزبي السبباني (مجلس البوة).

وبينت الدراسة الأدوار التي قام بها بانهم مع النظامين السياسيين اللذين عاصرها (القعيطي وحكومة الجبهة القومية)؛ ليس هذا فحسب؛ بل تطرقت الدراسة إلى تقييم مواقف بانهم من خلال وضعه في الميزان مبيّنة ما له وما عليه. ويمكن القول إن المقدم / سعيد بانهم لم يكن صانعاً لكل لتلك الصراعات، وإنما كان يتفاعل معها عندما تفرض عليه، أو تواجهه عفو الخاطر. ولذلك فإن دراسة سيرته لا تقع إلا ضمن ذلك الإطار التاريخي الذي ولد فيه وعاش.

الأجل بات قريباً، فلا يضره ذلك، وكانت هذه الزيارة هي أول زيارة له إلى عدن، وسعى بطريقته البسيطة، للبحث عن كيفية اللقاء بالرئيس / سالم علي ربيع (سالمين)، وقد بدأ لمن قابل المقدم بانهم أنه يحلم، ولم يخف البعض شعوره بصعوبة المهمة، ولكن في الأخير حدث استنفار، ونجحت المساعي في ترتيب لقاء بين الزعيمين^(١٠٢)، الزعيم الجمهوري / سالم علي ربيع، والزعيم القبلي المقدم / سعيد بانهم، وكان اللقاء بسيطاً بساطة الزعيمين أنفسهما، وكانت حضرموت حاضرة في ذلك اللقاء؛ إذ إن سالمين كان أحد العسكريين الذين درسوا وتدرّبوا وعاشوا في حضرموت، وبالتحديد في المدرسة الحربية، وكان موضوع اللقاء يتعلق بأحد أبناء حضرموت، ودار الاجتماع، حيث عرض بانهم قضية الشيخ / سليمان بقشان، وقدم مطلبين، هما:

١ - إطلاق سراح الشيخ / سليمان سعيد بقشان.

٢ - السماح للشيخ سليمان بمغادرة البلاد.

ووافق الرئيس / سالم ربيع، على مطلبين بانهم، وصدرت الأوامر بذلك، وأفرج عن الشيخ سليمان، بعد مضي ما يقارب ستة أشهر، والسؤال المطروح هنا، مَنْ كان يجرؤ على الكلام والإقدام والقيام بمثل هذا العمل؟

الجدير ذكره أن الدكتور / محمد أبوبكر حميد، كان قد أشار إلى قضية إطلاق سراح الشيخ / سليمان بقشان، بأنها جاءت بمساعٍ من الملك فيصل، حيث تدخل الأستاذ / أحمد السقاف الشاعر والبرلماني والسفير الكويتي، لدى السلطات حتى تم الإفراج عنه^(١٠٣).

والحقيقة أن المعلومة جديدة، ولم أقف عليها من قبل، ولا يعلم بها الكثير ممن كانوا قريبين من بانهم، ولكن قد يعلم بها بعض المقربين من آل بقشان إن كانت صحيحة، وعموماً فإن هذا الرأي أو ذاك لا يلغي جهود مثل هؤلاء المخلصين، كما أنه في الوقت نفسه يدل على تقديرهم واحترامهم للشيخ سليمان بقشان.



ويمكن القول إن الصراعات التي حدثت كانت نتيجة من نتائج التطورات العالمية الجديدة من ناحية، وانعكاساً لشكل العلاقة بين النظام القبلي القديم ونظام الدولة الحديث من ناحية ثانية، والمشاكل والصراعات الداخلية، أو التي ألقى المهجر بظلالها على حضرموت من ناحية ثالثة، وبما أن تلك الصراعات قد أثارت - ولا زالت - التباين في الآراء والأفكار، فإن سيرة المقدم بانهميم هي الأخرى سينالها جزءٌ من ذلك التباين والاختلاف، على الرغم من أسبقية هذه الدراسة.

وحتى يتأتى تحقيق ذلك، فإن هذه الدراسة تخلص إلى نتائج عدة، منها: جمع المعلومات والوثائق والمخطوطات الخاصة بتلك المرحلة عن أحداثها ورجالها في حددٍ سواء، وجمع أشعار المقدم بانهميم وتوثيقها وغيره من الشعراء، وإخضاعها لدراسة علمية لعلها تسهم في فتح نوافذ في شخصية الرجل وغيره من الذين عاصروا تلك المرحلة، فتفتح ما انغلق بابه من معلومات والإحاطة بملابسات القضايا الساخنة، كما تخلص الدراسة إلى إقامة عدد من الدراسات العلمية عن الكثير من الشخصيات الحضرمية، التي أدت دوراً مهماً في تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر.

وتخلص الدراسة إلى أن الحكومة البريطانية تتحمل وزراً كبيراً؛ وذلك لسياستها القائمة على المحافظة على مصالحها في المنطقة، فحرمت وحرمت على البلاد الإصلاحات ومشاريع التنمية الحقيقية، واستثمرت مثل ذلك الصراع في ملء خزانها نتيجة تسخير مصانع المجهود الحربي في هذا الصراع.

وختاماً أشكر كل من أمدني بأي معلومة أو وثيقة عن بانهميم، وقد أوردت أسماءهم في هوامش البحث، وإني شكور لكل من لم يمدني بشيء عن بانهميم، وكان البحث بين يديه أو أيديهم في شقه أو قسمه الأول أن يخرج في هيئة ووضعية ربما كانت أفضل، وقد أظهر / أظهروا حماسة كبيرة، فلهم جزيل الشكر والامتنان على محبتهم الصادقة لبانهميم.

الهوامش:

- (٧٤) صحيفة النهضة، العدد: (٢٥٧)، ص ١، ٤؛ صحيفة الأخبار، العدد: (٤٨) ٣٠-٦-١٩٥٥م، ص ٨.
- (٧٥) العقيد/ علي محمد اليزيدي، مقابلة شخصية، المكلا، ٢٠ / ١ / ٢٠٠٣م، وهو من الضباط الذين لهم معرفة بأخبار يافع.
- (٧٦) صحيفة الأخبار، العدد: (٤٨)، ص ٨؛ صحيفة القلم العدني، العدد: (٩٢) ٢٢-٦-٥٥م، ص ١، والعدد: (٩٣) ٢٩-٦-١٩٥٥م، ص ١.
- (٧٧) صحيفة الأخبار، العدد: (٥٠) ٣١-٧-١٩٥٥م، ص ٩.
- (٧٨) صحيفة النهضة، العدد: (٢٥٨) ٧-٧-١٩٥٥م، ص ٨.
- (٧٩) صحيفة النهضة، العدد: (٢٥٩)، ص ٥.
- (٨٠) صحيفة الأخبار، العدد: (٤٩) ٥-٧-١٩٥٥م، ص ٢.
- (٨١) صحيفة النهضة، العدد: (٢٦٣) ١٨-٨-١٩٥٥م، ص ١.
- (٨٢) من وثائق المقدم.
- (٨٣) صحيفة الأخبار، العدد: (٥١) ١٥-٨-١٩٥٥م، ص ٥؛ صحيفة النهضة، العدد: (٢٥٨)، ص ٨.
- (٨٤) صحيفة الأخبار، العدد: (٥٤) ٣-٩-١٩٥٥م، ص ٥، والعدد: (٥٥) ١٥-١٠-١٩٥٥م، ص ٧.
- (٨٥) من وثائق المقدم.
- (٨٦) صحيفة الفكر، العدد: (٦٣) ١٠-١٠-١٩٥٧م، ص ١.
- (٨٧) الخنشي، الانتفاضات، ص ١٦٢.
- (٨٨) من وثائق المقدم.
- (٨٩) من وثائق المقدم.
- (٩٠) من وثائق المقدم.
- (٩١) الخنشي، الانتفاضات، ص ١٣٤.
- (٩٢) صحيفة الطليعة، العدد: (١٢٢) ٢٦-١٠-١٩٦١م، ص ١.
- (٩٣) صحيفة الأيام، العدد: (٨٢٩) ١٣-٤-١٩٦١م، ص ١.
- (٩٤) صحيفة الأيام، العدد: (٨٣٧) ٢٧-٤-١٩٦١م، ص ١.
- (٩٥) صحيفة الطليعة، العدد: (٩٨) ٤-٥-١٩٦١م، ص ١.
- (٩٦) الخنشي، الانتفاضات، ص ١٣٥-١٣٦.
- (٩٧) الأستاذ/ محمد علي يسر، والقاضي/ عبدالله محمد باحويرث، مقابلات شخصية.
- (٩٨) للباحث تحفظ من الإشارة إلى وصف النظام السلطاني القعيطي بالطاغي وإنما التزم أمانة النقل فوجب التنبيه.
- (٩٩) صحيفة حضرموت الثقافية، العدد: (٤) ١-٧-١٤٢٨هـ / ١٦-٧-٢٠٠٧م، ص ١٤، و(بايخبخ) معناها يجري بسرعة.
- (١٠٠) الأستاذ/ سالم أحمد باصريح، مقابلة شخصية، المكلا، ٣٠ / يوليو ٢٠٠٧م.
- (١٠١) نشرة شعاع الأمل، العدد: (٤٥) فبراير ٢٠٠٥، ص ٧.
- (١٠٢) باصريح، مقابلة شخصية.
- (١٠٣) نشرة شعاع الأمل، العدد: (٥١) سبتمبر ٢٠٠٥، ص ١٣.



في رحاب الإبداع

الفقيد

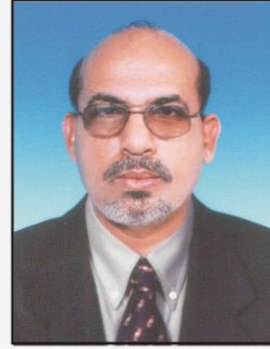
عمر مرزوق

حسنون

النادرة التي تبهر المتذوقين لهذا الفن، بل يستغرب بعضهم عندما يرى كلمتي (لم تكتمل) كيف لم تكتمل وهي بهذه الروعة؟ إنه رائع جداً، يجيد كل شيء بامتياز رسماً وخطاً وإخراجاً مسرحياً، إضافة لمهنته الأساسية معلماً تربوياً، يؤدّي رسالته التعليمية التربوية على خير ما يرام.

لم يصدق أحد أن لوحة رسمها خلال أسبوع تقريباً على جدار بدأها أول ليلة بشخبطات ورسومات لم تفهم واستمر بقية الليالي ليضيف لمسة فنية جديدة كل ليلة حتى اكتملت بجمالها، حيث تستطيع رؤيتها من بعيد بكل وضوح، وهذا من نادر الأعمال الفنية واللوحات، التي لا يجيد إتقانها إلا متمرس وماهر؛ لأنه مدرسة فنية راقية للرسم والخط والإخراج المسرحي، وهو مرجع لا يستغنى عنه في هذه المجالات.

رحم الله أستاذنا القدير عمر مرزوق حسنون، ونتمنى من الجهات المسؤولة سواء كانت تربوية أو ثقافية رفع مذكرة للجهات المسؤولة لتكريم هذا الرجل المعطاء المبدع، وإن كنا نود لو تم تكريمه في حياته، فإن الفقيد كان متميزاً وجامعاً لعدد من الإبداعات بإتقان، فهو يستحق بكل جدارة لذلك التكريم، وأرجو أن يكون قريباً.



حسين عبدالله باعطرف

الأستاذ القدير الفقيد عمر مرزوق حسنون - رحمه الله - صاحب الوجه البشوش، والابتسامة المشرقة، والأخلاق الدمثة، التربوي والفنان التشكيلي الرائد، المعروف بلوحاته الجميلة، وخطوطه الراقية، والمخرج المسرحي المتألق،

كل ذلك خير شاهد ودليل على نبوغه في تلك المجالات. بصماته ثابتة على كتاب (الطفل الحضرمي) في الرسم والخط. الذي كنا ندرسه في المدرسة الابتدائية لتعلم اللغة العربية، وكانت خطوطه ورسوماته بارزة، دالة عليه بجمالها في ستينيات القرن الماضي. كذلك معارض الفنون التشكيلية في حضر موت تشهد له بلوحاته الساحرة





حضارمة استثنائيون

عمر حسين البار

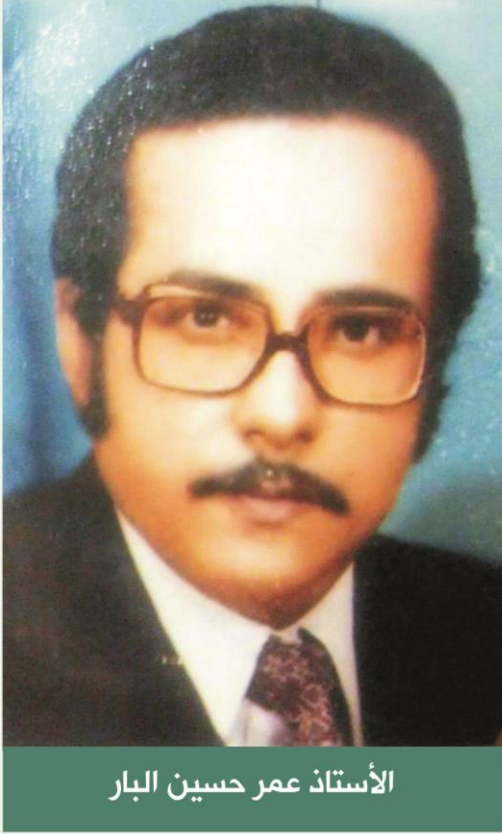
الحلقة الثانية - الأخيرة



شكري نصر مرسال

الخاص باستقبال الطلبة القادمين من حضرموت، فالسيد الجليل علي عقيل بن يحيى هو من أنشأ هذا البيت الحضرمي مع السيد محمد بن عمر الكاف. وشبيهةً لها رعاية وتقديرًا وثناءً حصل عليه عمر البار من جانب إدارة ثانوية الشويخ بالشقيقة الكويت. ومثله اعترافًا صريحًا من قبل فريق طاقمها التدريسي بذكاء هذا الطالب الحضرمي ونموه واجتهاده المتميز، مما مكنه في آخر المطاف من طي مرحلة الثانوية وإنجازها بدرجات الامتياز ما جعله الأول على الدفعة، في حين حصد المركز الثاني زميله من الصف الدراسي نفسه بثانوية الشويخ الأستاذ حسين الكرمي، صاحب برنامج (قول على قول)، الذي يداع في الزمن الماضي من لندن من إذاعة البي بي سي في تلك الأيام، فحصل الأديب عمر البار في حينها على تكريم من أمير دولة الكويت سالم العبدالله الصباح، ووُضِعَ اسمه في إحدى الواجهات البارزة بثانوية الشويخ، إذ لا يزال رسمًا حيًّا على جدرانها إلى اعوام قريبة من حياة الشخصية الأدبية والقضائية عمر بن حسين البار. الأمر الذي سعد به الأستاذ الكبير علي عقيل بن يحيى وسرَّ بذكاء هذا الطالب المبتعث إليه، عندما شاهد عبقريته تسير باتجاه الطول والعرض، متناغمة مثل جريان شلالات مياه المزن، فأعجب بعقلية عمر البار التي عدّها الأستاذ علي عقيل ظاهرة فريدة في مخرجاتها الذهنية، وملهمة منسجمة طموحًا مع تطلعاته، ومتساوية في كثير مع عقليته، التي كانت لها بالغ الأثر إذ ألقت بظلالها لاحقًا على تشكيل قناعات حياتية مهمة من حياة عمر البار.

وصل البار عمر إلى الشقيقة الكويت، وقد أرسله والده الأديب حسين بن محمد البار إلى أخيه وصديقه العزيز المفكر الأديب الشاعر الأستاذ علي عقيل بن يحيى، ومعلوم عن علي عقيل، أنه بيت عامر بالعلم وسمو الفكر، وهامة أدبية، ومنارة علمية، استضاء بأنوار معارفه الكثيرون من عليّة القوم، كما أن الرجل كان عضوًا بالقيادة القطرية لحزب البعث، وقياديًا سياسيًا محنكًا، حظي بتقدير واحترام كبيرين من جانب النخب العربية التي هي الشخصية القومية التي كانت تحكم في سوريا ضمن خمسة أشخاص في مرحلة مضت من مراحل التاريخ السياسي بالجمهورية السورية، والذي تولى في دولة الكويت الشقيقة قبل مرحلة سوريا أمر هذا الطالب الطموح مذلّالًا له جُلّ الصعاب لإنجاز مرحلة التعليم الثانوي، فحظي الطالب الأديب عمر حسين البار باستقبال حفي، وبرعاية كريمة؛ إذ بأم عينيه تسكن آمال وأحلام يستشرف إنجازها بقوة وحرارة، وكانت الكويت يومها ترحب بالعقول، وتحتضن المتفوقين من الطلبة العرب، فأقام مسكنه بدولة الكويت في (بيت الطالب الحضرمي)،



الأستاذ عمر حسين البار

كثير من ملامحها الفرائحية بأعياد الأمم... فأقبل الطالب الأديب عمر البار واقفاً يجول في ساحة النزال، شاهراً على الحاضرين سيف فصاحته، وصهيل خيله، متبخترًا بار تفاع حوافره يرج المكان زهُوًا... فكانت المفاجأة أن حصد الأديب عمر البار المركز الأول، وحجز لنفسه أوائل المقاعد، متفوقاً على كبار الأدباء المشاركين، وكُرّم في الحفل فارساً في كتابة القصة، ووقف مكرماً لهذا الطالب المهاب ذهولاً كل من كان موجوداً في قاعة الاحتفالية، وكُرّمته أيضاً مدرسته ثانوية الشويخ تكريماً يليق باعتلاء إحدى طلبتها مقام العرش الأدبي.

فأشغل الطالب عمر البار الدنيا، وصار هناك حديث الناس كطائر العنقاء، مُسجلاً في سنوات تحصيله العلمي رقماً قياسياً، كُتب متفرداً بلغة التفوق، وكان في الحقبة نفسها متمكناً من اللغة الإنجليزية نطقاً وكتابة، حتى إنه مُنح العمل مُحاسباً لمدة عام في إحدى البنوك الأجنبية بدولة الكويت الشقيقة، وفصولاً أربعة من عام آخر أمضاها مدرّساً في مودية بأبين بين صفوف الإعدادية والثانوية بمدرسة دثينة،

ومن عجائب عبقرية الأديب القاضي عمر بن حسين البار في أثناء وجوده للدراسة بأرض الكويت، أن الشقيقة الكويت كانت تعلن عن إقامة مسابقات أدبية كبيرة في كتابة أدب القصة والرواية والشعر، وكانت أصول الفعالية الأدبية مقتصرة بمشاركة يحضرها فطاحلة من أدباء العالم العربي ممن يمثلون بلدانهم. وكان حينها الطالب البار مهتماً بجوانب الأنشطة الأدبية، ومتابعاً للحلقات والندوات الثقافية التي تقام هنا وهناك، وكانت قريحته الشعرية تشهد نمواً أدبياً في مقربة منه، فتسارع إلى ذهنه أن يتقدم مشاركا نداءً في هذه المسابقات، فرفع برسالة إلى إدارة مدرسته بثانوية الشويخ، مفادها أن شرح خلالها رغبته بالمشاركة في هذه الاحتفالية الأدبية الكبرى، فتعجب الجميع كل العجب لمطلب هذا الطالب الحضرمي، وفي محاولات متعددة من إدارة مدرسته بإقناعه وعدوله عن المشاركة؛ كون عناوين الدعوة للمسابقة خصصت حصرياً لنموذج مختار من صفوة الأدباء، وأمام رغبته الجامحة وثقته بنفسه واستبساله في تحقيق أمنيته رفعت مدرسة الشويخ النموذجية بخطاب عاجل إلى القائمين على لجنة المسابقة تدعوهم إلى استيعاب إحدى طلبتها النجباء في قيد المشاركين، وحينها كانت الكويت أرضاً وإنساناً تشهد حراكاً نهضوياً ثقافياً في كل الصُّعد والمستويات الحياتية.

أنت الموافقة فعلياً بإدراج اسم الطالب عمر البار في سجل الرُّوَاد المشاركين، فأبلغ الطالب النجيب بالنبأ، فتمطى سروراً بقبوله، فذهب ينشد مفاخرة رائعة الأديب با كثير الخالدة.. وإن ثَقَّفَت يوماً حضرمياً لجاك آية في النابغينا.. فما كان من هذا الطالب الحضرمي النابغة إلا أن يعد نفسه جيداً إعداد المحارب المقبل، والتي سيكون لنا في رحاب أسطرها بقية وسعة نذوق من جمال تفاصيلها بعضاً منها، ومن رحيق ثمار أزهارها كثيراً.

مضت الأيام والليالي وقد قضاها ابن البار بين رباط وعتاد وعدة، وجيء ذات يوم بصباح هذه الواقعة الأدبية شبيهة في



74

العدد (32)

إبريل

يونيو

2024م

**مُنِحَ عمر البار العمل مُحَاسِباً
لمدة عام في إحدى البنوك
الأجنبية بدولة الكويت الشقيقة،
وفصولاً أربعة من عام آخر أمضاها
مدرّساً في مودية بأبين بين
صفوف الإعدادية والثانوية
بمدرسة دثينة، وكان مدرّساً معه
في دثينة حينها زميلهُ الرئيس
الأسبق علي ناصر محمد، ليعود
بعدها البار ابن البار من ممرّاتها
إلى مسقط رأسه حضر موت**

وكان مدرّساً معه في دثينة حينها زميلهُ الرئيس الأسبق علي ناصر محمد، ليعود بعدها البار ابن البار من ممرّاتها إلى مسقط رأسه حضر موت، مُطلقاً العنانَ لجمال خطّه، ويترك لحرية قلمه السيّال ينسابُ حروفاً متناعمة على مصفوفة صحيفة الرائد، المملوكة لوالده الأديب والصحفي حسين بن محمد البار؛ ليعمل بها وفي صفحاتها سكرتيراً صحفياً رائداً، وذلك بعد إتمامه دراسته الثانوية العامة بدولة الكويت الشقيقة.

في أواخر العام سبعين القريب من مشارف ميلاد العام واحد وسبعين وتسعمئة بعد الألف الأولى يعود أستاذ القانون عمر بن حسين البار إلى بلده الكبير قادماً إليه من الجمهورية العربية السورية وقد أنهى في بعض أروقتها الأكاديمية مرحلته الجامعية متخصصاً في علم الشريعة والقانون، عاد القاضي عمر وفي مقلتيه تتمدد آمالاً وأحلاماً لوطنه، وعلى رأسه يحمل صندوق قوانين مكتبته الفكرية من حصاد السنين وتعب الليالي والأيام، فاستوعبته وزارة العدل حال وصوله ضمن نخبتها العدلية من المتميزين في شهر مارس من مطلع العام أعلاه وذلك في أول تاريخ يكتب لتعيينه في السلك الوظيفي.

وفي رحاب القضاء من خلال وزارة العدل مكث القاضي عمر البار يمارس مهامه العدلية، مسخراً اجتهاداته العلمية، مُسهماً جاداً في صياغة الكثير من القوانين وتعديلها، فكان له دور كبير وجليّ مُسبقاً من خلال قرار جمهوري وليد شهر أغسطس عام واحد وسبعين دعاه رئيساً للجنة قضائية كُلفت بطرح صياغة مشروع قانون العقوبات وإجراءاته، يعمل على جمع مقترحات سريعة في سبيل إدخال تعديلات، لا سيما فيما يتعلق بسلطات الضبط القضائي وإجراءاتها والنيابة وعلاقتها بغيرها من الدوائر. إضافة إلى مساعيه الدؤوبة في مسألة تعريب بعض من منظومة القوانين البريطانية، التي لم تعرب، وظل العمل بها إلى ما بعد الاستقلال بصيغتها القديمة، أضف إلى هذا وذاك تدخلات الرجل القانونية في معالجة قوانين أخرى مبنية على نظام مختلف وتصحيحها في

مسعى منه ليكون مجموع هذه القوانين متوافقة مع هدي الشريعة. ونتيجة لبعض الخلافات مع الآخرين كنتاج لعملية دعوات أطلقها عمر البار في عملية التصحيح لبعض القوانين فرض عليه أن يكتب بشجاعة منتقداً معارضيه في هذه القوانين ورافضاً طريقتهم، من خلال عمود خاص به في صحيفة ١٤ أكتوبر الموسوم (بالمشجب). ودون شك كانت تأتيه الكثير من الردود في الصحيفة نفسها من بعض الأشخاص المحسوبين على بعض الأجنحة مقابل ما يخطه قلم الذين كانوا يصفون فيها البار بالرجل الرجعي البرجوازي.

وفي الفترات المتلاحقة من عام اثنين وسبعين عيّن القاضي البار في الحادي عشر من مارس بقرار جمهوري رئيساً لمحكمة كريت، ومثله في أكتوبر من العام نفسه صدر به قرار جمهوري آخر دعاه ليكون رئيساً لمحكمة الشيخ عثمان.

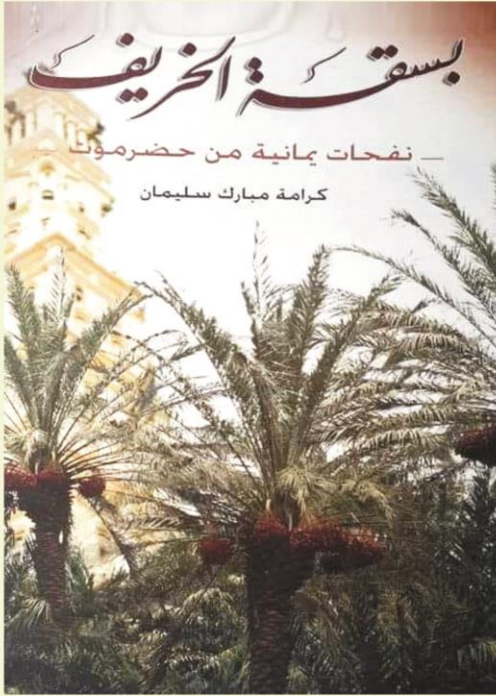
استمر عمر البار القاضي والمحامي في ممارسة مهامه في المسالك القضائية ناقداً مواصلاً لكثير من الإجراءات الشاردة والمغردة خارج سرب النظم والقوانين، مستقلاً دون أن يتأثر بمقاييس الآخرين. لقد ارتأى لنفسه موقفاً وطنياً بعيداً عن



قُدِّرَ له بعد ذلك أن يعود إلى عدن العاصمة في عام ستة وسبعين بعد دعوات واتصالات مكثفة من رأس الدولة، وكان ذلك في عهد صديقه الرئيس الراحل سالم ربيع علي، الذي عرض على أستاذ القانون أن يتبوأ وزارة العدل، ولكن الأخير أبى إلا أن يكون بعيداً عن السلطة وزخرفها، ولذلك ظل سالمين الرئيس يُكِنُّ حقيقة التقدير وجميل العرفان لسماحة القاضي عمر بن حسين البار

لدواعٍ خاصة بسماحته، ومن ثم عودة جميع أعضاء اللجنة إلى عدن، ولكن هذه المرة دون عودة مستشار القانون، الذي لم يكن موجوداً ساعتها في صالة المغادرة إلى عدن. عاش بعدها الحبيب عمر البار في صنعاء شخصية مُرَجَّباً بها، ومحلَّ قبولٍ من قبل سلطاتها الحكومية، رافضاً أن يسند إليه أي منصب حكومي ولو كان في مجال القضاء، معتزلاً ممارسة السياسة والممكن من فنونها. وجنح مجدداً للعمل إلى مهنته مهنة المحاماة، وافتتح مكتبه، فلمع من جديد نجم البار، فأصبح أستاذ القانون المستشار عمر البار محامياً لكبار الشركات المحلية والأجنبية والسفارات والبيوت التجارية. لقد كان الأستاذ الكبير عمر حسين البار في صنعاء بمثابة محطة ترانزيت لأهله القادمين من حضرموت وعدن، ومعرفاً لهم عند الجهات المعنية بالعاصمة صنعاء، ودليلاً لهم في نيل حاجاتهم، سواء كان في مسألة الضمان والتوصية بهم لمن رغب الإقامة في صنعاء، أو لمن أراد منهم السفر إلى دول الخليج.

وصايا التجمعات القبلية والحزبية إلى أن غادر وزارة العدل متجهاً إلى بلده حضرموت؛ ليظل بها معتكفاً تحديداً في منطقة دوعن مسقط رأسه التي دام بها فترة قُدِّرَتْ بالعام، وذلك بين عامي ثلاثة وأربعة وسبعين، ومن ثم قُدِّرَ له بعد ذلك أن يعود إلى عدن العاصمة في عام ستة وسبعين بعد دعوات واتصالات مكثفة من رأس الدولة، وكان ذلك في عهد صديقه الرئيس الراحل سالم ربيع علي، الذي عرض على أستاذ القانون أن يتبوأ وزارة العدل، ولكن الأخير أبى إلا أن يكون بعيداً عن السلطة وزخرفها، ولذلك ظل سالمين الرئيس يُكِنُّ حقيقة التقدير وجميل العرفان لسماحة القاضي عمر بن حسين البار، معترفاً له بقدرات الرجل المستفادة، وسعة عقليته كمرجعية في علم القانون، وفقهها قضائياً، وكان سماحته حينها سكرتيراً للجنة الوحدة التشريعية والقضائية. وخلال الفترة التي عاد فيها إلى العاصمة عدن بعد مرحلة الاعتكاف افتتح القاضي البار هناك مكتباً للمحاماة، فلمع اسمه وصيته وذاعت شهرته، فحقق به نجاحاً كبيراً، وكان مكتبه للمحاماة في شقَّةٍ لإحدى العمائر بالمعلا، وأخرى من الشقق بعمارة (كولمبو) قد اتخذها مسكناً، وكلتا العمارتين بالمعلا، وفي خط السير نفسه، وظل المستشار القضائي عمر البار في ممارسة مهنة المحاماة، التي مضت به مخلصاً صادقاً بكل معاني الرحمة والرأفة في نصره المظلومين إلى أن غادر عدن إلى صنعاء في عام تسعة وسبعين على وجه التقريب بصفته سكرتيراً عاماً للجنة الوحدة التشريعية والقضائية. وكان ذهاب فريق اللجنة إلى صنعاء يأتي ضمن برتوكول برنامج معتمد بين البلدين؛ لمناقشة مستقبل خطوات مشروع الوحدة، فحينها كانت قمة صنعاء فانتهاز القاضي البار فرصة مشاركته باعتباره سكرتيراً عاماً للجنة الوحدة، وعند اكتمال عمل لجان البلدين رفض القاضي عمر البار الرجوع مع الوفد، وفضل البقاء في صنعاء والمكوث بها



سمات الوعي الاجتماعي في فكر كرامته سليمان

قراءة في "بستة الخريف"

الفصل الأول: مدخل في التكوينات *

فالوعي إذن مركبٌ مجموعٌ من الحفظ والفهم، والإيمان والعمل .
وأما الثانية: الكلية والشمول: فتدل على تجمع الشيء بكل
مفرداته وجزئياته في بنية موحدة شاملة:
- (استوعى فلان من فلان حقه إذا أخذه كله).
- (وفي الحديث "فاستوعى حقه"؛ أي استوفاه له كما يقول
ابن الأثير .



أ.د. أحمد سعيد عبيدون

هذا الوعي إنما هو عمل يتجه نحو الإيجابية والبناء
والإصلاح، فقد جاء فيه: (وعى العظم إذا انجبر بعد الكسر)؛
أي إن العضو ينجبر وينصلح ليعمل معاً مع بقية الأعضاء
الأخرى في جسد واحد.

وإذا كان الوعاء لا قيمة له إلا بالموعى، والظرف بالمظروف،
فإننا أمام شكل لا قيمة له إلا بالمحتوى والمضمون.
وإذا تأملنا العناصر والأشياء التي جرى حديث الوعي عنها
لرأينا أربعة مواضيع، أو بنى وهي: (القرآن)، و(الحديث)،
و(الشيء)، و(الحق).

ولاننسى الخبرة التي تُكتسب علماً من مباشرة الإنسان
موضوعه في الواقع، على ذلك يمكننا أن نخلص إلى تعريف
أولي للوعي في نظام اللغة يمكننا البدء في ضوئه لمعاينة الوعي
في الكتاب:

معنى الوعي في نظام اللغة:
التأمل في نظام معنى (وعى) في لسان العرب^(١) يكشف عن
سمتين أساسيتين هما:
- التركيب والجمع . - الكلية والشمول .
أما الأولى فيدل الوعي فيها على شيئين متلازمين لا يتم أحدهما
إلا بالآخر، وهما: الحفظ والفهم:
- (وعى الشيء والحديث حفظه وفهمه).
- (فلان أوعى من فلان؛ أي أحفظ وأفهم).
- وورد في الحديث "لا يعذب الله قلباً وعى القرآن"؛ أي عقله
إيماناً وعملاً.
- (ووعى الشيء جمعه بعد أن كان مفرداً).



الأستاذ كرامة مبارك سليمان بامؤمن

وبسقة منتقاة من خريفه، والبسقة: هي تلك التمرات المقطوفات بعناية واختيار -والاختيار هنا تركيب منتقى- من طلع النخلة الناضج، يؤخذ منها لأول إدراك لها في السنة، ولعله أطيب ما فيها وألذ، وهذه (الألوية) أساسية فيها ومميزة لها، وغير بعيد عن الفهم أن هذه البسقة ليست كثيرة؛ لأن المراد منها التعرف والتلذذ والإهداء، وليس الأكل المستمر والمشبع، وهي من جهة أخرى لا تنفك عن دلالة العلو والسمو والارتفاع، كونها باسقة تقع في أعلى النخلة^(٤)، وهي تحضر هنا بقوة ووضوح من كتاب الله الكريم في سمة النخل عامة في قوله تعالى: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾^(٥). وإذا كان معنى العلو والارتفاع واحداً من معاني الجذر: بسق، فإن معنى الإثمار والنضج ليس بعيداً عن الكلمة، فقد ورد في اللسان: معنى إدراج اللبن وجريانه في الناقة والشاة^(٦)، على ذلك تكون الفصول الخمسة المكتوبة بعناية في موضوعات مركبة متآزرة ومنتقاة (بسقة فكرية)، يمكن أن ينتفع بها القارئ، ويتلذذ في مجالات: (المكونات المعرفية، والتربية والتعليم، والواقع الاجتماعي المعيش، والجانب السياسي، والصحافة)، وهي موضوعات مختارة ومميزة تمثل في وحدتها

الوعي: عملية عقلية مركبة تتجه نحو الكلية، يتحد فيها الحفظ بالفهم، والإيمان بالعمل، والظرف بالمظروف، والوعاء بالموعى، والشكل بالمحتوى والمضمون، في بنية شاملة تنتقل فيها من الأفراد إلى الجمع، ومن الجزء إلى الكل، في اتجاه نحو الإيجابية والبناء والإصلاح، وفي خبرة واقعية نكتسبها من مباشرة مواضيع الحياة.

هذا الوعي بهذا المعنى هو أول ما يتلقاه الإنسان من معرفة في احتكاكه مع الحياة، وهو الذي ميز الإنسان الحضرمي الذي كان في غالبه أمياً، وقد أشار الكاتب إلى أمية أبيه وأمه بقوله: ((وإن ميلادي في أجواء عام ١٩٣٤م حينما كان والدي مبارك سليمان بامؤمن ووالدي عيشة حيمد باشعيوث الأميان يعملان فلاحين في هذه المزرعة))^(٢)، وهي أمية واعية وعالية المعرفة بهذا المعنى للوعي؛ إذ مثل وعي الكاتب قاعدة أساسية، بنى عليها معارفه النظامية، التي تدرج في أخذها فيما بعد في المدارس الابتدائية والوسطى والجامعية بين حضرموت وسوريا.

مركب العنوان وفصول الكتاب:

يتكون الكتاب^(٣) من مقدمة وخمسة فصول، فضلاً عن العنوان وصورة الغلاف في الواجهة والخلفية، والصور والوثائق، وفي ضوء هذه المنهجية التي أفرزها نظام الوعي في اللغة، يمكن أن نتلمس في الكتاب طريقة اتصالها به، ابتداء من العنوان وانتهاء بالصور والوثائق، بحيث تبدو وحدات الكتاب بسقة من نخيل الفكر الذي أطلعت التجربة الاجتماعية والمعرفية التي مر بها الكاتب. والحقيقة أن الكتاب ليس سيرة شخصية للكاتب بقدر ما هو مسيرة لأفكار، تفاعلت مع واقعها، ومثلت زبدة تفكير، وخلاصة تجربة، وبسقة خريف لعمر أثمر في هذه الحياة، وتساقط رطباً جنياً.

اختيار العنوان (**بسقة الخريف**) ليس أمراً سهلاً في اتصاله بفصول الكتاب، بل يمثل كل فصل منه خلاصة مميزة لمحتواه،



الأستاذ كرامة مبارك سليمان
في شبابه

بسقة معرفية ينتفع بها القارئ، ولعلنا لا ننسى أن هذه البسقة لم تكن لتكون إلا بعد زمن طويل وعناية ليست سهلة، مما يعيدنا إلى النخلة التي يستغرق نموها، ثم الوصول إلى خريفها مدّة من الزمن طويلة، فضلاً عن العناية والتعهد والاهتمام، واختيار النخلة هنا ليس أمراً هيناً؛ فهي من جهة الشجرة الأولى المهمة في الوادي، والأساسية لقوت الناس، وهي من جهة أخرى قريبة جداً من الإنسان الحضرمي روحياً، كيف لا وهي جزء من نسبه، فترابها هو عينه التراب الذي خُلِقَ منه أبونا آدم كما جاء في الحديث، ((أكرموا عمّتكم النخلة فإنها خلقت من فضلة طين آدم))^(٧). من هنا كان حضور النخلة أمراً فيه من العمق والاتصال بواقع الحضرمي وحياته وروحه الشيء الكثير؛ بحيث تمثل رمزاً غنياً للإنسان الحضرمي في وعيه وتفرد في الحياة. ويتكامل العنوان الفرعي: (نفحات حضرمية) مع العنوان الرئيس ليضيف إلى البسقة بُعداً آخر في التميز والاختيار، (فالنفحات) هبات ونسمات من الريح الطيبة والزكية الرائحة، تتميز بالركة واللفظ، وتستثير حاسة الذوق، والإحساس نازعة نحو البرودة مقابل (اللفحات) المتميزة بالحرارة^(٨)، ولعلنا نرى هذا الحرص على النفحات، وعلى البرودة فيها في سياق فصل الصيف وحضور اللفحات، فإنه إنما يأتي من طبيعة الرطب الفكري المختلف، الذي تآزرت على صناعته حضرموت في حرارتها وسوريا في برودتها، بحيث يكون غذاء مُرْكَبًا، فيه خصائص أفضل ما في البلدين. ويجسد ما تقدم من سمات غلاف الكتاب الذي تحضر في واجهته ثلاث نخلات موجودات في حقل أخضر مُحَمَّلَات بالثمر الكثير، وإذا كانت البسقة تمثل خلاصة الفكر فإن النخلة ترمز بعمق إلى قدرة الإنسان الحضرمي على الإنتاج والاختراع، وأن يقدم للناس ما يمكن أن ينفعهم، ويطور حياتهم، في ظل اتصاله بالله، وهو ما تمثله (منارة المسجد)، الذي يمتد في خلفية الصورة المواجهة إلى صفحة الغلاف

الخلفية ليجاور (القصر)، وليعطي انطباعاً باستمرار منهج الله لبناء الحياة وإدامتها، والتمتع بها بمنهج الله وفي جواره. هذه القراءة أو التأويل ليس إسقاطاً على الكتاب من خارجه، بقدر ما هو جزء من بناء علاقاته وطريقة تكوينه، وبذلك يصرح الكاتب في المقدمة القصيرة التي كتبها للكتاب، فهو يتجاوز الأتسم الشخصي لتطور حياته إلى الانطباق على الوطن، كما يتجاوز الدلالات الظاهرة للسطور والصور إلى ما وراءها، مما يميز الفرد الحضرمي حين يقول: ((لم تكن تلك النفحات دالة ومعبرة عن مكنون شخصيتي المتطورة حسب، بل هي وصف لحال الوطن أرضاً وشعباً وماضياً وحاضراً؛ ولهذا سيستنبط القارئ الكريم من بين السطور وفي ما وراء الصور معلومة تاريخية أو جغرافية، أو دلالة ثقافية أو حضارية، أو رؤية اجتماعية، أو موقفًا وطنياً أو إنسانياً))^(٩)، هكذا إذن نقف على مركّبات مختلفة تتجه نحو الكلية والشمول والتجاوز في بنية الوعي: (مركب البسقة)، و(الحرارة والبرودة)، و(حضرموت وسوريا)، و(المسجد والقصر).



الدكتور أحمد عبيدون يلقي ورقته المقدمة للندوة العلمية بعنوان:
"الأستاذ كرامة مبارك سليمان بامؤمن، حياته وجهوده التربوية والفكرية"
التي أقامها مركز وادي حضرموت للدراسات والنشر.

مركب المالك والوكيل:

في تأمل المكونات في الفصل الأول
سنجد سمات التركيب والكلية والشمولية
والأولوية التي هي سمات الوعي بارزة
ومميزة لمسيرة الكاتب، فالسيد محضار
الكاف لم يكن سيداً مالكاً كالسادة الملاك
الآخرين، فقد تميز بصفات من الوعي
متجاوزة لا نجد لها عند غيره، منها كما

البكالوريوس في العلوم الطبيعية، وبذلك تضاف تركيبة
جديدة متجاوزة من (حضرموت (تريم) وسوريا) (في تركيبة
أوسع وأشمل، وبالعودة إلى الصور في آخر الكتاب نتعرف
على هذه (الكوكبة) من الشباب، التي اختيرت وأرسلت إلى
سوريا للدراسة وهم على الترتيب: (علي عقيل بن يحيى
رئيس البعثة، ومحمد عمر الكاف، وكرامة مبارك سليمان،
وعقيل محمد بن يحيى، وعبد الرحمن حسين بن يحيى)،
وبالتأمل في الصورة نرى الكاتب واسطة العقد بينهم، على
يمينه اثنان من السادة وعلى يساره اثنان، وهم في الحقيقة
يمثلون (تركيبة) وبسقة من الشباب في مجموع كلي متوائمة
لخدمة حضرموت ونهضتها.

وفي ختام هذا الفصل يذكر الكاتب عند عودته من سوريا كثيراً
من المناصب والوظائف التي تقلدها في حضرموت وعدن:

- مدرس في وسطى غيل باوزير.
- مدير ثانوية المكلا.

- عميد كلية المعلمين الوسطى.
- رئيس جمعية العمال بتريم.
- كاتب بصحيفة (الرائد والفكر).
- مدير التعليم الإعدادي في وزارة التربية.
- مدير للتعليم العام.
- مساعد نائب وزير التربية والتعليم.

يقول الكاتب إن ((له مكرمة ويد بيضاء في تحديث الزراعة
وإنعاش الفلاحين الفقراء من أبناء حضرموت)) (١٠)، كما
نقل حياة الفلاحين لأول مرة من الاعتماد في أعمال الري
على الإنسان والحيوان عن طريق (السناوة) إلى أعمال الري
بالآلة بإدخاله المضخات في أعمال الري (١١). من ناحية أخرى
كان والد الكاتب (وكيلاً) لهذا السيد في شؤون الزراعة؛
إذ مثل هذا التركيب الجديد (المالك - الوكيل) علاقة جديدة
ومختلفة في مجتمع، يقوم أفراد الفقراء على (التبعية)،
واستناداً إلى هذا التركيب، العلامة المميزة بين (المالك
والوكيل) استطاع الأب الوكيل أن يدخل ابنه الكتاب (علمة
باحرمي)، ومن ثم (مدرسة الأخوة والمعونة)؛ بل قام
المالك بتشجيع وكيله على أن يكمل ابنه دراسته فأرسله في
أول بعثة تعليمية ترسلها جمعية الأخوة والمعونة إلى سوريا
في أواخر عام ١٩٧٤م، حصل فيها الابن على شهادة



جانب من الحضور في أثناء الندوة العلمية:
"الأستاذ كرامة مبارك سليمان بامؤمن، حياته وجهوده التربوية والفكرية"

غير أن التأمل في طبيعة هذه الوظائف يكشف لنا عن سمة أساسية فيها، وهي (سمة الأوليّة) وهي السمة البارزة في البسقة، والمتجاوزة في الوعي، فقد كانت هذه الوظائف باكورة بسقة اجتماعية لنهضة تعليمية، يقودها الكاتب لو كانت استمرت وقدر لها الحياة، وقد نصّ الكاتب على هذه الأوليّة بوعي في الكتاب حين يقول:

- ((توظفت مدرّساً في وسطى غيل باوزير، وهي أول مدرسة وسطى حكومية، أنشئت في مدينة غيل باوزير في ساحل حضر موت، التابعة للسلطنة القعيطية، وذلك عام ١٩٤٤م))^(١٢).

- ((وهي المدرسة المتوسطة الوحيدة في حضر موت حين عُيّن مدرّساً فيها))^(١٣).

- ((وفي عام ١٩٦٢م عُيّن مديراً لأول ثانوية في حضر موت وهي ثانوية المكلا))^(١٤).

ولا يخفى تزامن الأوليّة هذه مع اندلاع ثورة ٢٦ سبتمبر وإسقاط النظام الإمامي وإعلان الجمهورية العربية اليمنية كما يقول^(١٥)، كما ترتبط هذه الأوليّة بمقاومة الكاتب لبعض التصرفات والأوضاع السيئة، كمحاولة وضعه في منزلة أدنى من قدراته، وقد أهله مقاومته هذه ورفضه إلى تجاوز هذه العراقيل وحيازة وضع جديد، يتناسب مع قدراته وطموحاته، حدث ذلك كما يقول: ((عندما انتقلت من حضر موت إلى عدن رافضاً منصب ناظر المعارف أكون فيه مأموراً لا أمراً، وقد عُيّن مدير التعليم الإعدادي في وزارة التربية والتعليم المشكلة بعد الاستقلال منذ عام ١٩٧٠م))^(١٦).

لا تنفصل هذه السمات المميزة للبسقة عن تفكيره ووعيه حتى في تسميته لأولاده، التي يختم بها هذا الفصل، ففي اختياره لأسمائهم دلالة واضحة على استحضار هذه السمات، مما يدل على حضورها الذهني في تفكيره، وسعيه الدؤوب إلى تحقيقها في الواقع، فيها من هذه السمات العلو والسمو

من جهة، والهناء والسعادة، وتحقيق الأمان من جهة أخرى: فائتان من بناته أسماء وسامية، والأخريات منى وهناء وسلوى، وابنه الوحيد هاني.

هكذا تظل هذه السمات مميزة لفكر كرامة سليمان وأساسية في إنتاجه: التركيب، والكلية، والشمول، والأولية، والتجاوز، ولدت مركبات ووعي جديدة في عناصر البسقة؛ بوصفها وعياً متجاوزاً، بين وعيه والتعليم النظامي، والحرارة والبرودة، وحضر موت وسوريا، والمسجد والقصر، والمالك والوكيل، والنخبة الحضرية المتتقاة للدراسة في الخارج. كل ذلك مثل بسقة فكرية تميزه وتجعله رائداً للفكر الاجتماعي في حضر موت وفي اليمن لولا أنهم قطعوا الماء عن نخلته وتركوها تذهب ببطء نحو الياس!

* ورقة مقدمة للندوة التي أقامها مركز وادي حضر موت للدراسات والنشر، بعنوان: الأستاذ كرامة مبارك سليمان بامؤن، حياته وجهوده التربوية والفكرية.

الهوامش:

- (١) ينظر لسان العرب مادة: وعى.
- (٢) بسقة الخريف: ٣.
- (٣) بسقة الخريف، نفحات يمانية من حضر موت، كرامة مبارك سليمان.
- (٤) ينظر لسان العرب مادة: بسق.
- (٥) سورة ق: ١٠.
- (٦) ينظر لسان العرب مادة: بسق.
- (٧) يذكر علماء الحديث أنه حديث ضعيف، والاستشهاد به هنا من باب صلة الإنسان الحضرمي بالنخلة وقربه منها.
- (٨) ينظر لسان العرب مادة: نفح.
- (٩) بسقة الخريف: ١.
- (١٠) المصدر السابق: ٣.
- (١١) ينظر السابق الصفحة نفسها.
- (١٢) السابق الصفحة نفسها.
- (١٣) السابق الصفحة نفسها.
- (١٤) السابق الصفحة نفسها.
- (١٥) ينظر السابق الصفحة نفسها.
- (١٦) السابق: ٥.



الكتابة التاريخية عن مؤرخي حضرموت المعاصرين عبدالله بن حسن بلفقيه - أنموذجاً -



عرفت حضرموت عدداً من علماء التاريخ وهوائه في عصرها الحديث، ألفوا فيه وفي علومه وفروعه وأقسامه من: التراجم والتبث (تراجم الشيوخ) والأنساب، بل إنهم ناقشوا في كتاباتهم التاريخية تلك كثيراً من القضايا والإشكالات التاريخية الحضرمية، وسوف نعرض عبر حلقات من أعداد مجلة (حضرموت الثقافية) هذه، أبرز هؤلاء العلماء وأشهرهم، وذلك في محورين: أولهما: سيرة حياة هذا المؤرخ ومكانته العلمية، وثانيهما: نتاجهم العلمي التاريخي،

مع الإشارة إلى عرض القضايا التاريخية ومناقشتها، والتي طرحوها وناقشوها في كتبهم ورسائلهم، في إطار إسهاماتهم في الكتابة التاريخية، ونبدأ بالمؤرخ عبدالله بن حسن بلفقيه المتوفى سنة ١٤٠٠هـ.

نشأته وتعليمه: نشأ في حجر والديه. وتلقى أولاً دروس القراءة والكتابة. وقراءة القرآن، ومبادئ الديانة على: الشيخ المعلم عوض بن سالم عواضة، وعندما قدم والده من إندونيسيا (جاوة) سنة ١٣٢٢هـ - وكان مهاجراً بها وبعد سن التميز ألحقه بمعلامة بارشيد، وفي سنة ١٣٢٤هـ التحق برباط تريم الشهير، وأخذ وقرأ فيه عن عدد من الشيوخ.

شيوخه: تلقى العلم عن شيوخ عديدين في تريم أو في المهجر. فمن شيوخه الذين أخذ عنهم أثناء التحاقه برباط تريم:

أحمد بن عبدالله البكري الخطيب (ت ١٣٣١هـ)، وحسين بن أحمد بن محمد الكاف (ت ١٣٣٣هـ)، وعلوي بن عبدالرحمن بن أبي بكر المشهور (ت ١٣٤١هـ)، وعلي بن عبدالرحمن بن أبي بكر المشهور (ت ١٣٤٤هـ)، وعبدالله بن عيدروس بن علوي العيدروس (ت ١٣٤٧هـ)، ومحمد بن أحمد بن سالم الخطيب (ت ١٣٥٠هـ)، وعبدالله بن أحمد بن عبدالله البكري الخطيب (ت ١٣٥٤هـ)، وأخوه أبو بكر

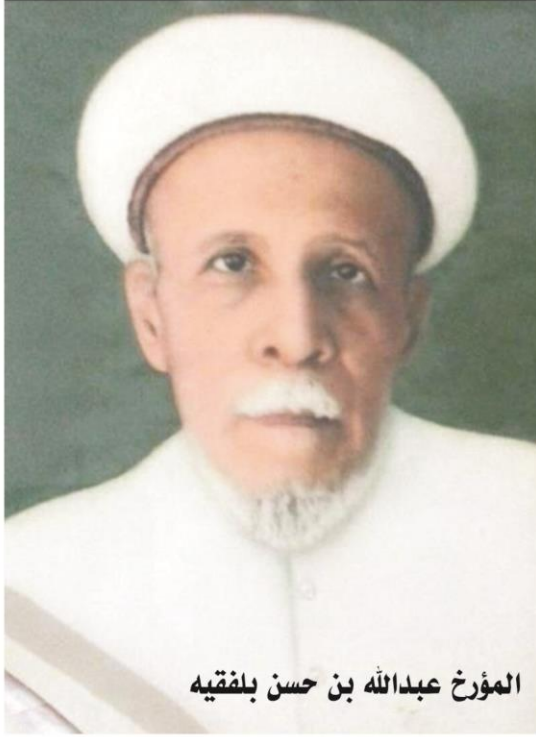


أ.د. محمد يسلم عبدالنور *

ترجمة المؤلف (١)

نسبه: عبدالله بن حسن بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن حسين بن محمد بن حسين بن عبدالرحمن (٢) بن محمد بن عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي.

ولادته: وُلِدَ بتريم حضرموت يوم الخميس الثاني من ربيع الأول سنة ١٣١٤هـ.



المؤرخ عبدالله بن حسن بلفقيه

(ت ١٣٥٦هـ)، وعبدالله بن عمر بن أحمد الشاطري
(ت ١٣٦١هـ)، وعبدالرحيم بن عبدالله بن سالم الخطيب
(ت ١٣٦٣هـ)، وأبو بكر بن محمد بن عمر بلفقيه
(ت ١٣٦٤هـ)، وسقاف بن حسن بن أحمد العيدروس.

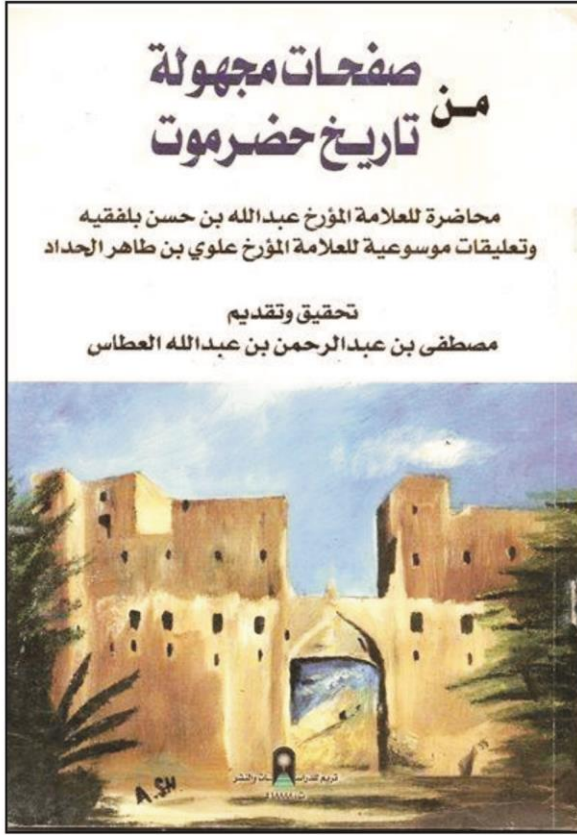
رحلته إلى إندونيسيا: ارتحل من تريم إلى جاوة في

الرابع من محرم سنة ١٣٢٩هـ، وكان الباعث لهذه الرحلة المبكرة والتي لم يتجاوز سنُّه إذ ذاك السادسة عشر طلب المعاش والاشتغال بالتجارة شأنه في ذلك شأن المهاجرين الحضارم، وأثناء إقامته بضعة شهور بسوربايا عند عمه عبدالرحمن بن محمد بلفقيه، وكان ذلك أثناء وجود عمر بن عبدالرحمن المشهور (ت ١٣٢٢هـ) قاضي تريم السابق بها، فكان عمر المذكور يلح على عمه الشيخ عبدالرحمن لما آتس من حسن استعداد المترجم له وميله الفطري للإقبال على طلب العلم ببعثه إلى الجامع الأزهر بمصر، وقد وافق المترجم له وعمه عبدالرحمن مبدئياً على هذا الاقتراح، غير أنه حدث أن عدل عبدالرحمن عن تنفيذ ذلك، ولعل السبب هو عدم توافر المال الذي يقوم بكفاية ما يحتاج إليه لتنفيذ هذا الاقتراح من نفقات السفر وغيرها، ومع ذلك فقد انهمك المترجم له في القراءة والمطالعة والبحث والجد والاجتهاد والأخذ والتلقي عن شيوخ العلم والمعرفة، فمن شيوخه هناك:

أبو بكر بن عمر بن عبدالله بن يحيى (ت ١٣٣١هـ) وعبدالله بن علي بن حسن الحداد (ت ١٣٣١هـ)، ومحمد بن عيدروس بن محمد الحبشي (ت ١٣٣٧هـ)، ومحمد بن أحمد بن محمد المحضار (ت ١٣٤٤هـ)، وأحمد بن عبدالله بن طالب العطاس (ت ١٣٤٧هـ)، وعبدالله بن محسن بن محمد العطاس (ت ١٣٥١هـ)، وأحمد بن محسن بن عبدالله الهدار (ت ١٣٥٧هـ)، وعمر بن محمد بن إبراهيم السقاف (ت ١٣٦٨هـ)، وعلوي بن محمد بن طاهر الحداد (ت ١٣٧٣هـ)، وأبو بكر بن محمد بن عمر السقاف

(ت ١٣٧٦هـ)، وجعفر بن شيخان السقاف، وعلوي بن سقاف السقاف، ومحمد بن صالح الشواشي الباجي، ويحيى المهدي اليمني..

أعماله: كان المترجم له من قادة النهضة الإصلاحية، وزعماء تنشيط الحركة الدينية والوطنية، سواء في المهجر إندونيسيا أو في حضر موت بعد عودته إليها سنة ١٣٤٦هـ، فقد شارك أثناء إقامته بجاوة في مؤتمر الإصلاح الحضرمي^(٣)، بكتابة المقالات المفيدة في جريدتي (الإقبال) و(حضر موت) وكان من العاملين في إدارتها أيضاً، كما ألقى المحاضرات القيمة في الأندية والجمعيات، ونشر الكثير منها في المجلات بعضها باسمه، وبعضها باسم مستعار؛ مراعاة للظروف المحيطة، وقد أحدثت بعض كتاباته دَوِيًّا هزَّ الرأي العام في حينها، ومنها محاضراته عن مدينة تريم ماضيها وحاضرها، وهي التي نشرتها مجلة الرابطة العلوية، وقد وشاها وطرز حاشيتها علوي بن طاهر الحداد بفوائد عزيزة واستدراكات نفيسة بعنوان مدينة تريم بحضر موت^(٤). ومنها محاضراته التي ألقاها في الحجاز أثناء حجه عام ١٣٥١هـ.



- الأديب زين العابدين أحمد بن الجنيد بن أحمد الجنيد (ت ١٣٦٤ هـ)، الذي تولى التدريس بمدرسة الجنيد الإسلامية بتريم، بزواية مسجد الشيخ عبد الرحمن بن محمد بايعقوب منذ افتتاحها سنة ١٣٥٥ هـ وكان قد تولى قبله الأستاذية القاضي مبارك عمير باحريش، ثم الفقيه سالم بن سعيد بكير باغيثان.
- القاضي مبارك عمير باحريش (ت ١٣٦٧ هـ)، الذي كان يستفسر المترجم له عن بعض الاستشكالات، وخاصة ما لحظه من تقدير العوام للشيخ سالم بافضل (ت ٥٨١ هـ)، وتجاهل وغمط والده فضل بن محمد وجده عبد الكريم، لما هو معمول به في ترتيب زيارة تربة تريم، وقد أشار المترجم له بذلك في كتابه "جلاء الحقائق".
- المفتي فضل بن عبد الله عرفان بارجاء (ت ١٣٦٩ هـ) وكانت بينه وبين المترجم له اتصالات علمية، فلم يكن كتاب المترجم له الموسوم بـ "جلاء الحقائق" إلا توضيحاً لإشكال رفعه إليه الشيخ فضل.

وفي حضرموت شارك في تأسيس نادي الشبيبة المتحدة بتريم^(٥) بإلقاء الدروس والمحاضرات، كما كان عضواً في هيئة إدارة مدرسة جمعية الحق^(٦)، وحث وشجع على تأسيس مجلس الإفتاء الشرعي بتريم^(٧) واشترك في تأسيس المعهد الفقهي بتريم^(٨)، وكان أحد أعضاء هيئة إدارته، كما عمل مدرساً في جمعية الأخوة والمعاونة بتريم^(٩)، بإلقاء المحاضرات، وفي غير ما ذكرناه من الجمعيات التي كانت موجودة في ذلك العهد، لم يغب عنها بآرائه وإرشاداته المفيدة وتوجيهاته السديدة.

أقرانه وأصحابه: كان على أقوى روابط الصداقة والأخوة مع أقرانه من قادة الفكر ورجال العلم في كل مكان في المهجر إندونيسيا أو حضرموت ممن عرفهم وعرفوه، وقد أثمرت تلك الروابط والصداقة والأخوة وما تخللها من جلسات ومذاكرات بحوثاً ورسائل علمية وفوائد قيمة.

ومن أخص أصحابه وجلسائه:

- أحمد بن عمر بن عوض الشاطري (ت ١٣٦٠ هـ)، كان من أخص أصحابه وجلسائه، فقد تولى التدريس بمدرسة جمعية الحق عام ١٣٣٨ هـ، فأدخل فيها من الفنون خلا الفقه والنحو والحساب المعاني والبيان والتاريخ والجغرافيا والمنطق واللغة، وشارك في تأسيس جمعية نشر الفضائل عام ١٣٣٧ هـ، التي فتحت أربع مدارس في أربع حارات بتريم^(١٠). وتلا ذلك مشاركته في تأسيس نادي الشبيبة بتريم وإلقاءه الدروس على أعضائه، وبعد وفاته أُنبتت جمعية الأخوة والمعاونة بحفلة كبرى بدار الفقيه، ثم تبعه ابنه الفقيه الأديب المؤرخ محمد (ت ١٤٢٢ هـ)، والذي تخرج في مدرسة جمعية الحق، ثم اشتغاله بالتدريس بمدرسة جمعية الأخوة والمعاونة، وسعيه في أعمال أخرى، وكان على اتصال وتواصل مع المترجم له حتى بعد أن هاجر واستقر في المملكة العربية السعودية عام ١٣٩٣ هـ إلى وفاته.



طاهر الحداد الموسوم بـ "جني الشماريخ" (١٢) سوى جواب عن أسئلة في غوامض تاريخ حضرموت رفعها إليه المترجم له، إلى غير ذلك.

– المفتي سالم بن سعيد بكير باغيثان (ت ١٣٨٦ هـ)، الذي عين مدرساً بمدرسة جمعية الحق سنة ١٣٤٠ هـ، وبعد إنشاء جمعية نشر الفضائل (١٣) انتظم في سلك مدرسيها سنة ١٣٤٦ هـ، ثم قام بالتدريس في المعهد الفقهي العلمي سنة ١٣٧٧ هـ، كما تولى التدريس بمدرسة الإقبال بـ (دمون)، كما تصدر رئاسة مجلس الإفتاء الشرعي بتريم، وعلاقته بالمترجم له قديمة من حين وصوله من إندونيسيا، حتى أنه أم بالمصلين في الصلاة عليه بجبانة تريم وابنه قبل الصلاة، وتواصلت تلك العلاقة حتى بعد وفاته، فقد حفظها له ابنه علي، الذي لازمه بعد وفاة والده، فكان مريدُه في صحته ومرضه، ينهل من معين علومه ومعارفه.

– المفتي عبدالرحمن بن عبيد الله بن محسن السقاف (ت ١٣٧٥ هـ)، وعندما استقدم أحمد بن عمر بن عبدالله بن يحيى (ت ١٣٥٧ هـ) عبدالرحمن السقاف إلى تريم، فأقام بها مدة من الوقت، كان يعقد بها دروساً يحضرها عدد كثير، وكان المترجم له من بين الحضور، فنشأت بينهما أخوة أكيدة وعلاقة وطيدة بين الشيخ وطالبه استمرت إلى وفاته.

– الأستاذ محمد بن هاشم بن عبدالرحمن بن طاهر (ت ١٣٨٠ هـ)، كان جليسا له في المهجر وحضر موت منذ سفر المذكور إلى إندونيسيا سنة ١٣٢٥ هـ، فقد كان مولعاً بالكتابة في الجرائد، وكانت له مقالات اجتماعية وسياسية وأدبية تنشرها جريدة الإصلاح والبشير والميزان، كما أشرف مع المترجم له على جريدة الإقبال بسوربايا سنة ١٣٣٤ هـ، وتولى رئاسة تحرير جريدة حضرموت سنة ١٣٤١ هـ، وبعد عودته إلى حضرموت سنة ١٣٤٥ هـ أدار مدرسة جمعية الحق، واعتنى بإقامة المحاضرات في الجمعيات والأندية، وكتب في مجلة الإخاء التي تصدرها جمعية الأخوة والمعاونة، ولم يكن الأستاذ ابن هاشم ليكتب رحلته إلى الثغرين (الشحر والمكلا) بتعليقاته التاريخية عليها لولم يشر عليه المترجم له، كما كان من المساعدين له في إخراج كتابه القيم عن تاريخ الدولة الكثيرة.

– المؤرخ علوي بن طاهر بن عبدالله الحداد (ت ١٣٨٢ هـ)، بدأ يكتب في الصحف بعض المقالات والبحوث القيمة في شؤون مختلفة خصوصاً بعد سفره إلى إندونيسيا، وألقى هناك عدداً من المحاضرات النافعة، وأسهم في تأسيس جمعية الرابطة العلوية (١١)، وتولى الإفتاء في جوهور، وكان أول تعارف مع المترجم له عندما شرع مع عيدروس بن عمر المشهور في تنظيم ليالٍ لافتتاح المحاضرات العلمية والتاريخية وغيرها للجالية العربية بسوربايا في العقد الثالث بعد الألف من القرن الرابع عشر الهجري، وألقى المترجم له أولى المحاضرات، وعنوانها: ماضي تريم وحاضرها كما ذكرت، ثم تواصلت الاتصالات والمراسلات بينهما، فلم يكن كتاب علوي بن



مكانته العلمية:

كانت تقام عند المترجم له عصرًا جلسة علم (روحة) إلى قرب المغرب، يحضرها كثير من الناس، ومن الأعلام والشخصيات، ومنهم بعض أصحابه وجلسائه وتلامذته. ومنهم - غير ما ذكرت - عبدالرحمن بن حامد بن محمد السري (ت ١٤٠٢ هـ)، وعلي بن شيخ بلفقيه (ت ١٤١٦ هـ)، وعلي بن أبي بكر بافضل، وعلي بن عمر العيدروس، وشيخ بن علوي بن شهاب، ومحمد بن سالم بن حفيظ، وأحمد بن زين بلفقيه، وعبدالقادر بن علوي الجنيد، وعبدالقادر بن عبدالرحمن الجنيد. وكان يزوره الكثير من الشخصيات الصحفية، أمثال: محمد علي لقمان، محرر جريدة فتاة الجزيرة، وعبدالرحمن جرجرة، مدير جريدة النهضة ومحرر جريدة القلم العدني، وشخصيات أخرى عربية وأجنبية مهتمة بالتاريخ اليمني والحضرمي، كالمؤرخ محمد عبدالقادر بامطرف، الذي استملى منه معلومات عن تاريخ حضرموت. كما التقى بشاعر حضرموت الكبير الأستاذ علي أحمد باكثير (ت ١٣٨٩ هـ)، عندما زار وطنه (حضرموت) بعد غيبة طويلة متواصلة، دامت ثمانية وثلاثين عامًا.

كما أن له مراسلات مع شخصيات كثيرة، منهم: إمام اليمن الإمام يحيى حميد الدين، وفي السعودية مع الشيخ حسن بن محمد فدعق، وشيخ الحرم الشيخ محمد أمين كتيبي، وفي إندونيسيا مع الأستاذ عبدالله بن عبدالقادر بلفقيه مدير مدرسة الحديث، ووالده عبدالقادر، وكثير من الأعيان والشخصيات.

تبوّأت تحقيقات المترجم له ودراساته في أبحاث النسب والتاريخ، المختصة بحضرموت مكانة سامية، وضربت إلى أقصى ما يمكن من تحري الصواب والتعمق في البحث، واستجلاء الحقائق وتمحيص المعلومات بدافع خدمة العلم، والغيرة على الحق، إلى جانب نزاهة القصد والأمانة في النقل، فقد كان غواصًا في المعاني، وقد شهد له بذلك

- الرحالة عمر بن أحمد بن أبي بكر بن سميح (ت ١٣٨٧ هـ)، كان لا يترك زيارة المترجم له في كل مرة يقدم فيها إلى تريم، وعندما زاره سنة ١٣٧١ هـ قابله أجمل مقابلة، وتحدث معه عما هو مشغول به من التأليف في الرد على قاعدة ابن خلدون المعروفة. - المؤرخ صالح بن علي الحامد (ت ١٣٨٧ هـ).

- القاضي علوي بن عبدالله بن حسين السقاف (ت ١٣٩٢ هـ). - الداعي إلى الله علي بن أبي بكر بن علوي المشهور (ت ١٤٠٢ هـ)، كان كثير التردد على المترجم له لطلب الفائدة الحسية من العلم وثمرات الأدب والتاريخ، فقد زاره مع ولده أبي بكر عدة مرات في صحته ومرضه.

- الأستاذ علي بن محمد بن يحيى بن طاهر (ت ١٤٠٩ هـ)، وقد شارك في التعليم وإلقاء المحاضرات والفتوى بعد عودته إلى تريم، وزكاه المترجم له حينما عين مفتشًا لمدارس الدولة في مادتي اللغة العربية والدين.

- المؤرخ عمر بن علوي بن أبي بكر الكاف (ت ١٤١٢ هـ). - حمزة بن عمر بن عيدروس العيدروس، وعمر الجرو من أهالي شبام، وقد كان من قبل صديق والده في جاوة، ثم تواصلت الصداقة مع المترجم له منذ قدومه إندونيسيا سنة ١٣٢٩ هـ؛ إذ كان يرافقه في زيارة شيخه عبدالله بن علي بن حسن الحداد. إلى جانب محبيه ومنهم: عمره فرج باحمالة، وحيمد علي بامقيشم، وأخوه سالم، وعلي عبيد بابطاط.

صفاته وأخلاقه:

كان علامةً فاضلاً، جليل القدر، رفيع المحل، مجتمعاً على علو مكانته، وسمو منزلته، مُعظماً محترماً لدى المواقف والمخالف، ذلك أن أخلاقه العالية وأحاديثه العذبة تفرّض على سامعه أن يقر له بما ذكر؛ فهو مائع المحاضرة والمذاكرة، كان شريفاً أيباً، سرياً المعياً، مع وفور العقل وأصالة في الرأي وحدة في ذهن.



تحدث عنه بعض المستشرقين من هيئة الإذاعة البريطانية B.B.C فوصفه بالبحّاث المحقّق. وفي رسالة له من علامة الحرمين الشريفين الشيخ علوي بن عباس المالكي (ت ١٣٩١هـ) قال عنه: إلى عالم تريم، وبدرها، المؤرّخ الداعي إلى الله العليم. ومن أقواله التي تدل على مكانته العلمية تلك المقولة لكتاب التاريخ الحضرمي: "من أراد أن يؤلف أو يكتب في تاريخ حضرموت فليكتب، وهو بذلك مشكور الصنيع، ولكن علينا أن ندرك أن الغربة مقبلة"

الحرمين الشريفين الشيخ علوي بن عباس المالكي (ت ١٣٩١هـ) قال عنه: إلى عالم تريم، وبدرها، المؤرّخ الداعي إلى الله العليم. ومن أقواله التي تدل على مكانته العلمية تلك المقولة لكتاب التاريخ الحضرمي: "من أراد أن يؤلف أو يكتب في تاريخ حضرموت فليكتب، وهو بذلك مشكور الصنيع، ولكن علينا أن ندرك أن الغربة مقبلة" (١٤).

مرضه ووفاته:

استلّي المترجم له قبل وفاته بأمرض عدة ومتنوعة، ففي حوالي سنة ١٣٨٥هـ كف بصره. فازدادت بصيرته علماً وفهماً، ولم يدع جمعة ولا جماعة، ولا مجالس علم وتعليم. وفي سنة ١٣٩٠هـ خلعت رجله من عظمة الورك والمسمّاة بـ (الدومة) بسبب زلة قدمه وقعت له في بيته. فلزم البيت والفراش، حتى شفي وخرج من بيته ماشياً. وبعد مدة أصيب بجروح، فكان صابراً على الألم محتسباً لله تعالى، وظل رغم ذلك متابعاً ومطلعاً على أخبار العالم سواء بالاستماع إلى المذيع أو بالقراءة عليه من الصحف والمجلات والكتب. ومعلّقاً على تلك الأحداث والمتغيرات للأوضاع السياسية والعلمية.

مصطفى بن أحمد بن محمد المحضار (ت ١٣٧٤هـ) وذلك عندما أطرى المترجم له وزميله الأستاذ محمد بن هاشم بن طاهر في معرض تقريره لكتابه تاريخ الدولة الكثيرة، عقيب اطلاعه على الجزء الأول منه، فعدّهما فرسي رهان في هذا الميدان بلا مجازفة، ولا عنهم أذفت الآزفة، بل حصان رزان وكل شيء بالميزان، كلام معقول، عن أهل الصدق منقول. وقال في موضع آخر من خطاب التقرير: والتاريخ وضعه ثقیل. ولا نأمن عليه إلا القليل كالأخ عبدالله (يعني المترجم له). ثم قال: وبلفقيه دقق. وابن هاشم حقق...

وشهد له بذلك أيضاً زميله الأستاذ علي بن محمد بن يحيى فقد بعث بخطاب للمترجم له بعد اطلاعه على كتابه "تذكرة الباحث المحتاط" مؤرخاً في ١٦ / ١١ / ١٣٧٨هـ مُثنيًا على الجهود المخلصة التي يبذلها، ومعجباً بما أوتي من ذكاء نادر وعقل راجح، يساعده على إطالة البحث والصبر والأناة على التحقيق، وتدبر المشاكل، فيدرك اللّمحات التي تدق عن إدراك أنظار الفحول.

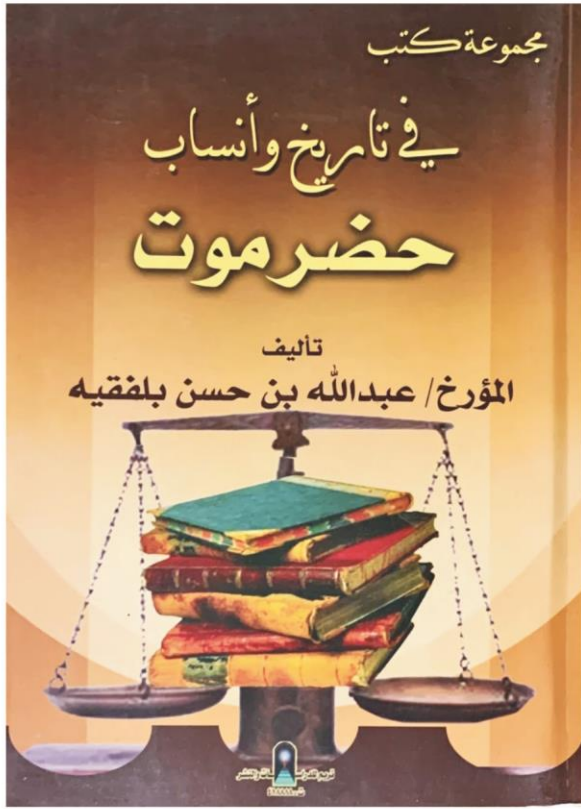
وتحدث عنه بعض الصحفيين ممن زاره فكتب عنه: إنه ممن يزن كلامه بميزان الذهب، معنى هذا أنه لا يرسل القول على علاقته، وإنما إذا تحدث أو كتب فهو يعني ما يقول.

فهو إذا تحدث عن واقعة ما فإنه يصفها بأشخاصها وزمانها ومكانها مبالغ منه في الدقة والاحتياط.

وقد شهد له بمثل هذا وزيادة: علوي بن طاهر الحداد بقوله: العالم، المؤرخ الجامع والمنقب، والآتي من غرائب التاريخ بالغريب المعجب، الكاتب الناشر، الشاعر، والغواص على نفائس الجواهر.

وعلوي بن محمد بن أحمد المحضار (ت ١٣٧٩هـ) ومحمد بن هاشم بن طاهر وغيرهم في رسائل وتقريظات على بعض مؤلفات المؤلف.

وتحدث عنه بعض المستشرقين من هيئة الإذاعة البريطانية B.B.C فوصفه بالبحّاث المحقّق. وفي رسالة له من علامة



وغير ذلك، كما أفرد فيه فصلاً عن مذهب الإمام المهاجر، الذي أثار الجدل حوله بعض المؤرخين بين إمامي وسني. وللأسف لم يتمكن من إكمال كتابه لعدم توفر المراجع التي يمكن الرجوع إليها، ولو أن هذا الكتاب تم ونُشر لسدَّ فراغاً كبيراً، ووصل حلقة لا تزال مفقودةً من تاريخنا الحضرمي، وهو - أي الكتاب - في عداد المفقود والضائع.

٢- الفرائد في قيد الأوابد والحقاق الشوارد حول المزارات والزيارات بوادي حضرموت.

وهو عبارة عن تعليقات وتحقيقات تاريخية، تحتوي على ما جاء في أسفار التاريخ الحضرمي وكتبه، وغيرها من التواريخ اليمنية عن المزارات والزيارات، وما كان يرجع إليه تاريخ بناء القبر بوادي حضرموت، والعهد الذي كان فيه إحداث الكتابة على شواهد القبور، وألواح الضرائح، وتطور طرق الزيارة لضرائح مشاهير السلف بوادي حضرموت، وما أعقب ذلك من إقامة الزيارات والحوليات لبعض أضرحة المتأخرين من المشاهير.

وفي سنة ١٣٩٨ هـ أصيب بجلطة أدت إلى شلل نصفي، ومع ذلك تحسنت صحته قليلاً، حتى كان فجر يوم الثاني عشر من شهر رمضان سنة ١٤٠٠ هـ، لعله الموافق ٣ / ٧ / ١٩٨٠ م فاضت روحه الزكية إلى بارئها رحمه الله - .

ودفن بإحدى مقابر تريم (بشار) المسماة بـ (زنبل)، وكان موته عن عمر ناهز خمساً وثمانين سنة وستة أشهر وعشرة أيام. لأن مولده كما ذكرنا في الثاني من ربيع الأول سنة ١٣١٤ هـ، وخلف من الأبناء ستة. ثلاثة ذكور، هم: سالم، وصالح، ومحمد. وممن رثاه أبو بكر عطاس بن عبدالله الحبشي (ت ١٤١٦ هـ)، وعبدالقادر بن عبدالرحمن الجنيد، ويسلم بن علي بابطاط بشعر حميني، والشيخ أبو بكر بن عمر الهدار بقصيدة، مطلعها:

صبراً على المقدور والمكتوب

وعلى فراق الجهد المخطوب

الكتابة التاريخية (أبحاثه ومؤلفاته):

عُنيَتْ أكثر أبحاثه ومؤلفاته بتحقيق التاريخ الحضرمي، وتمحيص دراسته، إلى جانب اهتمامه كذلك بعلم النسب وما يتصل به^(١٥)، ومع كثرة أبحاثه ودراساته فإنه لم يكتب في تاريخ حضرموت كتاباً شاملاً، ومع هذا فقد وقف بأبحاثه تلك حارساً أميناً لكل من أراد أن يحرف حقائق التاريخ، أو من يحاول تشويهها والجنوح بها مع الهوى.

وإلى القارئ كشفاً بأسماء مؤلفاته مع التعريف بها:

١- صبح الدياجر عن حياة الإمام المهاجر. التاريخ المعاصر للإمام المهاجر أحمد بن عيسى المسمى بد صبح الدياجر عن حياة الإمام المهاجر.

تحدث فيه عن حياة الإمام المهاجر أحمد بن عيسى بن محمد بن علي العريضي المتوفي سنة ٣٤٥ هـ، وأسباب هجرته من البصرة إلى حضرموت. وعرض حالة القطرين (البصرة وحضرموت) في ذلك العهد، ونسب الإمام المهاجر، ونشأة النقابة الطالبية، وبيت آل العريضي، ونقابة البصرة

٨- تذكرة الباحث المختلط في شؤون وتاريخ الرباط،

وتعد من أول ما طبع من مؤلفاته في الخارج، عن مطبعة الفجالة الجديدة بمصر، ثم أعيد طبعته مرات في اندونيسيا.

وهي في مجمل شؤون رباط تريم (المعهد العلمي الديني) وتاريخه، والذي افتتح في ١٤ محرم ١٣٠٥ هـ، وانتهى من جمع هذه التذكرة سنة ١٣٧٨ هـ، وقد أثار جدلاً في الأوساط الدينية في تريم حينها؛ لأن موضوعها من المسكوت عنه.



٩- الشواهد الجلية عن مدى الخلف في القاعدة الخلدونية

(طبع بمطابع المختار الإسلامي جدة).

وتحتوي هذه الشواهد على أبحاث وتحقيقات علمية في نقض قاعدة ابن خلدون. التي جعلها أصلاً وقانوناً، يرجع إليه المحقق في تمييز سلاسل الأنساب المضبوطة العد، من غيرها من السلاسل المغلوطة العد أي المنقوصة أو المزيدة.

١٠- تعليقة مفكر متحير كاشفة عن تمجلات خصوم علم النسب

(طبع مع الشواهد الجلية كملحقة وكتمة وتذييل للشواهد).

وهي تعليقة خطتها اليراعة تلقاء ما أثار الحيرة وحمل على العجب من محاولات ومداورات المستشرقين للغض من قيمة علم النسب المعتمد عند أئمة الإسلام وعلمائه من الأعاجم والعرب.

٣- كشكول ثقافي تاريخي:

وهو عبارة عن أمالي أملها في البحث والتنقيب والجمع والتأليف وضم الموضوعات الآتية:

- التاريخ كميزان للتحقيق عند علماء الجرح والتعديل من أهل الحديث النبوي الشريف.

- هل تطور النقل في هجرة الإمام وترحاله من العراق.

- لمحة تمهيدية عن: عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف (ت ١٣٧٥ هـ)، وصالح بن علي الحامد (ت ١٣٨٧ هـ).

٤- الحياة الثقافية والمذهبية بحضرموت منذ وقبل قدوم الإمام المهاجر.

وفيه بحث المؤلف عن أثر المهاجر في الحياة الثقافية بحضرموت، ومقاومته للمذهب الأباضي، ونشر مذهب الإمام الشافعي وعقيدة أهل السنة.

٥- نحو المدخل إلى التاريخ الحضرمي.

ويشتمل على بحث وتقرير وتحقيق للتعقيب على مقال الأستاذ والكاتب الصحفي أحمد عوض باوزير في دراسة التاريخ الحضرمي، نشره في جريدة الطليعة المكلا - الصادرة في ١٦ / ١٠ / ١٣٧٣ هـ الموافق ١٧ / ٦ / ١٩٥٤ م، العدد (٢٠٥)، بعنوان (المدخل إلى التاريخ الحضرمي).

٦- جلاء الحقائق وتمحيص النقل حول ما أورده مؤلف صلة الأهل في الترجمة لفضل بن محمد والد الإمام سالم بن فضل.

وهو إجابة لسؤال رفعه إليه فضيلة الشيخ فضل بن عبد الله عرفان بارجاء يتضمن إشكالاً تاريخياً عن ما جاء بكتاب صلة الأهل بتدوين ما تفرق من مناقب بني فضل لمحمد بن عوض بن محمد بافضل (ت ١٣٦٩ هـ).

٧- أعلام الهدى وسفن النجاة لمن بهم اهتدى واقتدى.

عبارة عن مذكرات في بعض مناقب مشائخه وكراماتهم وراجهم في إندونيسيا (جاوة).



89

العدد (32)
إبريل
يونيو
2024م

١٤- لمحة من زاوية التاريخ الحضري^(١٧).

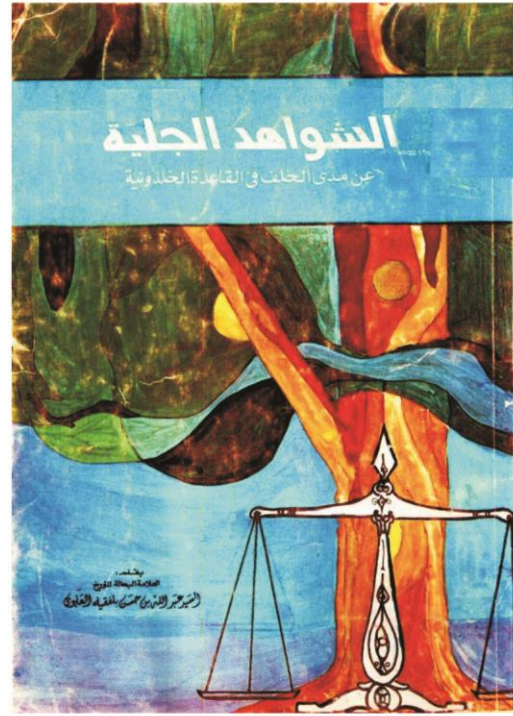
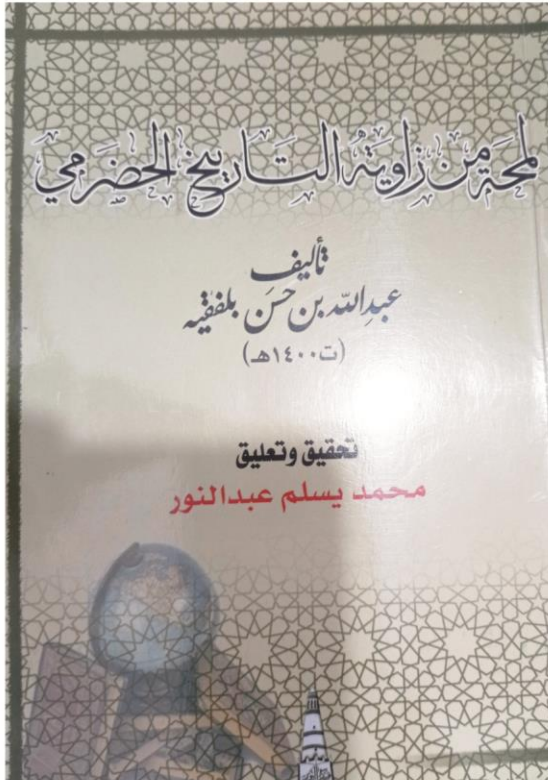
وهو عبارة عن محاضرة ألقاها بمقر جمعية الأخوة والمعاونة بترميم سنة ١٣٧٩هـ، في شرح أبيات الشيخ عبدالرحمن ابن الشيخ عبدالله بن أسعد اليافعي (ت ٧٦٨هـ) عندما أرسله والده إلى حضر موت، وعندما عاد منها أجابه عن سؤاله عنها بقوله: مررت بوادي حضر موت مسلماً فألفيته بالبشر مبتسمارحبا وألفت فيه من جهابذة العلا أكابر لا يلقون شرقا ولا غربا

١٥- الزهراوات الثلاث الجواهر: وهي رسالة ترجم فيها لكل من والدته وزوجته وابنته، المسماة كل واحدة منهن زهراء، وما زالت مخطوطة.

هذا فضلاً عن المحاضرات التي ألقاها في المهجر (جاوة) أو حضر موت.

وبهذا العرض في سيرة بلفقيه وحياته، وجهوده في الكتابة التاريخية، ألا يستحق أن يفرد بدراسة علمية مستقلة، تبين وتدرس هذا النتاج المتميز، فهي دعوة إلى طلاب الدراسات العليا لقطف هذه الثمرة، والله الموفق والمسدد للصواب.

* أستاذ التاريخ الاسلامي وحضارته المشارك - جامعة حضر موت.



وهي رسالة مختصرة، تبين أهمية علم النسب، ورد الانتقاص منه.

١١- استدراكات وتحريات على تاريخ حضر موت في شخصيات، وهو أول ما طبع من مؤلفاته، بالمطبعة التجارية بعدن ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م.

ويحتوي على نقد كتاب الأستاذ سعيد بن عوض باوزير، المتوفى سنة ١٣٩٨هـ^(١٦)، أستاذ التاريخ بمدارس غيل باوزير، والكتاب المذكور عُرف بعد تلك الاستدراكات بصفحات من التاريخ الحضري.

١٢- نقاش وتمحيص وتنقيب عن حقيقة الملقب بـ (النفاط) في بني عيسى النقيب (طبع في جاكوتا - أندونيسيا -). وهي رسالة مختصرة أرسلها إلى الاستاذ محمد بن أحمد الحجري اليمني.

١٣- تفنيد مزاعم الشيخ صلاح البكري في تحككه بنسب الإمام أحمد بن عيسى النقيب العلوي البصري. (طبع في جاكوتا أندونيسيا في كتاب واحد مع نقاش وتمحيص).

وتلك المزاعم هي تلك التي أوردها في كتابه تاريخ حضر موت السياسي، ولعل التفنيد هذا قطعة منقولة من كتابه المفقود صبح الدياجر في تاريخ المهاجر.



90

العدد (32)

إبريل

يونيو

2024م

الهوامش:

(١) ترجم له: السري: تذكرة الباحث المحتاط ٣-١٠، بكير: الشواهد الجلية ٩٤-١٠٢، شهاب: تعليقات شمس الظهيرة ١/ ٣٩٤-٣٩٦، المشهور: لوامع النور ٢/ ٨٥-٨٨، وقبسات النور ١٨٥-١٨٧.

(٢) وهو المسمى بلفقيه وأصلها ابن الفقيه فحذفت الألف من ابن تخفيفاً فصارت بن، ثم حذفت النون فصارت بلفقيه. وهذا يقع في كلام العرب. فهم يقولون بلحارث بن كعب في ابن الحارث بن كعب. ولُقب بهذا لاشتهار أبيه (محمد) بالفقيه، ولا يتعارض هذا مع اتساعه واشتهاره في كثير من العلوم. توفي سنة ٩١٧هـ (الشاطري: المعجم اللطيف ١٥٥).

(٣) عقد هذا المؤتمر (١٦ جلسة) بدعوة من الوفد الحضرمي برئاسة الطبيب الساسي الذي ابتعثته السلطنتين القيعية والكثيرية لعقده، لهدف اشراك المهاجرين الحضارم في الإصلاح العام واطلاعهم على نتائج المؤتمر الحضرمي الأول للإصلاح (والذي عقد بالمكلا عام ١٣٤٦هـ، ونتج عنه معاهدة الشحر، وبموجبها تم الصلح بين القبائل والسلطنتين وإشراك المهاجرين في الجمعية الوطنية)، فدعا إلى إشراك المهاجرين في دعم الإصلاح مادياً عن طريق الاكتتاب العام (محاضر جلسات المؤتمر (خ)).

(٤) في الجزء الثالث. شوال ١٣٤٦هـ. السنة الأولى، وقد طبعت عن دار تريم سنة ٢٠٠٥م، بتحقيق وتقديم: مصطفى عبدالرحمن العطاس، بعنوان (صفحات مجهولة من تاريخ حضرموت)، على خلاف عنوانها، وللأسف لم تكن كاملة في طبعتها المحققة، إذ جاءت تكملتها في أعداد أخرى من المجلة. (٥) أقدم نادي رياضي أسسه مجموعة من الشباب. ومقره قصر (المتصورة)، وقد تولى رئاسته لعدة سنوات الشيخ عمر بن شيخ الكاف، وقد أراد مؤسسه أن يكون نادياً رياضياً وثقافياً.

(٦) تأسست جمعية الحق عام ١٣٣٣هـ وأسسها مجموعة من الشباب؛ إذ هالهم ما وصلت إليه أوضاع مدينتهم، وترأسها الشيخ عبدالرحمن بن شيخ الكاف، وابن عمه حسن بن عبدالله الكاف، وأبرز أعمالها في الجانب التربوي: إنشاء مدرسة جمعية الحق، وفي الجانب الاجتماعي: إصلاح ذات البين، وفض النزاعات. وقد ضعف نشاطها وانتهت، وخلفتها جمعية الأخوة والمعاونة.

(٧) أسسه جماعة من العلماء والفقهاء والوجهاء، وترأسه الشيخ سالم سعيد بكير حتى وفاته عام ١٣٨٦هـ، فخلفه الشيخ محمد بن سالم بن حفيظ، وكان مقره مكتبة الشيخ عبدالرحمن بن شيخ الكاف بجامع تريم.

(٨) تأسس عام ١٣٧٧هـ، أسسه مجموعة من العلماء والفقهاء، ومنهم الشيخ حمزة بن علوي العيدروس، والشيخ عمر بن علوي الكاف، ومقره بالسوق، وآخر من تولى إدارته الشيخ علوي بن عمر الحداد إلى إغلاقه عام ١٣٨٩هـ، وهو عبارة عن معهد متوسط، يدرس فيه الطالب بعد إنهاء المرحلة الابتدائية، إضافة إلى الفقه والعلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية والتاريخ، وكانت الدولة تعادل شهادته بالصف الثاني الثانوي.

(٩) أسسها سنة ١٣٤٨هـ جماعة من طلبة مدرسة الحق، وفي سنة ١٣٥٠هـ أعلنت رسمياً، ونشر قانونها، وأنشأت الجمعية مدرسة ابتدائية وأخرى متوسطة وثالثة ابتدائية خاصة للبنات، وقامت ببعض النشاط في المجالات الدينية والثقافية وأصدرت مجلتها شهرية (الإخاء).

(١٠) وهي: واحدة بحارة الخليف. وأخرى بحارة السحيل والرضيمة. وثالثة بحارة النويدرة. وثلاث أخريات في حارة السوق. وبلغ مجموع تلاميذها ١٥٠ تلميذاً.

(١١) الرابطة العلوية: جمعية تأسست عام ١٣٣٨هـ لتوحيد العلويين بعد صراعهم مع الارشاديين وجمع كلمتهم وللمحافظة على مركزهم، انضم إليها الكثير منهم، وأقيمت لها فروع في جاوة، وأصدرت لها مجلة هي مجلة حضر موت.

(١٢) وقد نشر وطبع بتحقيقنا عن مركز النور للدراسات والأبحاث ودار تريم للدراسات والنشر سنة ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

(١٣) جمعية نشر الفضائل: أسسها مجموعة من الشباب المتعلمين الواعين، برئاسة الشيخ أحمد بن عمر الشاطري عام ١٣٣٧هـ بعد تأسيس جمعية الحق، وقد كان بعض أعضائها عضواً في جمعية الحق، غير أن رجال جمعية نشر الفضائل أرادوا لجمعيتهم دوراً متميزاً وتخصصياً في مجال التعليم والدعوة، فوزعت أعضاؤها للخروج الدعوي في مختلف ضواحي تريم، كما كلفت بعض أعضائها بتعليم البدو الداخلين إلى تريم، وأبرز أعضائها: عطاس بن عبدالرحمن الكاف، ومحمد بن عبدالله بن هارون، وسالم سعيد بكير، وتوفيق فرج أمان، وغيرهم (قانون جمعية نشر الفضائل (خ)).

(١٤) المدخل إلى التاريخ الحضرمي ٧٣.

(١٥) طبعت جميع كتبه وأبحاثه في الأعمال الكاملة، تحت مسمى مجموعة كتب في تاريخ وأنساب حضرموت، عن دار تريم للدراسات والنشر سنة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ومراجعة ابنه صالح، ولعلي هنا أذكر ارتباطي وعلاقتي بمؤلفات المترجم أثناء دراستي الجامعية، ومطالعتي إياها من مكتبة شيعي علي بكير، ونسخها بخط يدي، أما مؤلفاته المخطوطة فقد أرشدني إلى وجودها شيعي بمكتبة الأحقاف للمخطوطات (أميئها)، وهي بخط صهر المترجم عبدالرحمن الخطيب، بتكليف من الشيخ نفسه، وقد عمدتُ بعد إنهاء دراستي الجامعية سنة ١٩٩٦م إلى نسخها وخطها، في وقت يعزُ فيه التصوير الورقي، ولا أزال احتفظ بها.

(١٦) تقلد وظيفة القضاء، ثم التحق بالتربية والتعليم. وعمل في أكثر من مجال من مجالاتها (الإداري والتربوي والتعليمي والتفتيشي)، له عدة مؤلفات، أشهرها: معالم تاريخ الجزيرة العربية، وصفحات من التاريخ الحضرمي، والفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي (نشرة [الفكر] العدد الأول ١٩٩٦م. تصدرها جمعية أصدقاء المؤرخ سعيد باوزير).

(١٧) نشر وطبع بتحقيقنا وتعليقنا عن مركز النور للدراسات والنشر سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، وهو من أوائل تحقيقاتي وإصداراتي.

تعليم البنات بتارية



(الجزء الثاني) ثانياً - تعليم البنات في المدارس الأهلية:

- ١- في المدرسة العيدروسية بتارية.
- ٢- في مدرسة النور والفلاح بتارية.
- ٣- في مدرسة سحيل محسن الأهلية بتارية.
- ٤- في مدرسة التعاون الأهلية بتارية.

أولاً: تعليم البنات في المدرسة العيدروسية:

((المدرسة العيدروسية بتارية واحدة من خمس مدارس أسستها الجمعية العيدروسية بإندونيسيا، وقد انتشرت في القرى الخمس التي يسكنها آل العيدروس، وتعد المدرسة العيدروسية بتارية -آنذاك- أول مؤسسة تعليمية حديثة ومنظمة وسط وادي تاربة المبارك، حيث يرتب الطلاب فيها داخل صفوف دراسية، وكانت تسمى (أقسامًا)، وترقى فيها الطالب إلى مستويات كانت تسمى (مراحل)، يتعلم فيها الطالب علم الفقه، والأصول، والعقيدة، والحديث، والسيرة، والنحو والصرف والخط، والمنطق))^(١).



عوض سالم غريبان



ثانياً: تعليم البنات في مدرسة النور والفلاح (مدرسة السيد حسن):

تأسست مدرسة النور والفلاح (مدرسة السيد حسن) عام ١٩٥٦م، ومديرها والمعلم بها هو السيد حسن بن سالم أبو فطيم، ويساعده أبنائه.

موقع هذه المدرسة التي كانت كُتَّاباً تحت بيت عبدالله بن بدر بن كليله العامري، ثم أراد لها معلمها أن تكون مدرسة فبنى مبنى لها في الناحية الشرقية لبئر المصلى. كان عدد الدارسات في هذه المدرسة حوالي الربع من مجموع عدد الدارسين.

والمنهج المقرر في أول الأمر كمنهج الكتاتيب: القرآن الكريم وعلوم الدين، والقراءة والكتابة، ومبادئ الحساب (الجمع/ الطرح/ الضرب/ القسمة)، ثم التزم المعلم بمنهج المدارس الحكومية، وبقي التدريس في العصر فقط بعد أن كان صباحاً وعصراً.

والدارسات عند المعلم السيد حسن كُنَّ يدرسن في اللوح الكبير واللوحة الصغير كالأولاد، ثم أخذن ما يقرر من مناهج المدرسة الحكومية، فلم يستمر ذلك طويلاً؛ إذ توقفت هذه المدرسة في عام ١٩٧٣م؛ لعجز معلمها عن التدريس في فترتين: الصباحية في المدرسة الابتدائية بتاربه، والعصر في مدرسته.

ثالثاً: تعليم البنات في المدرسة الأهلية بسحيل محسن:

تأسست مدرسة سحيل محسن الأهلية عام ١٩٥٨م، وكان مديرها عند التأسيس في بيت آل بدر بسحيل محسن هو المعلم السيد أبو بكر بن أحمد العيدروس، ثم تعاقب على إدارتها بعده الأستاذ أحمد عبدالله بلفقيه في العام الدراسي ١٩٦٠ / ١٩٦١م، والأستاذ عيدروس بن عمر الكاف في العام الدراسي ١٩٦١ / ١٩٦٢م.

التعليم في هذه المدرسة مختلط: بنين وبنات، وقد استطعت في العام الدراسي الأخير - الذي توقفت المدرسة بعده عندما

إن تأسيس هذه المدرسة بتاربه يعود إلى عام ١٣٤٧هـ، وقد مرت بثلاث مراحل، هي (٢):

مرحلة التأسيس: وتبدأ من سنة ١٣٤٧هـ، وتنتهي حوالي سنة ١٣٥٠هـ.

ومرحلة الازدهار: وتبدأ من سنة ١٣٥١هـ، وتنتهي حوالي ١٣٦٧هـ.

ومرحلة الضعف: وتبدأ من سنة ١٣٦٨هـ، وتنتهي حوالي سنة ١٣٧٠هـ.

في هذه المدرسة تأسس قسم للبنات في أوائل الستينيات من القرن الرابع عشر الهجري، عندما كان موقع المدرسة في دار الصفاة بالدرج (حالياً بيت المعلم عبدالله بن أحمد باجبر في الناحية الشرقية من مسجد الجامع بالبلاد)، وعدد الدارسات في هذه الفترة (٣٢) دارسة، انقطع منهن (٨) دارسات، واللاتي واصلن دراستهن (٢٤) دارسة.

لقد كان التعليم في هذه المدرسة على حساب الجمعية العيدروسية، ونتيجة لآثار الحرب العالمية الثانية، فقد توقف الدعم، فدفع الآباء عن أبنائهم وبناتهم رسوماً شهرية مقدارها (نصف روبية) لكل دارس أو دارسة، وعدد الدارسات اللاتي واصلن دراستهن على حساب آبائهن في المدرسة العيدروسية (١٣) دارسة من بداية شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٦٧هـ.

إن المنهج الذي يدرس هو منهج جمعية الأخوة والمعاونة بترميم، والرسوم الشهرية المقررة بنصف روبية كانت تعطى أجراً للمعلمي البنين والبنات، وهم:

- المعلم السيد محمد بن عمر العيدروس.
- المعلم السيد إبراهيم بن أحمد العيدروس.
- المعلم عبد بن سالم بن عمر شأووش.
- المعلم السيد أبو بكر بن أحمد العيدروس.

والمقررات التي تدرس في قسم البنات: القرآن الكريم، تهجّي الحروف والحركات، العبادات، السيرة... وقد توقفت المدرسة العيدروسية حوالي عام ١٣٧٠هـ.



وكان التمويل المالي لهذه المدرسة من دولة الكويت، ويدفع الدارسون (البنون والبنات) مبلغاً شهرياً رمزياً، مقداره شلن ونصف فقط.

والمنهج المقرر في هذه المدرسة هو منهج مدارس التعاون الموجودة في وادي حضرموت: مدرسة التعاون بسيئون، ومدرسة القرن بسيئون.

وعدد الدارسات في هذه المدرسة حوالي: (٣٠) دارسة. ولقد كان للجمعية التعاونية بتاربة الدور البارز في تأسيس هذه المدرسة، وقد رأسها المعلم الفقيه خميس بن بكير بن عبدون، وهو رئيس هيئة مدرسة التعاون الأهلية بتاربة، وعضوية المعلم عوض بن سالم شأوش، وعبدالله بن سعيد بن عيسى العامري. وكانت آخر هيئة إدارية لمدرسة التعاون الأهلية بتاربة مكونة من^(٣):

- ١- هادي بن كرامة بن كرتم العامري الرئيس.
- ٢- جمعان مبارك عبود الدقيل نائب الرئيس.
- ٣- كرامة حمدون بن عمرو بدارة أمين المال.
- ٤- عوض بن سالم بن عمر شأوش عضواً.
- ٥- عبدالله بن سعيد بن عيسى العامري عضواً.
- ٦- مطران عمر بن عطوفة العامري عضواً.

المدرسة الابتدائية/ مدرسة السيدة فاطمة الزهراء للتعليم الأساسي بتاربة ... أنموذجاً

- تأسست المدرسة الابتدائية للبنات بتاربة في العام الدراسي ١٩٧٠ / ١٩٧١م.

- وكانت المدرسة في عام التأسيس مكونة من غرفتين، تقع في بيت آل العيدروس الواقع شرق مقبرة البلاد، والمجاور لمدرسة السيدة فاطمة في يومنا هذا.

- موقع المدرسة أجر بأربعة دنانير شهرياً، وقد استغني عنه حسب الاتفاقية مع السيد مصطفى بن حسين العيدروس بتاريخ ٢٠ / ٦ / ١٩٧٢م.

فتحت المدرسة الحكومية بتاربة عام ١٩٦٢ / ١٩٦٣م - أن أعترف على عدد الدارسات من بين عدد الدارسين جميعها.

كان موقع المدرسة في العامين ١٩٦٠ / ١٩٦١ - ١٩٦١ / ١٩٦٢م هو المبنى الذي قامت بينائه جمعية أهالي سحيل محسن في كينيا، وهو حالياً بيت سعيد صالح فارس بعد أن تم بيعه له.

كان عدد الدارسين في العام ١٩٦١ / ١٩٦٢م على النحو الآتي:
- الصف الأول - الشعبة (أ) عدد الدارسين من البنين (١١)، وعدد الدارسات (٦).

- الصف الأول - الشعبة (ب) عدد الدارسين من البنين (١٩)، وعدد الدارسات (٩).

- الصف الثاني - عدد الدارسين (٢٣)، وعدد الدارسات (٣). وفي الصف الأول الشعبة (أ) جاءت إحدى الطالبات بالمركز الأول في نتائج الاختبار النهائي.

وكان المنهج الذي يدرس هو منهج المدارس الحكومية، والذين يقومون بالتعليم هم معلمون. وفي هذا العام يقوم بالتعليم:

١ - الأستاذ عيدروس بن عمر الكاف.

٢ - الأستاذ أبوبكر بن أحمد العيدروس.

إن القبول بالتدريس المختلط وبعدد الدارسين السابق ذكره يبين رغبة الأهالي في تعليم بناتهم من ناحية، ورغبة الدارسات أنفسهن في التعليم من ناحية أخرى، في زمن لم يكن هناك إلزام بتعليم البنات في بلادنا.

رابعاً: تعليم البنات في مدرسة التعاون الأهلية بتاربة:

تأسست مدرسة التعاون الأهلية بتاربة بعد تأسيس التعليم الحكومي، وذلك عام ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥م، وموقع هذه المدرسة بيت المعلم مدير المدرسة خميس بن بكير بن عبدون، الواقع جنوب مسجد النور بتاربة البلاد.

كان تعليم البنات في هذه المدرسة في صف خاص بهن، ويساعد المعلم خميس في تدريس البنات زوجته وابنته.



مدرسة السيدة فاطمة الزهراء للتعليم الأساسي بتاربة

كانت ظاهرة بدء التعليم الحكومي في بيوت الأهالي، أو بيوت أخرى غير المباني المدرسية في عدد من مناطق وادي حضرموت، ونموذجه في بلدي تاربة في سنوات التأسيس، كان في: المدرسة الابتدائية للبنين في بيت المواطن عمر علوان بالليل ١٩٦٢ / ١٩٦٣م،

وفي مدرسة البنات الابتدائية بتاربة في بيت آل العيدروس لعامين ١٩٧٠ / ١٩٧١ و ١٩٧١ / ١٩٧٢م، وفي مدرسة الوادي بتاربة في دار الصدقة التابع لمسجد جامع وادي ابن سلمان لأربعة أعوام دراسية ١٩٧٣ / ١٩٧٤ حتى ١٩٧٦ / ١٩٧٧م. وإني من خلال هذه الكتابة أتوجه بالشناء الجزيل لهؤلاء الأهالي، الذين فتحوا بيوتهم لهذه المدارس، ولسكن المعلمات، سواء كان ذلك بمبالغ رمزية، أو مجّاناً بصورة تعاونية، فيكون ذلك في ميزان حسناتهم إن شاء الله تعالى.

- عدد طالبات المدرسة في عام التأسيس: ٣٧ طالبة في صف واحد، هو الصف الأول الابتدائي، وقد وصل العدد عند التسجيل إلى (٤٥) طالبة.

- كانت مديرة المدرسة في عام التأسيس: الأستاذة سماعة سالم باجبير (من المكلا).

- والمدرسة هي الأستاذة صفية أحمد مبارك (من المكلا)، وقد تحملت الإدارة بعد المديرية السابقة في العام نفسه.

- مراسلة المدرسة في عام التأسيس: هي زينة كرامة تيسير^(٤).

- بدأ العام الدراسي متأخراً في هذه المدرسة، وليس مثل المدارس الأخرى وحسب التقويم المدرسي.

- السلم التعليمي في هذه الفترة وفق النظام الآتي: ست سنوات في التعليم الابتدائي، وثلاث في التعليم الإعدادي، وثلاث في التعليم الثانوي.

الإدارات التي تعاقبت على هذه المدرسة هي:

- في العام الدراسي ١٩٧٠ / ١٩٧١م كانت مديرة المدرسة الأستاذة سماعة سالم باجبير، من بدء الدراسة حتى تاريخ ١١ / ٢ / ١٣٩١ هـ الموافق ٧ / ٤ / ١٩٧١م^(٥).

- في العام الدراسي ١٩٧٠ / ١٩٧١م كانت مديرة المدرسة الأستاذة صفية أحمد مبارك (الفصل الثاني) من تاريخ ١١ / ٢ / ١٣٩١ هـ الموافق ٧ / ٤ / ١٩٧١م حتى نهاية العام الدراسي^(٦).

- في العام الدراسي ١٩٧١ / ١٩٧٢م كانت مديرة المدرسة الأستاذة صفية أحمد مبارك.

- في العام الدراسي ١٩٧٢ / ١٩٧٣م كانت الأستاذة صفية أحمد مبارك حتى فبراير ١٩٧٢م.

- في العام الدراسي ١٩٧٢ / ١٩٧٣م (الفصل الدراسي الثاني) كانت مديرة المدرسة الأستاذة شفاء عبد المولى الحسني حتى نهاية العام الدراسي^(٧).

- في العام الدراسي ١٩٧٣ / ١٩٧٤م كانت المديرية الأستاذة صفية أحمد مبارك.

- في العام الدراسي ١٩٧٣ / ١٩٧٤م (الفصل الدراسي الثاني) كانت المديرية الأستاذة نور مبارك باسمرة.

- في العام الدراسي ١٩٧٤ / ١٩٧٥م كانت مديرة المدرسة الأستاذة صفية أحمد مبارك حتى تاريخ ١٦ يناير ١٩٧٥م.

- في العام الدراسي ١٩٧٤ / ١٩٧٥م (الفصل الثاني) كانت مديرة المدرسة الأستاذة نور مبارك باسمرة بتكليف من التربية نيابة عن المديرية السابقة التي ذهبت في إجازة قانونية^(٨).

- في العام الدراسي ١٩٧٥ / ١٩٧٦م كانت مديرة المدرسة الأستاذة شفيقة أحمد شملول، (الفصل الأول)^(٩).

- في العام الدراسي ١٩٧٥ / ١٩٧٦م كان مدير المدرسة الأستاذ عبد الرحمن مصطفى العيدروس، (الفصل الدراسي الثاني)^(١٠).

- في العام الدراسي ١٩٧٦ / ١٩٧٧م كانت مديرة المدرسة الأستاذة زينب صالح بن جبير^(١١).



- وفي العام الدراسي ١٩٩٧ / ١٩٩٨ م حتى العام الدراسي ٢٠٠٠ / ٢٠٠١ م كان مدير المدرسة الأستاذ عبدالرحمن مصطفى العيدروس.

- وفي العام الدراسي ١٩٩٨ / ١٩٩٩ م تغير اسم المدرسة من مدرسة السيدة فاطمة إلى مدرسة السيدة فاطمة الزهراء للتعليم الأساسي بتارية.

- وفي العام الدراسي ٢٠٠١ / ٢٠٠٢ م حتى العام الدراسي ٢٠١٩ / ٢٠٢٠ م كان مدير المدرسة الأستاذ سالم أحمد سالم السكوتي.

- وفي العام الدراسي ٢٠٢٠ / ٢٠٢١ م كان مدير المدرسة الأستاذ خالد عوض مطيري حميد.

الهوامش:

(١) مجلة التنوير الصادرة عن رباط تارية (المدرسة العيدروسية)، العدد (الأول) - من مقال للأستاذ حسين إسماعيل محمد العيدروس صفحة (١٣).

(٢) المرجع السابق.

(٣) من محضر اجتماع لهيئة المدرسة محرر بتاريخ ١٩ / ٢ / ١٣٩٠ هـ الموافق ٢٥ / ٤ / ١٩٧٠ م بملف سير التعليم بالمدارس الأهلية بأرشفيف التربية بنادي المعلم بستيون.

(٤) عملت أئابها الله في عام التأسيس بمبلغ ضئيل مقدار ٥٠ شلناً كمساعدة من الخيرية، ثم توقف في العام الثاني لأشهر، ثم أعطي لها ٢٠ شلناً في الشهر، حتى تم توظيفها رسمياً، وأدخلت ضمن ميزانية الدولة.

(٥) رسالة رقم ١ / ٣ / ٧١ بتاريخ ٢٠ / ١١ / ١٣٩٠ هـ الموافق ١٧ / ١ / ١٩٧١ م.

(٦) رسالة رقم ٢ / ٣ / ٧١ بتسلم الإدارة من المديرية السابقة.

(٧) رسالة محررة بتاريخ ٧ / ٧ / ١٩٧٣ م بتسليم ما بعهدتها.

(٨) رسالة رقم ٣٨ / ٢٦ / ٢٠٠١ بتاريخ ١٦ يناير ١٩٧٥ م من مشرف التعليم بالمديرية الشمالية.

(٩) رسالة رقم ٢٠٥ / ٧ / ٢٠٠١ بتاريخ ٣٠ / ١٢ / ١٩٧٥ م.

(١٠) في فترة إدارته لمدرسة البنين الابتدائية إذ صار مدير للمدرستين.

(١١) كشف المدراء ومساعديهم والنواب السياسيين بالمديرية الشمالية الصادر بتاريخ ١ / ٣ / ١٩٧٧ م.

(١٢) للمزيد عن الإدارات والهيئات التعليمية في هذه الأعوام ارجع إلى كتابنا الهيئات التعليمية بالمدرسة الابتدائية بتارية الصادر في عام ١٤٣٩ هـ الموافق ٢٠١٨ م الصفحات من (٤٠) حتى (٧١).

أما الأعوام من ١٩٧٧ / ١٩٧٨ م حتى ١٩٩١ / ١٩٩٢ م فقد صارت المدرسة الابتدائية للبنات بتارية تتبع إدارياً وفنياً المدرسة الموحدة للبنين بتارية، والمديرون الذين تعاقبوا على إدارتها هم مديروا المدرسة الموحدة بتارية، وهم على النحو الآتي^(١٢):

- في العام الدراسي ١٩٧٧ / ١٩٧٨ م كان مديرها الأستاذ عمر عبدالرحمن علي السقاف، (الفصل الدراسي الأول).

- وفي العام الدراسي ١٩٧٧ / ١٩٧٨ م كان مديرها الأستاذ عبدالله سعيد عفيف، (الفصل الدراسي الثاني).

- وفي العام الدراسي ١٩٧٨ / ١٩٧٩ م كان مديرها الأستاذ عبدالرحمن مصطفى العيدروس.

- وفي العام الدراسي ١٩٧٩ / ١٩٨٠ م كان مديرها الأستاذ محمد عبدالرحمن شيخ السقاف، (الفصل الدراسي الأول)،

وفي (الفصل الدراسي الثاني) قام بعمل المدير النائب الإداري الأستاذ عمر عبيد بن سعد، وساعده الأستاذ أحمد إبراهيم العيدروس بتكليف من التربية.

- وفي العام الدراسي ١٩٨٠ / ١٩٨١ م كان المدير الأستاذ عبدالرحمن مصطفى العيدروس.

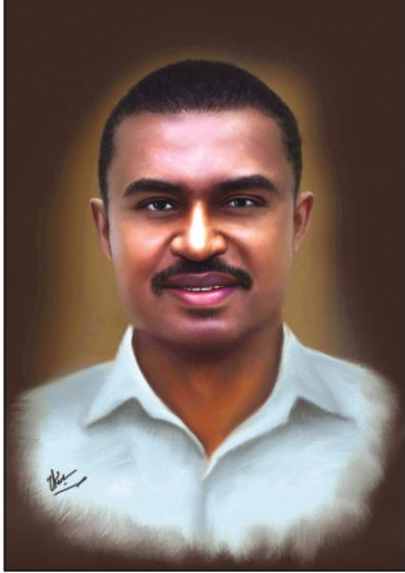
- وفي الأعوام من ١٩٨١ / ١٩٨٢ م حتى ١٩٨٩ / ١٩٩٠ م كان المدير الأستاذ أحمد حسين العيدروس.

- وفي العام ١٩٩٠ / ١٩٩١ م حتى ١٩٩٢ / ١٩٩٣ م كان المدير الأستاذ صالح عاشور بن سعد.

- وفي العام ١٩٩٢ / ١٩٩٣ م كان مدير المدرسة الأستاذ هاشم عامر العامري. وفي هذا العام استقلت مدرسة البنات عن البنين إدارياً وفنياً، وأطلق عليها اسم (المدرسة الموحدة للبنات بتارية)، وقد استمر الأستاذ هاشم في إدارة المدرسة حتى العام الدراسي ١٩٩٦ / ١٩٩٧ م.

- وفي العام الدراسي ١٩٩٤ / ١٩٩٥ م تغير اسم المدرسة إلى مدرسة السيدة فاطمة للتعليم الأساسي بتارية.

ثنائي الشاعر بن عمران والفنان محيور



مرشفات
من أغنية
شلك السيل



مقدمة:

تكتمل الأغنية الحضرية عند توافر ثلاثة ركائز أساسية فيها، هي: **الكلمة، واللحن، والأداء**، فتصبح الأغنية مهيأة للعرض على الجمهور بقالبها المميز الذي أبدع فيه الشاعر والملحن ويصر الفنان على أدائها بأكمل وجه؛ حتى تنال استحسان الجمهور، فتصير الأغنية ضمن قائمة الأغاني الحضرية المطلوبة التي يتمنى أن يسمعها متذوقو الفن الحضرية بأصوات عدد من الفنانين والمبدعين، وتتصدر الأغاني وتصبح حديث المثقفين والمهتمين بالجانب الفني.

الشعر موهبة ومشاعر وأحاسيس، يمتلكها الشاعر، فيصقل تلك الموهبة والمشاعر بكلمات، يقوم بصناعتها في قالب الذي في مخيلته حتى تصبح الأغنية موزونة بكل أبعادها، سواء كانت من حيث الوزن أو الكلمة أو تتبع مجريات القصة أو الحادثة أو الموضوع، فتارةً يتقمص شخصية ما، وتارة أخرى تنبثق تلك الكلمات والمشاعر من داخل قلب الشاعر نفسه.

كما أن للحن والموسيقى دوراً في منح القصيدة الرونق الجميل، فتكتمل الأغنية عندما يقوم الشاعر بانتقاء الكلمات، والاهتمام بالبيت، وبناء القصيدة كاملة، فيقوم الملحن بوضع اللحن لها فيزيدها جمالاً إلى جمالها؛ فتنتشر في أوسع نطاق، ويؤديها الفنان؛ إذ له دور كبير في نشر تلك الأغنية ليحببها للجمهور.

الشاعر ابن عمران استطاع أن يصقل الكلمة في البيت والقصيدة، والفنان محيور له دور كبير من خلال إبداعه في لحنها ونشرها؛ فقد شكّل الاثنان (الشاعر والفنان) ثنائياً رائعاً من خلال عدد من الأغاني، ومنها أغنية (شلك السيل).



أحمد كرامة صالح باحمالة



97

العدد (32)

إبريل
يونيو
2024م

الأغنية الحضرية بعد أن أجاد كتابة الأغنية؛ إذ كان مبدعاً في رسم القصيدة وإخراجها في قوالب جميلة، إلى أن تصل للمستمع^(١)، ويذكر الشاعر من خلال لقاء معه في صحيفة عدن الغد علاقته بفن الشعر الملحن قائلًا: كانت انطلاقتي الأولى مع الفنان سالم محيور، ولا زلت على تواصل مستمر معه، وأغلب ألحان كلماتي ملحنها الأستاذ سالم محيور، كما تعاملت مع كثير من الفنانين والملحنين، منهم الفنان الأستاذ حسن صالح باحشوان، والفنان عمر الهدار، والفنان الملحن أنور الحوثري، والفنان محمد العفاري، والفنان عارف فرج، والفنان عمر هادي، وحسين بامصري^(٢).

٢- الفنان سالم مبارك محيور:



الفنان سالم مبارك محيور من مواليد مدينة عینات شرقيّ مدينة تريم، ولد عام ١٩٦٥م، وهو أبٌ لسبعة: أربع بنات وثلاثة أولاد، تلقى تعليمه بعینات، حيث التحق بالمدرسة في عام ١٩٧٥م حتى حصل على شهادة الثانوية، أحب الفن وعشقه منذ الصغر، فقد تعلم العزف على العود بمفرده ثم بمساعدة بعض الأشخاص الذين لديهم معرفة بالعود والعزف عليه، إضافة إلى أنه كان إيقاعياً وفناناً في رقصة

١- الشاعر كرامة محمد بن عمران:



الشاعر كرامة محمد كرامه بن عمران (أبو طلال) من مواليد مدينة عینات، شرقيّ تريم، ولد سنة ١٩٦٦م، وفيها نشأ وترعرع وعاش منذ نعومة أظفاره، وهو أب لسبعة: أربعة ذكور وثلاث بنات، درس بمدرسة الأخوة الموحدة في ثمانينيات القرن الماضي، وفي المدارس الأهلية، وفي رباط تريم، ومعلماتها، ومنها معلمة السيد المرحوم علوي البار والسيد أبي بكر الشاطري، عاش في كنف والده ورعايته، ثم اشتغل بالتجارة مع والده. ارتبط ابن عمران بمدينة تريم ارتباطاً وثيقاً حتى انتقل إليها وعاش فيها، له علاقة وثيقة بالشعراء والفنانين، فمن الشعراء أمثال الشاعر محفوظ باحشوان، وعبد القادر الكاف، وعلي سالم مسيعد، وسالم عبيد باحشوان، وأحمد فرج فقيهان، وسالم عبدن، وغيرهم كثير من شعراء وادي حضر موت وساحلها، له ديوان غير مطبوع بعنوان (زهور الرناد)، يضم أكثر من خمسين قصيدة، بين المغنّى والملحن وغير المغنّى، فهو شاعر يجيد الأغنية الحضرية والدان الحضرمي، إضافة إلى شعر المدارة؛ حيث شارك في عدد من المطالع الشعبية، وهو عضو فرقة الحسير للدان، ثم التحق بفرقة الغناء للدان الحضرمي، وعضو اتحاد الأدباء، شاع سيطه في سماء

العربي، وكلاهما من مواليد مدينة عينات، وبما أن رابط الجوار والتقارب يؤثران دائماً في العلاقات وبناء المواهب، ويصقلان في ما بعد المواهب، وكذلك مراحل الطفولة بين ابن عمران ومحبور كوَّنت لنا إبداعاً في الكلمة واللحن (٣).

٣- بن عمران ومحبور والثنائي الرائع:

بن عمران ومحبور ثنائي رائع منذ الصغر، فقد ارتبط الشاعر والفنان بمرحلة الطفولة والمدرسة والمنطقة، تلك الصلة والقربة بين هؤلاء المبدعين كونت ثنائياً رائعاً في كثير من الأغاني بينهما، كان ذلك الثنائي قد رسم لوحة جميلة، ارتبطت ارتباط الغصن بالورقة، فتدلّت منها زهور

الزربادي، كانت أولى مشاركاتهما في العيد المدرسي بعينات، في المرحلة الأساسية، كما كانت أولى أغنية التي غناها على المسرح للشاعر عبدالقادر الكاف أغنية (حد شاف محبوبي)، وأول عود أهدي له كان في عام ١٩٧٩م. شارك في خارج منطقته، وكانت أولى مشاركاتهما في تريم على مسرح الثانوية ١٩٨١م بأغنية (علب المجف) للشاعر سالم عبید باحشوان وألحان سالم حسان، ثم اشتهر بعد ذلك في تريم، فأحيا أول حفلة زواج في عام ١٩٨٢م، انضم لفرقة الغناء الموسيقية، وتعلم كثيراً عن الموسيقى مع كوكبة من الفنانين وكبار عازفي المدينة، وشارك داخلياً مع فرق كثيرة بترميم، ثم انضم إلى



الفنان سالم محبور من أحد الزوجات



الشاعر كرامة بن عمران

تغنى عليها العصافير، فظهر ذلك اللحن الشجي من عصافير رفرفت على أغصان البساتين.

لم نستطع سرد كل الأغاني بين الشاعر والفنان، فهناك أغاني كثيرة مجموعة بديوان (عصافير الرناد)، وهو تحت الطبع، يحمل في طياته كل أغاني الشاعر بن عمران، منها ما جمعه هذا الثنائي، وأخرى تغنى بها فنانون آخرون.

لعل من أشهر تلك الأغاني التي تغنى بها الفنان الرائع محبور، من كلمات الشاعر بن عمران (تري مانت على العادة وشاف جم في نفسه وشلك السيل شلك).

فرقة سيئون للموسيقى، ومن خلالها شارك في عدد من محافظات الوطن، كما شارك مع عدد من فنانين الوادي خارج الوطن، كمشاركته بالأردن على هامش مهرجان جرش، وشارك مرتين في بريطانيا بمعية فرقة سيئون، وبعض الدول العربية، مثل الإمارات والكويت.

تربط الفنان محبور بالشاعر بن عمران رابطة مجتمع ومنطقة، فقد ارتبطا معاً بالفن ارتباطاً وثيقاً، ظهر جلياً أمام أعين الناس من خلال أعمالهما الفنية التي جمعتهم معاً. فشاعت شهرتهما في حضر موت واليمن ودول الخليج



الشاعر بن عمران والفنان محيور

أغنية (ترى مانت على العادة) يعاتب بن عمران فيها معشوقه
بقوله:

ترى مانت على العادة
ولا هو هكذا نعتاد
لقانا حب وسعادة
وتشهد بالوفاء اسعاد
ولا اتصور يجيني يوم
تقابلني نكد وهموم
والقى الخل واقف لي بمرصاده
ترى ما انت على العادة
* * *

لما يازين يا نور العين
تواعدني وتهجري وتخلف لي في وعدك
وحبك فين ولطفك وين
وعارف انني حبك ولا أقدر على بعدك
ولا اتصور يجيني يوم تقابلني نكد وهموم
والقى الخل واقف لي بمرصاده
ترى مانت على العادة
مضت أيام نغم واللحان
* * *

عشناها انا وانت حبيبي في ربي حبك
مع الاحلام بحب وحنان
ونتمنى حبيبي حبا يكبر وانا قربك
ولا اتصور يجيني يوم
تقابلني نكد وهموم
والقى الخل واقف لي بمرصاده
ترى مانت على العادة
* * *

أنا مذبوح الى من بوح
تحير عقلي الزاكي لأنه طال جم صدك
وانته الروح دواء المجروح
وحبك في شراييني وقلبي دقة باسمك
ولا اتصور يجيني يوم تقابلني نكد وهموم
والقى الخل واقف لي بمرصاده
ترى مانت على العادة
* * *

سَطَّرتُ كلمات هذه الأغنية شهرة واسعة لابن عمران
ولاقت شعبية واسعة، فكلماتها المرفهة جعلتها رائعة من
روائع هذا الثنائي: بن عمران ومحيور، ثم تغنى الكثير من
الفنانين من بعده لتنال شهرتها حتى صارت هذه الأغنية
(ترى مانت على العادة) أشهر من صاحبها بن عمران.
كما اشتهرت أيضاً كثير من الأغاني، التي كانت من ثنائيات
أبناء عينات العريقة، وكأنهم ينحتون في الصخر لبزوغ إبداع
جديد، يتحدث عنه المثقفون والمبدعون من بعدهم.



أثناء جلسة طربية، يحمل العود ويغني
الفنان سالم محيور وبجانبه الشاعر كرامه بن عمران

بإيجي له يوم قلبه يصطلي فيه بايندم ويفقد كل شي

من رفع راسه الزمن لازم يذله

شاف جم في نفسه

* * *

٤- أغنية (شلك السيل):

تعد أغنية (شلك السيل) من الأغاني الحضرية الجديدة، التي شاع سيطها، وانتشرت في أوسع نطاق؛ فقد غناها غالب الفنانين، وأحبها الجمهور، وهذا يعود إلى كلماتها الجميلة وسهولتها وعذوبتها وسلاستها، إضافة إلى اللحن الرائع والمميز الذي منحها خاصية القبول لتنتشر بسرعة، فعندما تجتمع الكلمة مع اللحن في قالب فريد يسهم ذلك في ذبوع الأغاني وانتشارها، فتصبح محل إعجاب وإبهار الجميع.

٤-١- قصيدة (شلك السيل):

لم يترك الشاعر معشوقه، حتى أطلق رائحته التي أخذت طابع العتاب للمعشوق، وقد يكون بن عمران قد تقمص شخصية المحب، ولكنه استطاع أن يحوك تلك الكلمات في القالب المطلوب، واستطاع أن ينبش لنا الكلمات من التراث الشعبي والامثال الشعبية، حتى تتحول إلى أغنية يرددها أهل الفن والذوق على كل لسان. هذه القصيدة نالت من الشهرة ما لم تنله الكثير من الأغاني، وهي حديثنا في هذا الموضوع.

لم يكتف بن عمران ومحبور، فمن حين لآخر يخط شاعرنا كلماته ويضع لمساته الرائعة في قصيدة جديدة، وكانت أغنية (شاف جم في نفسه) من الأغاني التي كان صداها واضحا، وترددت على السنة الكثير؛ إذ رسخ بن عمران الكثير من الكلمات، ووظفها في العتاب مرة أخرى، فهو يخاطب معشوقه بنبرة العتاب، وهذه الأغنية قد لحنها مع بن عمران الفنان محبور وقام بأدائها واستطاع أن يؤديها بكل إحساس ورقة وعزف مطلوب، وكانت كلمات هذه الأغنية تأتي متسلسلة منساقة.

شافنا حبه ومتلاطف معه شاف جم في نفسه

شافنا لا قد تكلم اسمعه شاف جم في نفسه

عاده الازاد وطاول على حاسب اننا لي عرفته لولي

واختبرت الحب في شمه وظله

شاف جم في نفسه

* * *

له مهدت الأرض نورت الطريق

وانتشلته بعد ما كانه غريق

يا اسف ما كان في وعده وفي عكر المعيان والنهر الصفي

ناكر المعروف ما يجملك أصله

شاف جم في نفسه

* * *

ليش له بالكبر هذا والغرور

عاده الا في البداية بايدور

الحيل والكذب ما تمشي معي بان لي غدره واصبح لي جلي

وانكشف امره لنا من قبل حله

شاف جم في نفسه

* * *

سر على مهلك قلوله ياعنيد

لا يظن انه في الدنيا سعيد



الاثنين في الوسط الشاعر كرامه بن عمران والفنان عمر هادي بريك

(شلك السيل) وهي كلمة من التراث، وتطلق على الشخص الذي فاتته شيء ما. بدأ بها الشاعر يخاطب معشوقه بقوله: (انتهى كل شيء)، والسبب هو قطع خلك ورفيقك وصديق عمرك حيث أصبحت (وسط عين المسيلة) وهو المكان الذي ينفي فيه الانسان المنبوذ والمكروه، وعين

المسيلة كلمه شعبية أو مثل شعبي يقال

عند ما يكون الآخر يريد بخصمه في مكان بعيد، والمسيلة مكان اجتماع مياه السيول. ثم يتحول شاعرنا إلى وصف حبيبه بقوله: (يا حبيبي وروحي والمنى والأمانى)، واعتبر حبيبه ومعشوقه قد نقض العهد، فهو ليس بالمتحكم في مشاعره، وأن هناك من دلوه^(٤) على الشور ليضعوه في عين المسيلة، الشاعر يتألم بعدها ألم الأيام والليالي التي أمضاها مع معشوقه وحبيبه؛ إذ أحس بأنه باعه وباع حبه في ثوانٍ، وأن الحب لديه كان مجرد مصلحة فقط لا غير فإذا حصل عليها سرعان ما يترك حبيبه لانقضائها، من أجل أن يُعرف الشاعر معشوقه أنه خاطئ، وأن كل ما يقوم به من أفعال تعد أفعالاً ساذجة وسخيفة، وقد يكون هناك من يغريه بها، بعدها حوّل الشاعر لهجته ليتحول الخطاب إلى خطاب قوي ورسالة واضحة وجهها إلى المحبوب، وقد يكون هذا البيت هو ملخص القصيدة ولُبُّ الكلام الذي قاله حين قال: (عافك القلب ملك)، عافك ويقصد به في المصطلح الحضرمي الترك والبعد عن الشيء، أي: ملك، وقد تأتي بمعنى: ملك من الملالة والسامة، ويقصد بها عدم الرغبة أو البعد عنه، أي إن (عافك وملك) من المترادفات، فهما متقاربتا المعنى والدلالة وتدلان على قوة قول الشاعر إن المحبوب انتهى ولا مكانة له في قلبه، فهو لا يستطيع أن يخاطبه ولا حتى العيش معه. ويختتم الشاعر هذه الأغنية بمخاطبة المعشوق

أو المحبوب، سواء كان المحبوب حقيقياً أو متقمصاً شخصية ما له، فختامها الذكريات الجميلة، التي كانوا عاشوها معاً، فكل علاقة لابد أن تنتهي، فتبقى الذكريات تسود الأيام والليالي، فشاعرنا ختمها بالذكريات الجميلة مع الحسرة والندم، حتى وإن كان قد أنهى تلك العلاقة قبل، والقصيدة من روائع الشاعر بن عمران وإيداعه، وألحان الفنان محيور.

قصيدة شلك السيل

شلك السيل شلك بعد ما قطعت خلك
وانته ما هو محللك وسط عين المسيلة
ضاع اصلك وفصلك شلك السيل شلك
* * *

ياحبيبي وروحي والمنى والأمانى
انت بهجة فوادي لك محل في كياني
اش خلاك تغتر تنقض العهد الثاني
من عال الشور ذلك شلك السيل شلك
* * *

من يصدق بانك بعتنافي ثواني
وانت حبك مجرد مصلحة يا اناني
حسبك الله حسبك صرت تقصد هواني
خل زمانك يذلك شلك السيل شلك
* * *



من اليمين الفنان سالم محيور، والشاعر كرامه بن عمران،
ثم عبدالله بن حميدان مدير الثقافة تريم

انت سييت نفسك للحسد والشواني
انت خليت اسمك بين قاصي وداني
ما سمعت النصيحة قلت دعني وشأني
عافك القلب ملك شلك السيل شلك

* * *

تذكر أيام حبك والصفاء والتداني
والليالي الجميلة والطرب والمغاني
كل هذارميتيه صرت عالجب جاني
اه ياخس مسلك شلك السيل شلك

* * *

٢-٤- اللحن في أغنية شلك السيل:

الألحان جمع لحن، بمعنى ترجيع الصوت في أثناء الغناء، وذكر اللحن في الموسيقى غالباً بمعنى عام هو النغمة والغناء الجميل والموزون، وقد ذكر اللحن في الرسائل الموسيقية في القرون الإسلامية الوسطى بمعنى عام بمعنى الغناء أو النغمة في الغالب، ويرى الفارابي أن اللحن جماعة نغم مختلفة، ذات ترتيب معين، أو جماعة نغم ألفت تأليفاً محدوداً، وقُرنَت بها الحروف التي تركب منها الألفاظ الدالة المنظومة على مجرى العادة في الدلالة^(٥)، واللحن سلسلة من الأصوات المتناغمة والمدمجة بشكل إيقاعي، ويختلف اللحن عن مجموعة بسيطة من النغمات في اكتمال البيان الموسيقي وكمال المنعطف اللحني، أمّا من الناحية الهيكلية فيتكون اللحن من عدة عناصر، هي: طبقة الصوت، وهو (مزيج من مجموعة معينة من الأصوات في أغلب الأحيان)، والنطاق وهو (المسافة بين النغمات الأدنى والأعلى)، وكفاف وهو (شكل سلسلة من العناصر اللحنية العبارات، الأقواس)، والفواصل الزمنية و(تقاس بنصف النغمات

المسافة إلى النغمة الأولى في مفتاح معين منشط)^(٦). واللحن موهبة مثل المواهب الأخرى، واللحن في مفهومه الشعبي مجموعة أنغام ذات اهتزاز صوتي تصاعدي أو تنازلي، يبدعه المغني الشعبي، أو مُمتهن أي مهنة من أي مقام حسب حالته النفسية، ثم يبني عليه بعض الكلمات حسب نوعية المهنة والحالة الشعورية، وقد تطور اللحن حتى صار نغماً متواتراً، يضعه كل ملحن موهوب لكلمات شعرية، يترجم به معاني الكلام؛ ليقبل التطوير الموسيقي حسب متطلبات العرض^(٧).

واللحن في أغنية (شلك السيل) من مقام الرست، وقد استخدم الملحن أسلوب الكوبليهات؛ إذ يتكون اللحن من كوبليهين؛ حيث جعل اللحن في المقطع الأول من القصيدة مستقلاً عن اللحن في بقية المقاطع الأخرى؛ وذلك تماشياً وتناغماً مع بناء القصيدة، إذ إن الشاعر قد جعل البيت أو المقطع الأول من القصيدة منفرداً من حيث عدد فصوله، وكذلك من حيث حرف الروي، وقد صاغ الملحن للقصيدة لحنًا متناسباً مع مضمونها؛ إذ جاء اللحن مُترجماً لتعبير الكلمات، فتجد في اللحن تعبيراً عن التأنيب والعتاب تارة، وتارة أخرى عن الندم والخذلان، وذلك ما تحكيه أبيات القصيدة^(٨).



الشاعر بن عمران والفنان محيور

وسردنا الثنائي الرائع بين الشاعر بن عمران والفنان محيور من خلال عدد من الأغاني، إضافة إلى سرد لأغنية (شلك السيل)، وبيان موجز لأبياتها الشعرية، واللحن في الأغنية. وهو قليل من كثير.

* رئيس مؤسسة الرناد للتنمية الثقافية، باحث بمركز الرناد للتراث والآثار والعمارة.

الهوامش:

(١) مقابلة شخصية مع الشاعر كرامه محمد بن عمران.

(٢) حوار في صحيفة عدن الغد أجراه حسن علوي الكاف

في ١٩ / نوفمبر / ٢٠٢٠م.

(٣) مقابلة شخصية مع الفنان والملحن سالم مبارك محيور.

(٤) دلوه، أي: وصفوه ويقصد بدلوه، أي رسمواله المسار.

(٥) اسعدي، تومسان، الألحان، مركز دائرة المعارف

الإسلامية الكبرى مقال نشر سنة ٢٠١٩م.

(٦) مقال بعنوان أنواع اللحن في مدونة (Amped

studio) عام ٢٠٢١م.

(٧) مقابلة شخصية مع الإعلامي والملحن أنور سعيد

الحوثر، من مواليد حضر موت عام ١٩٦٢م.

(٨) مقابلة شخصية مع الشاعر والملحن والمطرب

شادي محمد بن جابر بن همام، من مواليد غيل باوزير

عام ١٩٩٢م، مدير مكتب الثقافة بغيل باوزير.

الخاتمة:

الشعر والشعراء عنصران يأتیان في قائمة الإبداع والمبدعين منذُ العصر الجاهلي، واستمر ذلك حتى العصور الإسلامية، ثم إلى زمننا هذا. وبن عمران أحد هؤلاء الشعراء المميزين، ولعل أظهر الأدلة على ذلك ما سردناه في هذه الأغنية، التي لاقت استحسان جمهوره وتشكيله الثنائي الرائع مع محيور، جعلهما في صدارة الشعراء والفنانين، وهو صورة من فنية هذا الثنائي،

التي تحتاج إلى المزيد من التحليل والكتابة، سواء كان في الكلمة أو اللحن أو الأداء أو صياغة القصيدة أو حكاية الأغنية. والقصيدة (شلك السيل) جميلة وسلسة وبسيطة وسهلة من خلال كلماتها ومطلعها، الذي هو من التراث الحضرمي والأمثال الشعبية، كما أن وجود كلمات داخل القصيدة تحمل معاني ودلالات قد جعلها من أفضل الأغاني المنتشرة، إضافة إلى تركيب اللحن الذي أضاف للأغنية جمالاً وتميزاً. وقد تحدثنا عن الشاعر بن عمران وسيرته ونماذج من قصائده، إضافة إلى سيرة الفنان محيور الفنية،



من اليمين الشاعر كرامه بن عمران، والفنان سالم محيور،

ثم الشاعر أحمد فرج فقيهان



أوراق مكلّوية

المتحف الحي



عوض سالم ربيع

ابن جसार: لكل شخص الحرية في الإهداء... من هنا ظلّ البحر أحد المتلازمات في حياة الجعدي، طفلاً حين حدثته أمّه ذات نهار أنها كانت تسمع صوت المؤذن العتيق محمد بن أحمد التميمي، مؤذن مسجد مشهور بالمكلا، مما يدلّ على أن الأخير قضى غالب أقطار حياته ستين عاماً مؤذناً في هذا المسجد الذي تزامنت مئويته مع عام ٢٠٠٩م ممّا يؤهّله لأن تضعه اليونسكو ضمن قائمة اهتماماتها... وبالعودة إلى التميمي - رحمه الله - الذي تجاوز المئة وزاد عشرًا، فإنّه مؤذن عتيق، صعد منارة مسجد مشهور ٤٥ رقدة (درجة) صعوداً وهبوطاً طيلة ٣٠ عاماً بدون كهرباء، ومثلها مؤذناً بالكهرباء فتلك ٦٠ سنة كاملة، مما يؤهّله لأن يضعه جينس في قائمة أرقامه القياسية، والرجل المؤذن كان قد قدم من دمّون تريم بوادي حضرموت، وعمل أجيراً في البناء أيام السلطنة القعيطية... لكن ثمة من يوازي الشيخ التميمي في العتاقة التاريخية كخير (بتشديد الياء) رائد الإعلام الاجتماعي في وسط المكلا في السبعينيات إذا جاز لنا التعبير، والأخير ممّن قدموا من وادي حضرموت زمن المجاعة في أربعينيات القرن الفارط... والرجل ذو صوت جهوري، وتلك صفة لأي مناد... يا ضام ضام الشاه... منادياً سكان الحي في الأفراح والأحزان،

التاريخ ليس سجلاً للعظماء، بل للبسطاء ولأولئك الذين لا يملكون إلا جهدهم.... والتاريخ ذو شعب ثلاث: اللهث خلف المصادر... السماع والمشافهة... العيش وسط الحدث. وفي النهاية هو استقصاء أو صحافة استقصائية...

والبروفسور عبدالله سعيد الجعدي رجل من غمار الناس قبل أن يكون عضواً في اتحاد المؤرخين العرب أو أستاذاً جامعياً... كغيره عاش وسط مدينة المكلا... أنصت إلى زخات بحرها وعبق رائحة صياديتها... وثغاء أغنامها... ووقوة دجاجها... وللبحر مكان ومكانة في سويداء الجعدي؛ فهو مُغرّم صباغة به، لهذا أهدى للبحر كتاباً هو (أوراق مكلّوية) ممّا حدا بالدكتور سعيد الجريري الذي دبّج مقدمة الكتاب أن يتساءل: لم لم تُهد كتابك لأحد من بني البشر؟ فأجاب



أ. د. عبدالله سعيد بن جاسر الجعدي



غلاف كتاب أوراق مكلّوّة (الطبعة الثانية)

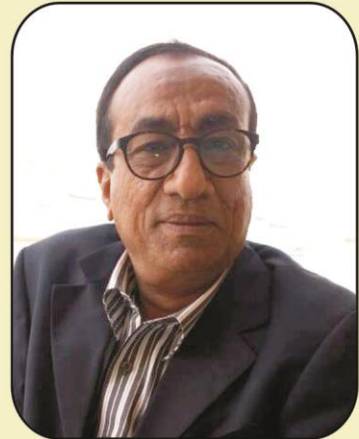
إذ لم تك ثمة إذاعة موجودة. كذلك العم محمد (بضم الميمين) الذي شاهده الفتى عبدالله الجعدي حاملاً بالونات... كان الأطفال ذوي أمانة، فالرجل ضرير، وهم يناولونه العانة والعانتين من غير أن يخسوا من ثمنه شيئاً... تلك كانت أقاصيص المكلا الممتدة من جابية حطينة إلى مطراق صل ع النبي إلى حصاة ٢٠، تفاصيل صغيرة التقطها بحذاقة شيخنا الدكتور ابن

المكلاوية لكان للشرح والديس النصيب الأوفر... إن (أوراق مكلّوّة) فيها من البساطة التاريخية ما يستهوي الجامعي، وربّة البيت، وبائع الخضار، أن يُمسكوا بدفّسي الكتاب لقراءة تلك الوجوه المكلاوية التي مرّت بسفح الجبل... من بصعر منادياً عن وصول البواخر إلى خير (بتشديد الياء) إلى العم محمد بضم الميمين بائع البالونات... وأولئك النسوة اللاتي يعلفن أغنامهن بجوار جابية (بركة ماء) حطينة التي لا تزال الذاكرة الجمعية يشدّها الحنين إليها؛ فهذه الجابية عاصرت سلطنة ودولة... لقد وقر في ذهني أن ابن جاسر يكتب تاريخاً عن رجال الصف الثاني كما في كتابه عن بن مخارش نائب السلطان القعطي في الديس الشرقية، وليصحح لي المعلومة شيخي البروفسور الجعدي إن أنا مسني الخطأ... ولكن لماذا رجال الصف الثاني دون الأول... في اعتقادي أن أرباب الصف الثاني هم الملهّمون لرجال الصف الأول، فالفكرة الذكية تأتي بعد تنفيذ الفكرة الغبية بشوان... الجعدي لم يكتب عن عليّة القوم من صنّاع القرار، وهم أحق بالكتابة طبعاً؛ فلهم مالهم، وعليهم ما عليهم ولكل امرئ ما نوى... لكنه كان وفيّاً للخير، وللمؤذن التميمي، وحتى العجماوات... حمار بلصق.

جسار ضمن أوراقه المكلاوية، حين كان الأدب والحشمة يحتمان على المرء أن يفسح الطريق لامرأة مارة في المطراق (الطريق) الضيق (بتشديد الياء) في ضياء النهار، فضلاً عن الغدرة (الظلمة)؛ لأن النسيج الاجتماعي الراقي والمهذب قائم في كل المدن الحضرمية ولم يكن في المكلا فحسب... فالعلاقات بين السكان بين بيوتها المتقاربة حد التلاصق، تجعل امرأتين تتصافحان من نافذتين متقابلتين، يفصلهما المطراق الضيق، وحمار بلصق... هذه الجزئيات الصغيرة جمعها أشتاتاً ابن جاسر في أوراق مكلاوية بهيجة من صحف ومجلات مختلفة، كان قد كتبها في سنين مختلفة من حياته المديدة إن شاء الله، وكان قد هاتفه ذات عام الدكتور محمد عبد الكريم عكاشة بأنه يروم هو الآخر أن يبهج نفسه بالكتابة عن مدينة البحر المكلا حين كان عكاشة ساكناً ومُتيمّاً بها ذات عام... ولكن لماذا هذه الحالة من الانحياز حين كتب الجعدي عن المكلا دون الديس والشرح، فقد قال لي ضمن حوار إذاعي أجرته معه لإذاعة المكلا في ٢٠١٢م: إن ثمة فاصلاً مائياً بين ضفتي العيقة بين المكلا والشرح، كان ثمة تنازع طفولي بين الضفتين، تنازع فيه البراءة والعفوية، لكن عادلي فقال: إنه لو تسنى له كتابة جزء ثان من أوراقه

كلمات مضطربة

انهمارات حضرية



سالم العبد الحمومي

كانت الريح قد بدأت تعول وتئن منذ عصر الأمس، وفي ساعات الليل الأولى تحولت إلى زمهرير بارد.. أما الآن وقد تجاوزت الساعة الرابعة فجراً وتجاوزت الزمن المخصص ليوم الأحد، فإن الرياح الباردة قد تجاوزت هي الأخرى مرحلة العويل والأنين، وراحت تصهل غاضبة مزمجرة، تريد أن تقتلع وتدمر وتترك الأرض ياباً وخراباً..

إن هذه الصورة القاتمة لترسم في ذهن بضراوة شديدة وتوغل في النفس الكئيبة المتوحدة حد استقصاء قعر الغور السحيق!! هذا التكوين ذو الملمح المأساوي البالغ لهذه الصورة الحالكة.. التكوين النفسي.. الريح.. الخراب.. اليباب.... أي مأزق فظيع؟!

إنه ليتجلى بكل دماطل وتقرحات منعرجاته الكثيرة الآن!! أي وصفة علاجية رهيبة أجبرت نفسي على الامتثال الجبري لها؟! أن أفجر فيها كل جموع مشاعر الكره، حتى لا أدع لها ذرة واحدة من الحب تنسم عبيرها، أن أجعلها تنفس عفونة من الكره والحقد والتشفي.. هل هو الغرور؟ البحث عن دروب لم يطررها أحد قبلي لتسجيل تجربة الـ.. وهل أستطيع ذلك؟ ما زلت أتعاطى الوصفة النارية، وما زلت أجعل دوافعي الحقيقية؟ هل أتفوق على نفسي؟!

ما زال في الوقت متسعاً، ليس بالانبهار بالتجربة ولكن بالغوص فيها، والاستمتاع المؤلم بها وبكل ما قد تفرزه من نتائج. لا أريد لها أن تحس بغير ما أريد لها أن تحس به، أن أمررها في وحل مشاعر الكره لأدعها تتجاوز محتتها، وهذه ربما تكون بداية الطريق، لأنني حينئذ ربما أزداد إكباراً لها!! مهما كلفها لك التحول ومهما كلفني، لأنه السبيل الوحيد لابتعاثها خلوداً مصفى.. صوفي الملامح والجوهر! شيء لا أجد مسمى حقيقياً له بعد، ولكنه لا محالة سيكون أسمى من الإنسان المرتهن للتفسح والانحلال والتلاشي.

إطالة على فعاليات الموروث الثقافي الشعبي المصاحبة لندوة شبام في عهد ازدهارها التجاري



كانت أوراق الجلسة الأولى قد تحدثت عن البعد التجاري للمدينة، وعن القفان: تعريفه وتاريخه، وعن الاختلالات الأمنية وأثرها في مكانة شبام، وعن صناعة الخوص والحفاظ على استدامتها.

وتحدثت الأوراق في الجلسة الثانية عن التجارة في الموروث الشعبي والرسائل الإخوانية -الحبيب أبوبكر بن سميط أنموذجاً، وعن مهجر شبام، وعن العملة والتجارة في المدينة.

وتحدثت أوراق الجلسة الثالثة عن السلع والبضائع، وتخطيط المنشآت المعمارية وتوظيفها، ونواخذة الحامي وتجارها وعلاقتهم بتجار شبام، وعن البيوت التجارية في شبام ودورها في ازدهار التجاري.

لكن أطفال رياض الأطفال ومن ورائهم الإخراج والتصميم والألحان كانوا صورة مبهرة، خطفت الأبصار؛ إذ جاء كل مقطع من ألوان التراث بدقائق متعددة، لم تزد عن الخمس، مما أكسب المشهد حيوية ومتعة، وأبعده عن السآمة والرتابة.



أحمد زين باحميد

اشترأت الأعناق نحو منصة انتصبت في واحدة من أكبر ساحات شبام التاريخ والحضارة والإنسان.. وازدحم المكان بالحضور شبيهاً وشباباً وأطفالاً.. أكاديميين وباحثين ومثقفين.. رجال أعمال وطلاباً وبسطاء، جاء بهم الحنين والشوق لرؤية شبام العالية بعيون فاحصة في مجاهل التاريخ.. وإضبارات المراجع والوثائق.. للغوص في عهد ازدهار شبام التجاري.

ثلاث جلسات علمية، واثننا عشرة ورقة بحثية، قُدمت في مدار يوم الأحد ٢٥ فبراير ٢٠٢٤م.



أنا الشبامي أسكن في برج عالي

عصر التجارة هو عصر ازدهاري

فن العمارة والحضارة صفاتي

والتعاون والوفاء من سماتي

والسلام هو من اسمي طباعي

والتجارة والنشاط الزراعي

أما أنا فقد عادت ذكرياتي إلى سبعينيات القرن العشرين،
يوم كان أستاذي وأخي الأكبر الشيخ سالم بن زين باحميد
مساعداً للمأمور بمركز شبام حينها، في المديرية الشمالية
(سيئون حالياً) شبام الحزم والعزم، عادت ذكرياتي إلى
واحدة من قصصها؛ إذ كان أحد الوجهاء سجيناً، والتمس
إفراجاً مؤقتاً للعيد، لكن الشيخ سالم استشار قاضي المحكمة
حينها أحمد سقاف بن سميط، فأشار عليه بصدق وتجرد
إلى تركه في محبسه والابتعاد عن الشبهة.. فراجع هذا السجين
حساباته وعلم أنه هو من ارتكب أخطاء في حق الآخرين،
وبعد نهاية سجنه وخروجه أعاد المظالم إلى أصحابها،

(رغم الكآبة والمحن عشت عزيزاً يا وطن) كانت هذا
المقطوعة الأولى تحية حب وعرفان لوطنٍ مكلموم، مرَّقتُهُ
الحروب، وازداد الوجع في ربوعه فحضرت الدموع
والأحزان، لكن العزة أن يظل بريق الأمل يتسع في عيون
الصغار؛ لتشرق الشمس من جديد.

وكانت المقطوعة الثانية (أنا الشبامي)، لحنٌ من تراث
موغلٍ في مجاهيل التاريخ، لكنه أخرج بأنامل عزفت بتقنيات
العصر، وإيقاعات الحاضر، ورؤية المستقبل، فكان الحضور
يحلّقون أعالي سقف الخيمة التي انتصبت واتسعت..
ويسافرون ولما تزل أقدامهم تلامس أرضية المكان..
يستذكرون ويتذكرون أزماناً غابرة، لكن الحنين يأخذهم
إليها رغم بُعد السنين.

لقد كتب الأستاذ خالد سعيد بن سند مدرس اللغة الإنجليزية،
وكانت كلماته مستوحاة من عنوان الندوة وتاريخ المدينة،
أما اللحن فكان لحناً ثرائياً، تم توزيعه بصورة جمالية متقنة.
تقول الكلمات:





واستسمح كل من حوله، فكانت سبباً في
نجاته بعد أحداث السبعينيات التي شهدتها
شباب.. وبعد الوحدة كان لقاءً مصادفةً بينهما،
فقدم الرجل خالص شكره للشيخ سالم على
صنيعه معه وتركه في السجن؛ لأنه كان سبباً في
نجاته بعد توفيق الله جل في علاه له.

وفي مقطوعات (الولادة)

ورد عليه شاعر آخر

ياسارح طريق الأولي

سيل مروس بموزع شبام

شل نفسك قبل ما تحتشي

قبل ما تنتهي على بطحاء شبام

إيقاعات لعبة الشبواني العريقة، مع إضافات وتريّة، أكسبتها
أصالة التاريخ، وحادثة المعاصرة، فكانت براعة الأداء، وتناسق
النغم، وقصر اللوحة، صورة مبهرة الإبداع، رائعة الإخراج،
شاهدة على أنها خطفت الأبصار والأنظار من الحضور.

أما مقطوعة (الراعية)، والتي تقول:

يابن حمد.. يابن حمد

ردي الغنم.. ردي الغنم

لا تحسب أنني راعية

بنت السلاطين الدول

فكانت صورة للراعيات، وظهور ألتلك الفتاة، التي ترمز
لعهد مؤنّث بالمجد ومكّلل بالغار.. ومتوّج بعهد ازدهار..
ومضمّخ بأنواع العطور والبخور.. لكن دورة الزمان دارت،
وسنون خلت، وأحداث مارت.. فتغيّرت في إثرها الأحوال
والأمور، لكن التاريخ لم يُنس، وظلّت الفتاة الرمز تعرفُ
أصولها المتجذّرة في شغاف قلبها، إنها لا تزال بنت السلاطين
الدول، حتى وإن جار الزمان عليها.

رمزية شبام إنها شامة في كتب التاريخ، وقبلة تتوجّه إليها الأنظار،
وخزانة تنبض بكنوز العمارة والحضارة وأصالة الإنسان.

هيلولوه ماوليدي باينام

هيلولوه باينام نوم الحمام

هيلولوه أمك راحت تزور

هيلولوه جابت لك باقة زهور

هيلولوه ابوك سافر الكويت

بيغاله راشن وبيت

هيلولوه واحفظ وليدي يالله

هيلولوه ويكبر وليدي يالله



أهازيج متنوعة (مدخل السنة بركة والسيل على التكة)،
وغيرها سألنا الأستاذ خالد جعفر بن سند: كيف استوحيت
الكلمات واللحن؟!

وجاء شعر قديم من شعر المدارة

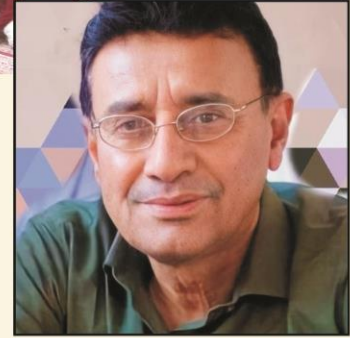
بالحصاه الكبيرة رنحي

قافلة باتعدّي من شبام

باتعدّي وأنا زدني قوي

بانجيب الجوهرة من راس هام

ندوة شبام.. إعادة ذاكرة



سليمان مطران

يومٌ غير عادي لمُ تصنعه الصُدَف، بل صنعه الشباميون أنفسهم، صنعه الحسُّ والفكر التجاري لرجالات شبام، صنعته الأمانة، الصّدق، الورع في إخراج زكاة الأموال والصدقات، والتيسير في أعمال الخير، وتعاملهم مع البيع والشراء.

تُجَار شبام وعائلاتهم لم يستسلموا الظروف الحية ومآسي المجاعة (١٣٦٢ إلى حوالي ١٣٧٠هـ)، وإنما اتخذوا من قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥] منهجاً ومنهجاً قطعوا الفيا في والقفار والوديان، وركبوا البحار رجالاً تارةً وركباناً تارةً أخرى بحثاً عن البلد الحلال والقرش الحلال واللقمة الحلال، فحقّقوا مجدّاً تجارياً، بلغ آفاق الأقطار وسمعة لا تشوبها شوائب الزمان والمكان

لم تعد مدينة شبام التاريخية - حضر موت الوادي - تلك التي تتراءى للناظرين من بعيد كأن على رأسها كُتلاً من الثلج، وصف يُقوله الباحث الأديب / عبدالقادر محمد الصبان - رحمه الله - (١٩٢١ - ١٩٩٩م)، يحب أن يوقر به شبام حضر موت وتقرّ به أعين الزائرين، أما أحد الغربيين فشبهها بكعكة وُضِع فوقها السكر.

"لم تعد"!.. لأن مركز حضر موت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر قد زادها وقاراً وقت أن زين كل شبام من

رأسها إلى أساسها بتاج من تيجان ملوك حضر موت، ممن ازدهرت في عهدهم الحركة التجارية، بتنظيمه الندوة العلمية (شبام في عهد ازدهارها التجاري).

لا شك في أن ذاك الأحد "يوم الندوة" لم يكن يوماً عادياً في حياة الشبامي العادي، فما بالكم بمن خرج من صلبها من أكاديميين، وأدباء، ومثقفين، وتجار، وحرّفين (رجالاً ونساءً) لا نفرّق بينهم في العلم والتجارة.





أيما اتجاه اتجهوا نحوه، تسبقهم سمعتهم وأمانتهم،
وذاك هو ديدن كل حضرمي أينما حل أو ارتحل.

فالمخلوق السوي لا ينكر أن تجار شبام لهم أياد بيضاء
جماليات بالخير كغيرهم من تجار حضرموت، غير أن
لهجرة الرأسمال الوطني أسبابها المباشرة في تردي
الاضلاع الاقتصادية، وقسوة الحياة المعيشية في
حضرموت، ولعل جنوب شرق آسيا وشرقي أفريقيا
شاهدة على ما بلغه هؤلاء التجار من مراكز مرموقة، لا
تخطئها إشارة البنان ونظرات الإعجاب والمباركة في عالم
المال والأعمال والتجارة.

إنَّ المشرع للفكر التجاري بمدينة شبام قد أظهر اهتماماً
لما يهدف إليه مركز الدراسات من تنظيمه الفعالية التجارية
(شبام في عهد ازدهارها التجاري).

برز من خلالها تلاقح أطروحات الندوة العلمية مع
الفعاليات التراثية، وعرض المتوجات التراثية الشعبية،



هي نظرة (يمامية) من مركز حضرموت للدراسات التاريخية
والتوثيق والنشر بكوادره الأكاديمية والعملية، ولعله قد
استشرفها وفتح أمام القرار الرسمي والغرف التجارية في
حضرموت خاصة واليمن عامة، وكذلك منظمات المجتمع
المدني آفاقاً من سرعة التفكير الإيجابي في إبراز أهمية الربط
والمواءمة بين أضلاع المثلث (العلمي، والتجاري، والتراثي).



وهو "التلاقح" الذي ينشده المنظمون من خلال قوة التوصيات
وواقعيتها التي خرجت بها الندوة، وهي رسالة لمن يهمهم
الأمر ويعينهم إعلان (بداية الندوة لانهايتها).





أبي حضر موت

عمر علوي بن شهاب

ثلج من النار في كأسنا يتدثر
تببت مدافؤنا كل صيف مدافئنا
غادرت من حاسة الشم
لا لا ترى الأذن إلا نجيع الدماء
تتعري السنابل ألا يغادرها الوسم
وشما صدى مثلما خنجر
إنني هاهنا هل أبيت هنا لأكون هنا؟
هناك ذهبت إلى حيث لا أحد
يغادرني الصبح كل ظلام
تحف به الشمس غائرة في فؤادي
لي خيمة بل ولي ريذة
كنت أرسل قلبي إليها ومنها
أكفكف بعض دموع الرماد
قصيدي بكل تلال القبيلة
ليس من حق قافلتني أن تباركني
لا وليس لها أن تبارح تلك التضاريس إلى
كيف تقذف تلك الصواعق من مومياء
توشحني عنبراً مثل لون من البن
حين تبخر لا هيل فيه سوى
ريح ليل مضى إثر صبح توانى
ليتني أغتسلت ياليت
كيما أوثق كهفي وينجو غرابي بأي سماء
لي مؤول ولي موعد نحو من جعلوني
أهاذن نفسي

آن لي أن أرمم ما يشبه النخل
في ردهات المسيلة
عليك السلام أبي حضر موت
أين طوفان دمعي؟
كيف أعبره في شراع من الصمت
أستل ذاتي إلى دار غانية
أو بعض زاوية كان حصنا إليه أبي
كان يأوي
دعوني لأصحب من كان يصحبني
من فتات
هم الآن من عرفوني هناك وفاء
وشوقاً وحجاً
أين أذهب؟
في أي حين أووب إليك أبي حضر موت
أين تصرخ أغنية لي
تعرفها الغائبون من هاجروا
الذين تنفسهم طاهر الرمل
أيقظتهم مناراتنا في هزيع الظلام؟
يا لقومي الذين هم حندس من ذئاب
قمر حالك نتوشحه كثياب أبي
لك الله يا سيدي يا أبي حضر موت
يا تباشير جملتنا تلك،
جملتنا حينما غادرت

سنديان الضباب
فحنت حنين العلوب إلى نحلها
حنين القلوب إلى أهلها
حنين الصلاة إلى ربها
حنين البروق إلى سحبها
حنين يثن على كل رابية في انتظار
أبي حضر موت
أبي، احتملني يتيماً يعيش بأكناف
تلك الليالي
التي لم نر صبحها بعد
لكنني أتعطر بالحلم كل صباح
أزدهي بالقصيدة في أعين الغانيات
اللواتي سحبن ذيول القوافي على
ساحل في المكلا
وجبال بدوعن من غسل وهديل
نسامره في ربوع الطويلة
أيقظ سباتي من الفزع المستتيب
بمزمار داوود، يا قرن سيؤون
أيقظ فؤاداً تناثر في كل ساقية
أنكرتني طويلاً وعاهدتها بالشروع الطويلة
هلم إلى مآذننا لننوي الصلاة قضاء
نونا الصلاة إذن واغتسلنا بنهر لهود النبي
وللقادمين إلينا إلى ألف عام



شبام



أ. د. عبدالعزيز سعيد الصيغ

بمناسبة انعقاد الندوة العلمية
(شبام في عهد ازدهارها التجاري)
التي أقامها مركز حضرموت
للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر
شبام - ٢٥ فبراير ٢٠٢٤م

شبام يا عبق التاريخ والألقا
الذكريات بنا تهفؤ وتدفعا
حيا الذي شدنا وانساب يمنحنا
كم كنت أرتقب اللقيا وآملها
شبام يا زهرة الوادي ورونقه
تجمع الصبح كم مرت بنا ومضت
طرقت نحوك دربا ناحلا ومنى
شبام منذ زمان والرؤى همم
شبام أخت العوالي والشموخ علا
في كبرياتك تصحو عزة وهوى
شبام يا نفحة التاريخ شاهدة
والروح في أفق الأرجاء هائمة
ما أدري هل كان طول النخل منتصبا
أم ارتفاع الأمانى والشموخ إلى
وصفرة اللون كانت فيك باعثة
لم يشك في الحب بأسا أو ملاوعة
شبام هذي مشاعر وجد كنت أكتمها
جئناك والضوء فينا يملأ الأفقا
إليك تجتاز نحو الغاية الطرقا
إلى روايك غصنا ناعما بسقا
وأرتجي الوقت أن يأتي وينطلقا
ها نحن في ساحك الممتد متسقا
سنين عمر بها لم نلتق رفقا
وسرت أحمل وعدا نافعا عبقا
يشدو بها الوقت تصحو رفعة وتقى
نسجت من شامخات العز ما ائلقا
فما أرى فيك إلا المجد مؤلقا
إن ارتفاعك يعني الصبح مندققا
ترجو انطلاقا وترجو رفعة وبقا
يدل أنك قد طاولته عنقا
أعلى ذرى هو من أعطى الجمال نقا
لمن شكا الحب هما جائحا أرقا
وإن يكن بالحشا والعقل ملتصقا
وها هي الآن فاضت جوهرًا ولقى



"من ما حضر عند شاته، جابت تيس"



أ. د. عبدالله سعيد بن جَسَّار الجعبي

مقبولة اجتماعياً، مثل: "مكّن دارك ولا تخون جارك".
يشير المثل مفارقة الموقف من الأنوثة والذكورة في الثقافة العربية - وفي البلدان (النائمة)، القرية منها ثقافياً ففي حين الرعاة - بدواً أو حضراً - يحتفلون بالمواليد من الإناث من شياهم؛ بوصفها مكسباً للخصوبة المستمرة والعطاء، نرى المشاعر أقل حماسة عند ولادة الإناث من أصلاهم؛ لاعتبارات متعددة، سنتجاوز ذكرها؛ لأنها خارجة عن سياق قصة بنية المثل، الذي نحاول تفكيكه.

وإذا تتبعنا المثل بعيداً عن مثاويه سنجد حاضراً في الوعي الجمعي، وتبرز قوّته بوصفه نصيحة رادعة في المواقف التي تتعلق بالتفكك الأسري، لاسيما إذا بدر من عنصر في أسرة تصرفات مشينة أو خادشة، تَمَسُّ القِيَمَ المجتمعية، وظهر فيها راعي الأسرة متساهلاً أو مغيباً، فيتحوّل نص المثل إلى صيغة لوم شديدة اللهجة، أو سُخْرِيَّة لاذعة، أو شَمَاتة جارحة ضد (الراعي)، فالخلل هنا جَلَلٌ، يتجاوز بمسافات سحيقة تفكُّك عائلة الماشية، وخسارتها (لعرسة) حل مكانها (تيس).

وأحياناً يحضر المثل بوصفه فكرة إيجابية من الموجهات الاجتماعية المقبولة، وللتوضيح يمكن أن نضرب مثلاً في حالات النجاح التجاري، خاصةً عند صنف التجّار الذين مهما كانت ثروتهم، وعدد الموظفين لديهم يظلون مسيطرين بشكل مباشر على منظومة الحركة التجارية، والمالية الجوهرية، فتتحوّل دلالات المثل بالنص ذاته إلى صيغة مدح وإعجاب من الآخر إلى التاجر، أو في شكل نصيحة تأكيدية على نجاعة العمل بحكمة المثل غير المباشرة من التاجر إلى المقربين له من أفراد أسرته، ولمن أراد من الناس معرفة أسرار نجاحه وصموده.

ملحوظة: كُنْتُ هَمَمْتُ أيضاً من داخل المثل أن أضرب مثلاً من ماضي حضر موت وحاضرها، فوجدت غالب رعاة القوم يتشاجرون، فجلست تحت شجرة على استحياء أنتظر حتى يُصدر الرعاء...

ولد هذا المثل من رحم ثقافة مهنة رعي الماشية عند العرب بصيغ مختلفة، لكنها أحياناً تتقارب في الدلالة حد الاتفاق، من ذلك قولهم: "من ما حضر عند شاته ما جابت عرسة" (أنثى الماعز)، وقد ضمناً في عنوان المقال الصيغة الحضرية للمثل، والمعنى المباشر هو: من لم يكن حاضراً لحظة ولادة شاته فإن الخبر المتوقع ميلاد ذكر (تيس)، وهو ضيف غير مُرَحَّب به كثيراً في الثقافة الرعوية التي ترى أن الذكر ليس كالأنثى، وتحيل صيغة (ما جابت عرسة) إلى أن (بُشْرَى) ميلاد (الأنثى) هي الأمنية السعيدة المنتظرة التي تشغل البال، وليس (الذكر) على ما في التيس من قدرة استثنائية على التزاوج اليومي، بل يُضْرَب به المثل عند ذكرهم لفحولة الرجال.

وإذا انتصر المثل في ظاهر معناه للأنوثة فإنه ضمناً يحمل الرعاة جريمة الغش؛ وذلك بإخفائهم المواليد من (العرسات)، واستبدالها بأترابها من (التيس) اللاتي ولدتهن الشياه، وهم القائمون على رعايتها، أو إذا اختلطن بشياهم مدة من الزمن، ومن هنا جاء المثل بوصفه نصيحة دائمة، تدعو إلى الحيطة، والحذر، والمتابعة المباشرة للحقوق، والأمل، والوقوف عليها، ودعماً لهذا المنحى، ولإظهار سلامة النية، وحرصاً على متانة العلاقات بين الشركاء والخلطاء وضبطها، عززت الثقافة الشعبية القائمين على مصالحهم بمقولات مرنة،



لوحة: رحاب - دوعن
للفنانة التشكيلية عبير الحضرمي



مُنْتَدَى عَمِيدِ الْوَفَاءِ الثَّقَافِيِّ

Ameed Alwaffa Cultural Forum

